ماذا قبل وبعد ..
السموات والأرض؟

* رأى الدين
* رأى العلم
* رأى الفلسفة.
* فى: ماذا قبل السموات والأرض.
* كيف نشأ الكون.؟
* السموات السبع والأرضين السبع
* مجموعتنا الشمسية.
* محاولة جديدة لفهم الآيات الكونية فى القرآن الكريم.
* أين نحن من هذا الكون؟
* ما هو مصير هذا الكون؟
* الحضارة الإنسانية..
* أين بدأت وإلى أين مصدر الحضارة...؟
* الوحى أم العقل؟

تأليف
عبد الرحيم جامع الرافعى

مكتبة الإيمان
المنصورة - أمام جامعة الأزهر
ت: ٣٥٧٨٨٢

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع
المنصورة - أمام جامعة الأزهر
تليفون: ٣٥٧٨٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، هو الأول فليس قبله شيء، وهو الآخر فليس بعده شيء، وهو الظاهر فليس فوقه شيء، وهو الباطن فليس دونه شيء **﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾**

والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وإمام المرسلين، ومعلم البشرية والآخذ بيدها من ظلمات الشرك والضلال إلى أنوار الوحدانية والهدى والرشاد، محمد ابن عبد الله، عليه وعلى آله وصحابته، وتابعيه بإحسان...

وبعد:

عندما عملت مدرسًا للعلوم الطبيعية، بمعهد الزقازيق الدينى عام ١٩٦٤م، عقب تخرجى من كلية الزراعة جامعة القاهرة مباشرة، راعنى ما قرأت وسمعت وشاهدت من تلك الهوة السحيقة الفاصلة بين العلوم الشرعية والعربية التى تدرس فى هذه المعاهد الأزهرية، وبين العلوم الطبيعية والاجتماعية والإنسانية، التى تقرر تدريسها بهذه المعاهد تحت مسمى «العلوم الثقافية»،

وأكثر ما هالنى وحيرنى، تلك التفاسير التى يدرسها زملاء المهنة من مدرسى التفسير والمواد الدينية الأخرى خاصة تفسير الآيات الكونية، التى جاءت فى خلق السموات والأرض وغيرها من الظواهر الكونية، وما جاءت أيضا فى خلق الإنسان والحيوان والنبات وسائر الكائنات الحية، من ناحية، وبين النظريات والحقائق والنتائج التى يفسر بها علماء الطبيعيات هذه الظواهر الكونية، وكذلك ما ذكره الفلاسفة وأصحاب الفكر فى هذا المجال، وقد سار كل طرف من الطرفين فى طريق بعيد كل البعد عن الآخر، مما أوقعنى وأوقع الكثيرين غيرى، وأوقع الدارسين فى حيرة وبلبلة، نتيجة تدريس كل ما أفرزته العلوم الحديثة فى عالم المادة والفضاء وغيره، ونقلت إلينا من الغرب كما هى، لا رابط بينها وبين علوم الدين من قريب أو من بعيد، وبطريقة أقرب إلى ما استقر الرأى عليه فى الغرب،

من فصل العلوم الدينية، عن العلوم الطبيعية والإنسانية، مما يطلق عليه الغرب ما يسمى بالأصولية (أى علوم الدين)، وما يسمى (بالعلمانية) أى علوم الدنيا، من علوم مادية وفلسفية عقلية وغيرها. . .

وأصبح الأزهر معقل الإسلام، به فريقان، فريق يدرس العلوم الدينية، وفريق يدرس العلوم الثقافية وهم أناث غير مرغوب فيهم كأنهم مارقون عن الدين.

ولما كان إيمانى بأن القرآن الكريم وصحيح السنة والحديث هو وحى من عند الله تعالى إلى محمد ﷺ، وأن هذا الكون بسمواته وأراضيه ما نراه وما لا نراه إنما هو من إبداع الخالق الأعظم ـ الله تعالى ـ .

فأيقنت أن مجال الخلاف بين ما فهمه المفسرون من علوم الدين وبين ما أفرزه العلماء من علوم الطبيعيات، وما أفرزه المفكرون فى شتى العلوم والفنون، إنما هو خلاف ناشئ عن الخطأ فى الفهم من الجانبين، أو من أحد الجانبين نحو الجانب الآخر، فحاولت أثناء تدريسى لمادة العلوم الربط دائما بين القرآن الكريم والسنة المطهرة من جانب وبين ما فسر به علماء الطبيعيات ونظرياتهم ونتائج تجاربهم من جانب آخر، وبين ما أفرزه الفكر الفلسفى وعلماء العلوم الإنسانية والاجتماعية من جانب ثالث.

وقدر لى العمل بالتدريس بالمملكة العربية السعودية فيما بين ١٩٧٤ ـ ١٩٨٠ فى المعاهد العلمية الشبيهة للمعاهد الأزهرية بمصر، فكانت فترة رأيت أن أستغلها فى المطالعة والقراءة والبحث لمحاولة الحصول على إجابة تربط بين ما جاء بالكتب الدينية وما جاء بعلوم الطبيعيات وغيرها. .

وسألت نفسى سؤالا هامًا؟

هل الوحى الدينى أسبق إلى الإنسان أم العقل والفكر هو الأسبق؟

وجاءتنى الإجابة اليقينية أن الوحى والنبوة والرسالة أسبق بكثير من العمل العقلى والفكرى للإنسان، بل إن الوحى هو الذى يلفت نظر العقل إلى التدبر والتأمل والوصول إلى الحقيقة.

إذن فإن ما جاءت به علوم الطبيعيات والفلاسفة وغيرهم من علماء المادة إنما

هو متأثر بدرجة ما بما جاء به الوحى، يقرب إلى الوحى حينا فيزداد يقينا وإيمانا، ويبعد عن الوحى أحيانا فيخرج عن إطار الإيمان إلى دائرة العصيان والضلال.

وفى هذه المحاولة المتواضعة، حاولنا بتوفيق من الله الوصول إلى هذه الحقيقة الهامة، هى أن الوحى والنبوة والرسالة هى مصدر العلم والحكمة والمعرفة والحضارة، وحيث نمت النبوة نمى العلم وازدهر وأثمر وحيث خبت مشكاة النبوة وغفل الناس عنها، خبت الحضارة، وخبا النور وعم الظلام، وإن ظن الناس أنهم يعيشون فى عصر العلم الحديث.

فعلى شباب الإسلام والمسلمين أن يوثقوا الصلة بينهم وبين كتاب ربهم وسنة نبيهم، وينطلقون فى شتى فروع العلم والمعرفة والحكمة، حتى يكونوا أهلا لخلافة الله لهم على هذه الأرض وليفوزوا بمتاع الدنيا وحسن عاقبة الآخرة.

والله من وراء القصد، وهو يهدى إلى سواء السبيل

عبد الرحيم جامع الرفاعى

تم جمع مواد الكتاب بالسعودية

الرياض ـ حريملاء

١٩ المحرم ١٣٩٧ هـ / ٣٠ ديسمبر ١٩٧٦م

وانتهى وضعه فى صورة هذا الكتاب

بالزقازيق ـ محافظة ـ الشرقية

٢٤ جمادى الآخرة ١٤١٧هـ/ ٥ نوفمبر ١٩٩٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول

ماذا قبل السموات والأرض؟

نطرح للإجابة على هذا السؤال رأى الدين من الكتاب والسنة، ثم رأى العلم الحديث، ثم رأى الفلاسفة.

أولا: رأى الدين:

﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم﴾ [الحديد: ٣].

نذكر ما ورد من الآراء للمفسرين: الإمام الحافظ ابن كثير ـ ابن جرير الطبرى: يقول الله تعالى ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ . ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ. لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الإنعام: ١٠١ ـ ١٠٣].

الحق تبارك وتعالى خالق كل شيء مربوب له، مدبر بأمره مخلوق مبدع، مكون بعد أن لم يكن، محدث بعد عدمه.

ويقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [هود: ٧].

ويقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨].

ويقول جل شأنه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

ويقول سبحانه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة: ٤].

من هذه الآيات الكريمات يتبين أن الله تعالى قد خلق السموات والأرض فى ستة أيام، ولقد أجمع العلماء قاطبة لا يشك فى ذلك مسلم على أن الله تعالى خلق السموات والأرض وما بينهما من مخلوقات أخرى فى ستة أيام، واختلفوا هل هى أيام مثل أيامنا التى نعيشها اليوم أم أن كل يوم منها كألف سنة مما نعد؟..
قال بعضهم: كان قبل السموات والأرض مخلوقات أخرى لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧]، فكان خلق الماء سبق خلق السموات والأرض.. ولقول الرسول ﷺ: «إن أول ما خلق الله القلم، ثم قال له اكتب، فجرى فى تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة» (رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه).

وفى حديث عمران بن حصين «كان الله ولم يكن شىء قبله وكان عرشه على الماء، وكتب فى الذكر كل شىء، ثم خلق السموات والأرض» (رواه أحمد).

وقد روى الإمام مسلم فى صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وعرشه على الماء».

فثبت تقديم العرش على القلم الذى قدر المقادير، ثم خلق السموات والأرض..

ويؤيد ذلك ما رواه البخارى عن عمران بن حصين قال: قال أهل اليمن لرسول الله ﷺ جئناك لنتفقه فى الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر فقال الرسول ﷺ: «كان الله ولم يكن شىء قبله وكان عرشه على الماء، وكتب فى الذكر كل شىء وخلق السموات والأرض».. وفى لفظ «ثم خلق السموات والأرض»

وقال ابن جرير الطبرى وآخرون: «بل خلق الله الماء قبل العرش»، وعن ابن

عباس وعن مرة عن ابن مسعود، عن أناس من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: إن الله كان عرشه على الماء لم يخلق شيئا قبل الماء - وقال ابن جرير الطبرى: إن الذى خلق ربنا بعد القلم الكرسى، ثم خلق بعد الكرسى العرش ثم خلق بعد ذلك الهواء والظلمة ثم خلق الماء، فوضع عرشه فوق الماء.

وفى رواية عن ابن عباس أنه قال: إن الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئا، فكان أول ما خلق الله القلم، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة.

١ - ما ورد فى صفة العرش:

قال تعالى ﴿رفيع الدرجات ذو العرش﴾ [غافر: ١٥]، ويقول جل شأنه: ﴿ذو العرش المجيد﴾ [البروج: ١٠] وقال سبحانه: ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله﴾ [غافر: ٧] - وقال تعالى: ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾ [الحاقة: ١٧]، وقال سبحانه ﴿وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين﴾ [الزمر: ٧٥].

والعرش فى اللغة: جمعها أعراش وعروش وعَرْشَة وعُرُش عروشا بالمكان: أقام فيه، - والعرش: سرير الملك أو المظلة أو الخيمة.

وعرش عرشا: بنى بناء من خشب/ عرش البيت بناه، وعَرَّش البيت: رفع سقفه (قاموس المنجد - المعجم الوسيط).

وقد روى الإمام أحمد فى حديث ابن عباس قال: كنا جلوسا مع رسول الله ﷺ بالبطحاء، فمرت سحابة، فقال رسول الله ﷺ: «أتدرون ما هذا؟» قال: قلنا السحاب. قال: «المُزن» قال: قلنا: والمزن. قال: «والعنان» قال: فسكتنا: فقال: «هل تدرون كم بين السماء والأرض» قال ابن عباس: قال الله ورسوله أعلم. قال: «بينهما مسيرة خمسمائة عام ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة عام، وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة عام، وفوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين ركبهن وأظلافهن كما بين السماء والأرض، ثم فوق ذلك العرش، بين أسفله وأعلاة كما بين السماء والأرض، والله تبارك وتعالى فوق ذلك وليس يخفى عليه من أعمال بنى آدم

شيء» هذا لفظ الإمام أحمد ورواه أبو داود وابن ماجه والترمذى وقال الترمذى حديث حسن.

وفى حديث آخر أخرجه الإمام أحمد قال: أتى أعرابى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، جهدت الأنفس، وجاعت العيال، ونهكت الأموال، وهلكت الأنعام، فاستسق الله لنا، فإنا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك. فقال رسول الله ﷺ: «ويحك أتدرى ما تقول؟» وسبح رسول الله ﷺ فمازال يسبح حتى عرف ذلك فى وجوه أصحابه ثم قال: «ويحك إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك، ويحك أتدرى ما الله؟ إن عرشه على سمواته لهكذا»، وأشار بأصابعه مثل القبة عليه، «وإنه لئيط به أطيط الرحل بالراكب»...
وقال ابن بشار: إن الله فوق عرشه وعرشه فوق سمواته.

الأطيط: التسبيح والتعظيم.

وفى قول الله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾[طه: ٥]، قال الإمام أحمد الاستواء معلوم والكيف مجهول.

ومعنى الاستواء: من استوى فلان على دابته: استقام واعتدل عليها.

استقر على الدابة ـ على ظهرها، فالاستواء هو الاستقرار.

وقوله استوى على: استقر على ـ واستوى إلى: قصد إلى، وقد ثبت فى صحيح البخارى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس، فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة، وفوقه عرش الرحمن» أى أعلاها عرش الرحمن.

وقد جاءت بعض الآثار: أن أهل الفردوس يسمعون أطيط العرش، وهو تسبيحه وتعظيمه، وما ذاك إلا لقربهم منه، وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «لقد اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ» وروى عن بعض السلف فى كتاب صفة العرش، أن العرش مخلوق من ياقوتة حمراء بين قطريه مسيرة خمسين ألف سنة، وقالوا فى قوله تعالى: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ [المعارج: ٤] قالوا: إنّ بعد ما بين العرش والأرض السابعة خمسين ألف سنة.

وقد ذهب طائفة من أهل الكلام إلى أن العرش فلك مستدير من جميع جوانبه، محيط بالعالم من كل جهاته، ولذا سموه الفلك التاسع أو الأطلس أو الأثير.

وهناك من يقول ليس هذا صحيحًا لأنه ثبت فى الشرع أن العرش له قوائم تحمله الملائكة، والفلك ليس كذلك، ولايحمل، وأيضا لأن العرش فوق الجنة، والجنة فوق السموات وفيها مائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض.

والعرش كما سبق أن ذكرنا سرير الملك، كما أنه المظلة أو الخيمة أو السقف كما ورد فى معنى العرش، وكلها لاتتعارض مع كون عرش الرحمن فوق الكون ويحيط به: ﴿**الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فسأل به خبيرا**﴾ [الفرقان: ٥٩].

ويرى فريق آخر فى قول الله تعالى عن عرش بلقيس: ﴿**ولها عرش عظيم**﴾ [النمل: ٢٣]، ليس هو فلك ولاتفهم منه العرب ذلك، ويرى هذا الفريق أنه سرير ذو قوائم تحمله الملائكة وهو كالقبة فوق الكون وهو سقف المخلوقات. قال تعالى: ﴿**الذين يحملون العرش ومن حوله..**﴾[غافر: ٧]، وقد تقدم فى حديث الأوعال أنهم ثمانية وفوق ظهورهم العرش، كما قال تعالى: ﴿**ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية**﴾[الحاقة: ١٧]، قال شهر بن حوشب: حملة العرش ثمانية، أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك، لك الحمد على حلمك بعد علمك، وأربعة يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك.

والأرجح: أن عرش الرحمن محيط بالكون كما ذكر الرسول ﷺ بإشارة بيديه بأنه كالقبة أو الخيمة فوق السموات السبع وليس هو الفلك التاسع كما ذكر البعض.

وقد ذكر الطبرى فى تاريخه من شعر أمية بن أبى الصلت فى وصف العرش قوله:

مجدوا الله فهو للمجد أهلٌ ... ربنا فى السماء أمسى كبيرا
بالثناء العالى الذى بهر الناس ... وسوَّى فوق السماء سريرا

شرجعا لا يناله بصرُ العين   تُرَى حوله الملائك صورا

(صور: جمع أصور وهو المائل العنق لنظره إلى العلو.. والشرجع: العالى المنيف، والسرير: العرش).

كما ذكر من شعر عبد الله بن رواحة (رضى الله عنه):

شهدت بأن وعد الله حقٌ   وأن النار مثوى الظالمينا

وأن العرش فوق الماء طافٍ   وفوق العرشِ ربُّ العالمينا

وتحمله ملائكة كرامٌ   ملائكة الإله مسوَّمينا

٢- ما جاء فى وصف الكرسى:

روى ابن جرير الطبرى فى تاريخه: عن ابن عباس وسعيد بن جبير رضى الله عنهما أنهما قالا فى قوله تعالى: ﴿وسع كرسيه السموات والأرض﴾ أى وسع علمه.. والمحفوظ عن ابن عباس كما رواه الحاكم فى مستدركه فى رواية عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، أنه قال: الكرسى موضع القدمين، والعرش لايقدر قدره إلا الله عز وجل..

وقال السدى عن أبى مالك: الكرسى تحت العرش والسموات والأرض فى جوف الكرسى، والكرسى بين يدى العرش. وعن ابن عباس أنه قال: لو أن السموات السبع والأرضين السبع بسطن ثم وصلن بعضهن إلى بعض ماكن فى سعة الكرسى إلا بمنزلة الحلقة فى المفارة (المفارة: الصحراء الواسعة).

وقال أبو ذر الغفارى: سألت رسول الله ﷺ عن الكرسى فقال: «**والذى نفسى بيده ما السموات السبع والأرضون السبع عند الكرسى إلا كحلقة فى فلاة، وإن فضل الكرسى على العرش كفضل الفلاة على تلك الحلقة**».

وقد سئل ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿وكان عرشه على الماء﴾ على أى شىء كان الماء؟ قال متن: الريح، ثم قال: والسموات والأرضون وكل ما فيهن من شىء يحيط بها البحار ويحيط بذلك كله الهيكل ويحيط بالهيكل الكرسى.

وقد زعم بعض من ينتمى إلى علم الهيئة، أن الكرسى عبارة عن الفلك

الثامن الذى يسمونه فلك الثوابت.. وفى ذلك نظر؛ لأن الكرسى أعظم من السموات السبع بشىء كثير، وذلك لأن نسبتها إليه كنسبة حلقة ملقاة بأرض فلاة، وهذا ليس نسبة إلى فلك، كما وأن الكرسى فى اللغة: هو المرقاة بين يدى العرش، ومثل هذا لا يكون فلكا، وزعم أن الكواكب الثوابت، مرصعة فيه لا دليل عليه لديهم.

وقد ذكر ابن كثير فى تفسير آية الكرسى قول رسول الله ﷺ: «ما السموات السبع فى الكرسى إلا كدراهم سبعة أُلقيت فى ترس» والترس هو الدرع.

هذا ما ورد فى خلق الكرسى وصفته من الكتاب والسنة وما ذكره المفسرون وأورده ابن كثير، وابن جرير الطبرى فى تفسيرهما، وما فى تاريخهما «البداية والنهاية» لابن كثير، وتاريخ الطبرى: لابن جرير الطبرى.

٣ ـ ما خلق بعد القلم واللوح المحفوظ:

عن ابن عباس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «إن الله خلق لوحًا محفوظا من درة بيضاء صفحاتها من ياقوتة حمراء، قلمه نور وكتابه نور لله فيه فى كل يوم ستون وثلثمائة لحظة(٣٦٠ لحظة) يخلق ويرزق ويحيى ويميت، ويعز ويذل ويفعل ما يشاء»، وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن فى صدر اللوح لا إله إلا الله وحده، دينه الإسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله وصدق بوعده واتبع رسله أدخله الجنة»، كما ذكر الطبرى عن ابن عباس قوله: اللوح المحفوظ: لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين المشرق والمغرب، وحافتاه الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حمراء، وقلمه نور وكلامه معقود بالعرش وأصله فى حجر الملك: هذا لفظ ابن جرير عن ابن عباس فى وصف اللوح المحفوظ،

وقال السدى: السموات والأرض فى جوف الكرسى، والكرسى بين يدى العرش.

الكرسى فى اللغة: ما جاء فى معنى الكرسى فى قاموس المنجد ـ القاموس المحيط ـ القاموس الوسيط:

الكرسى: جمعها كراسِىٌّ وكراسِي: السرير أو العلم، يقال هو من أهل

الكرسى أى من أهل العلم، والكرسى ما يقعد عليه - ويقال اجعل لهذا الحائط كرسيا أى ما يعمده ويمسكه، وكرسى الملك عرشه وكرسىُّ الجوزاء كوكب. الكراسى: العلماء.

المكْرَسىُ من القلائد: ما نظم لؤلؤة وفرزه فى خيطين فضما مفصولين بخرز كبار.

الحلقة فى اللغة: حَلَّق الشىءَ: جعله كالحلقة، حَلَّقَ القمر: صارت حوله دائرة، حلق الطائر: ارتفع واستدار كالحلقة، حلق النجم: ارتفع، تحلق القوم: جلسوا فى دائرة، الحَلْقَةُ: جمعها حلَق وحلقات: كل شىء استدار.

الفلاة فى اللغة: جمعها فلوات وفلاً: الصحراء الواسعة..

الفلاة: المكان الغير مسقوف.

* الخلاصة:

نخلص من هذا أن الرأى الأرجح من آراء علماء التفسير أن الله تعالى خلق الماء وجعل عرشه عليه، ثم خلق القلم واللوح المحفوظ وأمر القلم فكتب فى اللوح المحفوظ كل ما هو كائن إلى يوم القيامة، وأن السموات السبع والأرضين السبع وكل ما فيها من نجوم وكواكب وأفلاك وغيرها إنما هى تشبه الدراهم السبع أو الحلقات السبع الملقاة فى صحراء واسعة هى الكرسى وأن الكرسى حلقة أخرى ملقاة فى صحراء أخرى هى العرش، وفوق العرش رحمن رحيم، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، والله تعالى أعلم ورسوله.

فالله سبحانه وتعالى هو الأول فليس قبله شىء، وهو الآخر فليس بعده شىء، وهو الظاهر فليس فوقه شىء، وهو الباطن فليس دونه شىء **﴿ليس كمثله شىء وهو السميع البصير﴾**... (المؤلف)

* مصادر هذا الجزء:

١ - البداية والنهاية لابن كثير (ت ٧٧٤هـ).　　٢ - تاريخ الطبرى.

٣ - الكامل فى التاريخ لابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)

٤ - قاموس المنجد　　٥ - القاموس المحيط　　٦ - القاموس الوسيط

عقيدة أهل السنة:

مما ذكره الإمام أبو حامد الغزالى فى كتابه إحياء علوم الدين، أن عقيدة أهل السنة فى كلمتى الشهادة، لا إله إلا الله، هى عقيدة التنزيه، أى أن الحق تبارك وتعالى ليس بجسم مصور ولا جوهر محدود مقدر، وأنه لا يماثل الأجسام لا فى التقدير، ولا فى قبول الانقسام وأنه ليس بجوهر، ولا تحله الجواهر، ولا بعرض ولا تحله الأعراض، بل لا يماثل موجودًا ولا يماثله موجود: ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾ [الشورى: ١١]، ولا هو مثل شيء، وأنه لا يحده المقدار، ولا تحويه الأقطار، ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه الأرضون ولا السموات.

وأنه سبحانه وتعالى مستوٍ على العرش على الوجه الذى قاله، وبالمعنى الذى أراده استواءً منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول، والانتقال، لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته، ومقهورون بقبضته، وهو فوق العرش والسماء وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى فوقية لا تزيده قربا إلى العرش والسماء كما لا تزيده بعدًا عن الأرض والثرى، وهو مع هذا قريب من كل موجود، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد: ﴿**وهو على كل شيء شهيد**﴾ ، إذ لا يماثل قربة قرب الأجسام، وأنه لا يحل فى شيء، ولا يحل فيه شيء، تعالى على أن يحويه مكان، وتقدس عن أن يحده زمان، بل كان قبل أن يخلق الزمان والمكان، وهو الآن على ما عليه كان، وأنه بائن عن خلقه بصفاته، ليس فى ذاته سواه، ولا فى سواه ذاته وأنه تقدس عن التغير والانتقال، لا تحله الحوادث، ولا تعتريه العوارض، بل لا يزال فى نعوت جلاله منزها عن الزوال، وفى صفات كماله مستغنيا عن زيادة الاستكمال، وأنه فى ذاته معلوم الوجود بالعقول، مرئى الذات بالأبصار نعمة منه ولطفا بالأبرار فى دار القرار، وإتمامًا منه للنعيم بالنظر إلى وجهه الكريم.

يقول الله تعالى ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم. لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ . هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ

أيام ثمّ استوىٰ على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ [الحديد: ١-٤]

﴿إنّه هو يبدئ ويعيد. وهو الغفور الودود. ذو العرش المجيد. فعّال لما يريد. هل أتاك حديث الجنود. فرعون وثمود. بل الذين كفروا في تكذيب. والله من ورائهم محيط. بل هو قرآن مجيد. في لوح محفوظ﴾ [البروج: ١٣-٢٢].

ثانيا: رأى العلم:

ماذا قال العلم الطبيعى وما وصل إليه وما قاله علم الطبيعيات للإجابة على، ماذا قبل السموات والأرض؟..

فمنذ خلق الله السموات والأرض، وأهبط الإنسان إلى هذه الكرة الأرضية التى نعيش عليها، والإنسان ينظر ويتدبر فيما حوله وفوقه وتحته، يضع الفروض ويجرى التجارب ويحلل النتائج ويضع النظريات التى يحاول بها أن يجيب على هذا السؤال، ماذا قبل السموات والأرض؟ وكيف نشاهد هذا الكون؟.

وقد أمرنا الله تعالى كأمة مسلمة، أن نتدبر آياته، وأن نتفكر فى خلق السموات والأرض، فقال تعالى: ﴿إنّ في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب. الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلىٰ جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

وفيما يلى نذكر مقتطفات من أقوال علماء الطبيعيات فى فروع العلم المختلفة والتى جاءت فى كتاب «الله يتجلى فى عصر العلم» للدكتور جمال الدين الفندى الأستاذ السابق بكلية العلوم جامعة القاهرة:

١ ـ **دونالد روبرت كار**: أستاذ الكيمياء الجيولوجية، وأخصائى فى تقدير عمر الأرض:

أ ـ النقطة الأولى: إن تحديد الوقت الذى بدأ فيه الكون، يتم عن طريق تحديد عمر التكوينات الجيولوجية، مثل مواد الشهب وغيرها، فقد أمكن باستخدام العلاقات الإشعاعية أن نحصل على صورة شبه كاملة عن تاريخ الأرض، ويستخدم فى الوقت الحالى عديد من الطرق المختلفة لتقدير عمر الأرض بدرجات متفاوتة من الدقة ولكن نتائج هذه الطرق متقاربة إلى حد كبير، وهى تشير إلى أن الكون لا يمكن أن يكون أزليا، ولو كان كذلك لما بقيت فيه أى عناصر إشعاعية ويتفق هذا الرأى مع القانون الثانى من قوانين الديناميكية الحرارية، أما الرأى الذى يقول بأن هذا الكون دورى، أى أنه منكمش ثم يتمدد، ثم يعود فينكمش من جديد، فإنه رأى لم يقم عليه دليل، ولا يمكن أن يعتبر رأيا علميا، بل مجرد تخمين، ومن ذلك نرى أن القول بأن للكون بداية يتفق مع ما جاء مثلا فى الإنجيل (لقد خلق الله فى البداية السموات والأرض).

وهو رأى تؤيده قوانين الديناميكية الحرارية والأدلة الفلكية والجيولوجية.

ب ـ أما مبدأ انتظام الكون، والذى ينص على أن جميع العمليات الجيولوجية، والكيماوية الجيولوجية التى تعمل الآن، والتى كانت تعمل أيضا فيما مضى، وعلى ذلك فإن فهمنا لهذه العمليات يعيننا على تفسير التاريخ الجيولوجى فانتظام الكون ووجود القوانين الطبيعية، هما أسس العلم الحديث.

والكون المنتظم الذى يعتبر على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة للمشتغلين بالعلوم يتفق مع ما جاء عنه فى الكتب المقدسة، من أن الله هو الذى أبدع هذا الكون وهو الذى يمسكه ويحفظه.

ولولا انتظام الكون ما كان هناك مكان لمعجزة من المعجزات فكثير من المعجزات التى جاءت بها الرسل، هى قبل كل شىء خروج على نواميس الطبيعة، ولا يمكن تقديرها ولا معرفة قيمتها الحقيقية إلا فى كون منتظم، تسير ظواهره تبعا لقوانين معينة وسنن مرسومة، لها بداية كما أن لها نهاية.

٢ ـ تشالز أرمست: (أستاذ بجامعة فرانكفورت بألمانيا).

يقول: لقد وضعت عدة نظريات تفسر لنا كيف نشأت الحياة، من عالم الجماد، وذهب بعض الباحثين إلى أن الحياة قد نشأت من (البروتوجين)، أو من

الفيروس، أو من تجمع بعض الجزئيات البروتينية الكبيرة، وقد يخيل إلى بعض الناس أن هذه النظريات قد سدت الفجوة التى يفصل بين عالم الحياة والجماد، ولكن الواقع الذى ينبغى أن نسلم به هو أن جميع الجهود التى بذلت للحصول على المادة الحية من المادة غير الحية، قد باءت جميعها بخذلان وفشل ذريعين ومع ذلك فإن من ينكر وجود الله، لا يستطع أن يقيم الدليل المباشر للعالم المتطلع على أن مجرد تجمع بعض الذرات والجزئيات عن طريق الصدفة يمكن أن يؤدى إلى ظهور الحياة وصيانتها، وتوجيهها بالصورة التى شاهدناها فى الخلايا - الحية نباتية أو حيوانية.

إننى أرى وأعتقد أن كل خلية من الخلايا الحية، قد بلغت من التعقد والإعجاز درجة يصعب علينا فهمها، وأن ملايين الملايين من الخلايا الحية الموجودة على سطح الأرض، تشهد بقدرته شهادة تقوم على الفكر والمنطق ولذلك فإننى أؤمن بوجود الله إيمانا راسخا.

﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ [الإسراء: ٨٥] [المؤلف].

٣ - جورج هربرت بلونت: (أستاذ الفيزياء التطبيقية بجامعة كاليفورنيا): يقول:

تدل الشواهد على أن هناك نوعا من الإجماع بين الفلاسفة والمفكرين على أن لهذا الكون إلها، ولكنه لا يوجد هناك اتفاق على أن هذا الإله، هو ذاته إله الكتب المقدسة،وقد يكون العيب فى المنظار ذاته الذى ترى به الحقائق، وعندئذ يؤدى ضبط المنظار إلى المزيد من الوضوح، ولكن حتى مع ذلك يبدو أن الدلالة فى حد ذاتها لا تعطى الحكم المطلق.

والأدلة أنواع منها الأدلة الكونية، ومنها الأدلة التى تقوم على إدراك الحكمة، ومنها الأدلة التى تكشف عنها الدراسات الإنسانية.

أ - فالأدلة الكونية تقوم على أساس أن الكون متغير، وعلى ذلك فإنه لا يمكن أن يكون أبديا، ولابد من البحث عن حقيقة أبدية علميا.

ب ـ أما الأدلة التى تبنى على إدراك الحكمة، فتقوم على أساس أن هناك غرضا معينًا، أو غاية وراء هذا الكون، ولابد بذلك من حكيم أو مدبر.

جـ ـ أما الأدلة التى تكشف عنها الدراسات الإنسانية، تكمن وراء الطبيعة الخلقية، فالشعور الإنسانى فى نفوس البشر، إنما هو اتجاه إلى مشرع أعظم.

ـ المؤلف: يقول الرسول ﷺ: **«كل مولود يولد على الفطرة، وأبوه يمجسانه أو يهودانه أو ينصرانه»**.

د ـ وأما الأدلة التى يتجه إليها تفكيرى، تعتبر من النوع الذى يبحث عن حكمة الخالق فيما خلق، ولاكتشاف القوانين التى تخضع لها الظواهر المختلفة لابد من كشف هذا النظام، ولا يمكن أن يتصور العقل أن هذا النظام قد نشأ من تلقاء نفسه من العدم أو الفوضى، وعلى ذلك فإن الإنسان المفكر لابد أن يصل ويسلم بوجود إله منظم لهذا الكون، وعندئذ تصير فكرة الألوهية إحدى بديهيات الحياة، بل الحقيقة العظمى التى تظهر فى هذا الكون.

والمطابقة بين الفرض والنتيجة تعد برهانا على صحة هذا الفرض والمنطق الذى هنا هو أنه إذا كان هنالك إله فلابد من أن يكون هناك نظام، وعلى ذلك فما دام النظام موجودا، فلابد من وجود إله، والملاحظ أن الملحدين، لا يقيمون دليلا واحدًا على عدم وجود الله تعالى، ولكنهم ينقصون من قيمة الأدلة القائمة على وجوده سبحانه، ويعتبرون هذه الأدلة غير كافية.

٤ ـ كلودم هاثاواى: مصمم العقل الالكترونى:

يقول: لقد اشتغلت منذ سنوات عديدة بتصميم عقل الكترونى، يستطيع أن يحل بسرعة بعض المعادلات المعقدة المتعلقة بنظرية الشد فى اتجاهين، ولقد حققنا هدفنا بسبب استخدام مئات من الأنابيب المفرغة والأدوات الكهربية، والميكانيكية، والدوائر المعقدة، ووضعها داخل صندوق بلغ حجمه ثلاثة أمثال حجم أكبر (بيانو) ولا تزال الجمعية الاستشارية فى (لانجلى فيد) تستخدم المخ الالكترونى حتى الآن، وبعد اشتغالى باختراع هذا الجهاز بسنة أو سنتين وبعد أن واجهت كثيرا من المشكلات التى تطلبها تصميمه ووصلت إلى حلها، صار من المستحيلات

بالنسبة إلى أن أتصور أو يتصور عقلى أن مثل هذا الجهاز يمكن عمله بأية طريقة أخرى غير استخدام العقل والذكاء والتصميم.

وليس العالم حولنا إلا مجموعة هائلة من التصميم والإبداع والتنظيم وبرغم استقلال بعضها عن بعض، فإنها متشابكة متداخلة، وكل منها أكثر تعقيدا فى كل ذرة من ذراتها فى تركيبها من ذلك المخ الالكترونى الذى صنعته فإذا كان هذا الجهاز يحتاج إلى تصميم، أفلا يحتاج هذا. . الكون اللانهائى فى اتساعه وإبداعه إلى مبدع يبدعه.

نقطة أخرى أريد أن أشير إليها وهى أن مصمم هذا الكون لا يمكن أن يكون ماديا وأننى أعتقد أن الله لطيف غير مادى، ولابد من التسليم باللامادى لأننى بوصفى من علماء الفيزياء أشعر بوجود الحاجة إلى وجود سبب أول غير مادى، لا يمكن إدراكه بالحواس الطبيعية، فمن الحماقة إذن أن أنكر وجوده بسبب عجز العلوم الطبيعية عن الوصول إليه، وفوق ذلك فإن الفيزياء الحديثة قد علمتنى أن الطبيعة أعجز من أن تنظم نفسها أو تسيطر على نفسها.

وقد أدرك إسحاق نيوتن أن نظام الكون يتجه نحو الانحلال وأنه يقترب من مرحلة تتساوى فيها درجة الحرارة فى سائر مكوناته، ووصل من ذلك إلى أنه لابد أن يكون لهذا الكون بداية، كما أنه لابد أن يكون له نهاية وأنه قد وضع تبعا لتصميم معين ونظام مرسوم وأيدت دراسة الحرارة هذه الآراء وساعدتنا على التمييز بين الطاقة الميسورة والطاقة غير الميسورة وقد وجد أنه عند حدوث أى تغييرات حرارية فإن جزءا معينا من الطاقة الميسورة يتحول إلى طاقة ميسورة، ولكنه لا سبيل إلى أن يسير هذا التحول فى الطبيعة بطريقة عكسية، وهذا هو القانون الثانى من قوانين الديناميكية الحرارية.

وقد اهتم بولتزان بتمحيص هذه الظاهرة، واستخدم فى دراستها عبقريته ومقدرته الرياضية، حتى أثبت أن فقدان الطاقة الميسورة الذى يشير إليها نيوتن ليست إلا حالة خاصة من حالة عامة، تشير إلى أن كل تحول أو تغير طبيعى يصحبه تحلل أو نقص فى النظام الكونى، وفى حالة الحرارة يعتبر تحول الطاقة من الصورة الميسورة إلى الصورة غير الميسورة فقدانا أو نقصا فى التنظيم الجزئى، أو

بعبارة أخرى تفتتا وانحلالا للبناء، ومعنى ذلك بطريقة أخرى أن الطبيعة لا تستطيع أن تصمم أو تبدع نفسها، لأن كل تحول طبيعى لابد أن يؤدى إلى نوع من أنواع الضياع فى نظام العالم أو تصدع فى البناء العام.

حتى لو سار النظام من بسيط إلى مركب فإن ذلك لا يتم إلا على حساب تصدع أكبر فى التنظيم والتركيب فى مكان آخر.

إن هذا الكون ليس إلا كتلة هائلة تخضع لنظام معين، أوجد الله به عوامل فنائه إلى أجل مسمى، ولابد إذن من سبب أولى لا يخضع للقانون الثانى من قوانين الديناميكية الحرارية ولابد أن يكون هذا السبب الأول غير مادى فى طبيعته...

ثم يقول مصمم العقل الالكترونى: (كلودم هاثا واى): إن هذا السبب الأول غير المادى فى طبيعته هو الله اللطيف الخبير الذى لا تدركه الأبصار.

٥ ـ وولتر إدوارد لاميرتس: أخصائى علم الوراثة:

يقول: إن نظرية التطور: هى النظرية الوحيدة التى ينظر إليها البعض على أنها يمكن أن تغنى عن الاعتقاد فى وجود الخالق أو مدبر بهذا الكون، وقد مرت بى سنوات عديدة من الصراع العقلى بينى وبين نفسى من جهة، وبينى وبين المتخرجين معى من جهة أخرى، وقد اتضح لى كثير من الحقائق، فعلم الوراثة مثلا لم يقدم لنا دليلا على صحة الفرضين الأساسيين اللذين أقام عليهما تشالز دارون وغيره فى نشأة الأنواع:

أ ـ الأساس الأول: أن العضويات الصغيرة فى كل جيل من الأجيال تميل دائما إلى أن تختلف اختلافات طفيفة عن آبائها فى جميع الاتجاهات الممكنة.

ب ـ والأساس الثانى: أن التغيرات المفيدة تورث فى الأجيال التالية، وتتراكم نتائجها حتى ينتج عنها تغيرات جسمية.

والواقع من حيث الفرض الأول، إن أقصى ما يمكن حدوثه من التغيرات فى النبات والحيوانات يمكن تحقيقه سريعا عن طريق الانتقاء والتربية، كما يؤدى التلقيح الذاتى فى النبات وتزاوج الأقارب فى الحيوان إلى إنتاج أفراد ضعيفة إلى

حد كبير، ولا تتغير فى جميع الاتجاهات كما ذكر ـ دارون إلا عندما تصيبها بعض الطفرات، وهى قليلة الحدوث، وتعتبر الطفرات على قلتها الأساس المادى الذى يبنى عليه علماء التطور تفسيرهم لظاهرة التطور، ولكن . . هل يمكن أن تكون الطفرات حقيقة وسيلة للتطور؟، إن الدراسة الطويلة المتصلة لهذه الطفرات فى كثير من الكائنات الحية، وبخاصة فى ذبابة الفاكهة (الدروسوفلا ميلانوجاستر) تدل على أن الغالبية العظمى من الطفرات تكون من النوع الذى يؤدى إلى التشويه أو على الأقل من النوع المتعادل الذى يحدث تأثيرات فسيولوجية تضعف من قوة الفرد، فمن الصعب إذن أن يؤدى تجمع هذه الطفرات الوراثية إلى التغيرات اللازمة لنشأة أنواع جديدة تعتبر أكثر تقدما ورقيا.

وقد تؤدى الطفرة فى بعض الحالات النادرة إلى تحسين صفة من الصفات كما يحدث فى جناح الدروسوفلا، ولكن اجتماع هذه الصفة مع بعض الصفات الأخرى التى تطرأ على الجناح يؤدى إلى تكوين حشرات أقصر عمراً وأقل قدرة على الحياة، ولكن دعنا نسلم جدلا بحدوث طفرات نادرة تصحبها تحسينات تبلغ ١٪ فكم تحتاج هذه الطفرات من الأجيال لكى تتراكم ويظهر أثرها وينتج عنها نوع جديد؟ لقد أوضح (باتو) فى كتاب بعنوان (التحليل الرياضى لنظرية التطور)، أنه لتعميم صفة من الصفات عن طريق الطفرة فى سلالة من السلالات لا يمكن أن يستغرق أقل من مليون جيل من الأجيال المتتابعة، وحتى لو سلمنا بقدم الأحقاب الجيولوجية كما يقدرها الجيولوجيون، فمن الصعب أن نتصور كيف أن حيوانا حديثا نسبيا مثل الحصان قد نشأ سلفه الذى كان عدد أصابعه خمسا فى الفترة من العصر الحجرى (أيوسينى) إلى العصر الحديث.

إن المقام لا يتسع هنا لضرب أمثلة أخرى عديدةً لإثبات أن نظرية التطور المادى لا تستطيع أن تفسر لنا تلك الاختلافات العديدة التى نشاهدها فى عالم الأحياء، إنها جميعا تشير إلى وجود خالق حكيم هو الذى جعل هذه الكائنات الحية القادرة على أن تتحمل ظروفا غير الظروف التى نشأت فى ظلها، وعلى أن تتلاءم مع هذه الظروف.

٦ ـ بول كليرانس: مدير إحدى المعامل الذرية:

يقول: إن الإنسان مع اختلاف دينه وجنسه ولونه ووطنه قد شعر منذ القدم، وبصورة عامة أنه قاصر عن إدراك كنه هذا الكون المتسع، كما عجز عن إدراك سر الحياة وطبيعتها فى هذا الوجود، ولقد أدرك الإنسان بالعقل والروح أن هناك نظامًا معجزًا يفوق ما يمكن تفسيره على أساس المصادفة أو الحوادث العشوائية..

وبين الذرة والكون وبين الميكروب والإنسان... نلمس أن هناك ما هو أبعد من ذلك لم يستطع الإنسان الوصول إليه، إن الإنسان بعقله وعلمه، وبما أوتى من قدرة رائعة لن يستطيع أن يفسر لنا.. لماذا وجدت الذرات والنجوم والكواكب والحياة والإنسان؟.

وبالرغم من أن الإنسان يستطيع أن يقدم لنا نظريات قيمة عن السديم ومولد الذرات والمجرات والنجوم وغيرها ولكنه لا يستطيع أن يبين مصدر المادة والطاقة التى استخدمت فى بناء هذا الكون أو لماذا اتخذ الكون هذه الصورة والنظام الحالى:

والحق أن التفكير السليم يفرض علينا وجود قوة أوجدت المادة ورتبتها لحكمة وهو الله الخالق الحكيم.

٧ ـ توماس دافيز: أستاذ كيمياء.

يقدم سؤالا يقول فيه: ما هى الحكمة البالغة التى ينطوى عليها خروج بعض الظواهر عن العادة المألوفة؟ فالماء له من الخواص ما تدل كلها على أنه مبدع هذا الكون قد رسمه وصممه بما يحقق صالح مخلوقاته (سبحانه)، فالماء هو المادة الوحيدة التى تقل كثافتها عندما يشتد البرد وتتجمد ولهذه الخاصية أهمية كبيرة بالنسبة للحياة، إذ يطفو الجليد على سطح الماء بدلا من الغوص إلى قاع المحيطات والبحيرات والأنهار ويكون طبقة عازلة تحفظ الماء الذى تحتها فى درجة حرارة فوق درجة التجمد وبذلك تبقى الكائنات المائية حية.

كما أن الماء أكثر السوائل إذابة لغيره من الأجسام، وقد درس العلماء خواص الماء العجيبة، ووضعوا النظريات لتعليل ظواهره المختلفة، ووقفوا مشدوهين أمام

هذه المادة العجيبة، إننى أرى فى كل ظاهرة من هذه الظواهر أكثر من مجرد الخلق والتدبير المجرد عن العاطفة، إننى ألمس فوق ذلك محبة الخالق لخلقه واهتمامه بأمورهم. سبحانك ربى.

﴿وجعلنا من الماء كل شىء حى﴾[الأنبياء: ٣٠].

هل لله وجود ذاتى؟

أ - من وجهة نظر العلم كما يقول (بول كليرانس) لا يستطيع الإنسان أن يتصور الله تصورًا ماديا تدركه الأبصار، ولكن الله كائن فوق مرتبة الروح حيث أنه خالق الروح والجسد ويمكن أن نصف الله سبحانه بالحكمة والعقل والأزلية وكلها صفات غير مادية، ولا روحانية وعلى ذلك فذات الله موجودة، وتتجلى قدرته فى كل شىء وتدل آياته فى خلقة، وبديع نظامه فى الكون على أنه العليم الذى لا نهاية لعلمه، الحكيم الذى لا حدود لحكمته، القوى إلى أقصى درجات القوة..

كذلك يجب أن نثق أن الكون بما فيه الإنسان والحياة لم تنشأ من العدم المطلق بل إن لهما بداية ولابد لكل بداية من مبدئ، كما أن لابد لها من نهاية.

كما أننا نعرف أن هذا النظام الرائع المبدع المعقد الذى يسود هذا الكون يخضع لقوانين لم يخلقها الإنسان، بل هو يكتشفها شيئا فشيئا بما يستطيع أن يخترع من الآلات التى تمكنه من ذلك والتى هى إلهام من الله تعالى.

ب - ويقول عالم الطبيعة الأمريكى جورج إيرل دافيز:

إن الله ليس مادة حتى نستطيع أن نصل إليه بالطرق العلمية المادية ولكننا نستطيع أن نتحقق من وجوده باستخدام العقل والاستنباط، مما نتعلمه ونراه، فالمنطق السليم، أنه ليس هناك شىء مادى يستطيع أن يخلق نفسه وإذا سلمنا جدلا أن بقدرة الكون على خلق نفسه، فإننا نصف الكون بالألوهية، أى أننا فى الواقع نؤمن بوجود الله ولكن بصورة قاصرة.

جـ - وهذا أينشتين: أعلم علماء الأرض فى الكون وظواهره، يتحدث فى تواضع العلماء عن شعوره أمام هذه الغيوب فيقول: إن أعظم جائشة من جائشات

النفس وأجملها، تلك التى تستشعرها النفس عند الوقوف فى روعة أمام هذا الخفاء الكونى . . . إن الذى لا تجيش نفسه لهذا ولا تتحرك عاطفته هو حى كميت، إنه خفاء لا نستطيع أن نشق حجبه، وإظلام لانستطيع أن نطلع فجره، ومع ذلك نحن ندرك أن وراءه حكمة هى الحكمة أحكم ما تكون، وهو الجمال أجمل ما يكون. . وهى حكمة وجمال لا تستطيع أن تدركها عقولنا القاصرة، إلا فى صورة لهما لا تزال بدائية هو جوهر التعبد عند الخلائق. . ثم يقول أينشتين: إن دينى هو إعجابى فى تواضع بتلك الروح السامية التى لا حد لها تلك التى تتراءى فى التفاصيل الصغيرة القليلة التى تستطيع أن تدركها عقولنا القاصرة الضعيفة العاجزة[1].

وفى هذا المعنى يقول الإمام أحمد الرفاعى أحد أئمة التصوف الإسلامى: اللهم ذهلت العقول وانحصرت الأفهام وحارت الأوهام وبعدت الخواطر وقصرت الظنون عن إدراك كنه ما ظهر من مبادئ عجائب قدرتك.

(١) مصادر هذا الجزء كتاب «الله يتجلى فى عصر العلم» للدكتور جمال الدين الفندى «قصة السموات والأرض» جمال الدين الفندى وآخرون.

ثالثا: رأى الفلاسفة:

نورد هنا رأى بعض الفلاسفة الإلهيين، من كتاب الملل والنحل للشهرستانى الذين يطلق عليهم الحكماء السبعة وهم: طاليس الملطى ـ انكسا غورس ـ انسكيمانس ـ أنبا دقليس ـ فيثاغورث ـ سقراط ـ أفلاطون.

ويدور كلامهم فى الفلسفة على ذكر وحدانية البارى تعالى وإبداعه للمخلوقات وإحاطته بالكائنات علما وقدرة[1].

١ ـ رأى طاليس: تفلسف فى مالطة (٦٢٤ ـ ٥٥٠ ق. م) قال: إن للعالم مبدعًا لا تدرك صفته العقول من جهة هويته، وإنما يدرك من جهة آثاره، وهذا الذى لا يعرف اسمه فضلا عن هويته، إلا من نحو أفاعيله وإبداعه وتكوينه الأشياء. فلسنا ندرك له اسما من نحو ذاته، بل من نحو ذاتنا، إن القول الذى لا مرد له هو أن المبدع كان ولا شىء مُبدَع، فأبدع الذى أبدع، ولا صورة عنده فى الذات؛ لأنه قبل الإبداع، إنما هو فقط. وقال: إن المبدع أبدع العنصر الذى فيه صور الموجودات والمعلومات كلها فحمل الصور منبع الموجودات كلها هو ذات العنصر، وقال: إن المبتدع الأول هو الماء، وأن الماء قابل لكل صورة، ومنه أبدع الجواهر كلها من السماء والأرض وما بينهما، وهو علة كل مبدع وعلة كل مركب، من العنصر الجسمانى، فذكر أن من تجمد الماء. تكونت الأرض، ومن انحلاله تكون الهواء، ومن صفوة الهواء تكونت النار، ومن الدخان والأبخرة تكونت السماء، ومن الاشتعال الحاصل من الأثير تكونت الكواكب، فدارت حول المركز دوران المسبب على سببه بالشوق الحاصل فيها إليها، وقال: الماء ذكر والأرض أنثى، وهما يكونان سفلا، والنار ذكر والهواء أنثى وهما يكونان علواً.

ويقول الدكتور أحمد أمين فى كتابه قصة الفلسفة اليونانية ص ٢٠: كان الماء عند طاليس هو المادة الأولى التى صدرت منها الكائنات وإليها تعود، وقد ملأ عليه الماء شعاب فكره، حتى خيل إليه أن الأرض قرص متجمد يسبح فوق لجج مائية ليس لأبعادها نهاية، ويرجح أرسطو أن يكون طاليس قد خلص إلى هذه النتيجة لما رأى الحياة تدور مع الماء وجودًا وعدمًا فتكون الحياة حيث الماء، وتنعدم

(١) مصادر هذا الباب كتاب الملل والنحل للشهرستانى: (الفصل الأول من الجزء الثانى).

حيث تنعدم»[1].

المؤلف: يقول الله تعالى ﴿أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

- فجعل الماء المبتدع الأول فى المركبات، وأنشأ منه الأجسام والأجرام السماوية والأرضية. وفى التوراة فى السفر الأول منها: إن مبدأ الخلق هو جوهر خلقه الله تعالى ثم نظر إليه نظرة إلهية فذابت أجزاؤه فصارت ماءً، ثم ثار من الماء بخار مثل الدخان فخلق منه السموات، وظهر على وجه الماء زبد مثل زبد البحر، فخلق منه الأرض، ثم أرساها بالجبال.

وكأننى بطاليس الملطى هذا إنما تلقى مذهبه من هذه المشكاة النبوية، والذى أثبته من العنصر الأول الذى هو منبع الصور، شديد الشبه باللوح المحفوظ المذكور فى الكتب الإلهية المقدسة، المكتوب به مقادير الخلق.

- والماء على القول الثانى شديد الشبه بالماء الذى عليه العرش فى قوله تعالى ﴿وكان عرشه على الماء﴾ [هود: ٧].

٢ - رأى انكساغورس: (٦١١ - ٥٤٧ ق.م):

كان تلميذ لطاليس، عاصره وعاش معه، وقد خالف أستاذه فى أن الماء أصل الوجود، ويرى أن أصل الوجود مادة لا شكل لها، ولا نهاية ولا حدود لها، وهذا قول مردود.

وقال: إن مبدأ الحدود جسم أول متشابه الأجزاء، هى أجزاء لطيفة لا يدركها الحس، ولا ينالها العقل، منها كون الكون كله العلوى منه والسفلى، لأن المركبات مسبوقة بالبسائط، والمختلفات مسبوقة بالمتشابهات، أو ليس الحيوان والنبات وكل ما يتغذى فإنما يتغذى من أجزاء متشابهة أو غير متشابهة، فتتجمع فى المعدة فتصير متشابهة، ثم تجرى فى العروق والشرايين فتستحيل أجزاء مختلفة مثل الدم واللحم والعظم. ويرى أن المرتِّب هو البارى تعالى.

(١) قصة الفلسفة لأحمد أمين ص ٢٠.

٣ ـ رأى انسكيمانس (٥٨٨ ـ ٥٢٤ ق. م)

من المالطيين المعروفين بالحكمة، قال: إن البارى تعالى أزلى لا أول له ولا آخر، هو مبدئ الأشياء، ولا بدء له، وهو المدرَكُ من خلقه أنه هو فقط، وأنه لا هوية له تشبهه، وكل هوية فمبدعَة منه، هو الواحد ليس كواحد الأعداد، لأن واحد الأعداد يكثر وهو لا يتكثر، وكل مبدع ظهرت صورته فى حد الإبداع، كانت له صورة فى علمه الأول، والصور عنده لا نهاية.

ونقل عنه أيضا: أن أول الأوائل من المبتدعات هو الهواء ومنه تكون جميع ما تكون فى العالم من الأجرام العلوية والسفلية.

وقال: ما تكون من صفو الهواء المحض لطيف روحانى لا يندثر ولا يدخل عليه الفساد، ولا يقبل الدنس والخبث، وما يكون من كدر الهواء كثيف جسمانى يندثر ويدخله الفساد ويقبل الدنس والخبث، فما فوق الهواء فهو من صفوة، وذلك عالم الروحانيات، وما دون الهواء من العوالم فهو من كدره، وذلك عالم الجسمانيات، وهو كثير الأوساخ والأوضار.

ـ ويلاحظ أنه على مثال مذهب طاليس إذ أثبت العنصر والماء فى مقابلته، وقد أثبت العنصر والهواء فى مقابلتها، وأنزل العنصر منزلة القلم الأول، وأنزل العقل منزلة اللوح المحفوظ القابل لنقش الصور عليه، وهو أيضا من مشكاة النبوة اقتبس وبعبارات القوم التبس (تعليق الشهرستانى).

٤ ـ رأى أنبا دُقليس: (٤٩٥ ـ ٤٣٥ ق.م):

فى زمن النبى داود عليه السلام[1]، مضى إليه وتلقى منه العلم، واختلف إلى لقمان الحكيم، واقتبس منه الحكمة، ثم عاد إلى يونان وأفاد..

قال: إن البارى تعالى لم تزل هويته فقط، وهو العلم المحض، وهو الإرادة المحضة، وهو الجود والعزة، والقدرة والعدل والخير والحق.

لا لأن هناك قوى مسماه بهذه الأسماء، بل هى هو وهو هذه كلها، مبدع فقط لا أنه أبدع من شىء، ولا أن شيئا كان معه، فأبدع الشىء البسيط الذى هو

(١) داود عليه السلام أسبق من سليمان ابنه، وقد عاشا زمنا معا فى النصف الأول من الألف الأولى قبل ميلاد المسيح.

أول البسائط المعقول، وهو العنصر الأول، ثم كثّر الأشياء المبسوطة من ذلك المبدع البسيط الواحد الأول، ثم كون المركبات من المبسوطات.

وقال: إن العالم مركب من الأصول الأربعة وهى النار والهواء والماء والتراب، وقال: إن الأشياء كامنة بعضها فى بعض، وأنه تكلم فى البارى بنوع حركة وسكون، فقال: إنه متحرك بنوع سكون، وهو مبدعها، إلا أنه يحمل على معنى صحيح لائق بجناب مقدس، حقيق بجلال الحق.

٥ ـ رأى فيثاغورس (٥٨٠ ـ ٥٧٠ ق.م):

من أهل ساميا (ساموس جزيرة تابعة لليونان القديم) وكان فى زمن سليمان النبى ابن داود عليه السلام[١]، أخذ الحكمة من معدن النبوة، وهو الحكيم الفاضل، يدعى أنه شاهد العوالم العلوية بحسه ،وحدسه، وبلغ فى الرياضة إلى إن سمع حفيف الفلك ووصل إلى مقام الملك، وقال ما سمعت شيئا قط ألذ من حركاتها، ولا رأيت شيئا قط أبهى من صورها وهيئاتها.

وقال: إن البارى تعالى واحد لا كالآحاد، ولا يدخل فى العدد ولا يدرك من جهة العقل ولا من جهة النفس، فلا الفكر العقلى يدركه، ولا المنطق النفسى يصفه، فهو فوق الصفات الروحانية، غير مدرك من نحو ذاته، وإنما يدرك بآثاره، وصنائعه وأفعاله، وكل عالم من العوالم يدركه بقدر الآثار التى تظهر فيه صنعته، فينعته ويصفه بذلك القدر الذى يحضه من صنيعته، فالموجودات فى العالم الروحانى قد خصت بآثار خاصة روحانية فتنعته من حيث تلك الآثار، والموجودات فى العالم الجسمانى قد خصت بآثار جسمانية فتصفه من حيث تلك الآثار، ولا نشك أن هداية الحيوان مقدرة على الآثار التى جبل عليها، فكل يصفه من نحو ذاته، ويقدسه عن خصائص صفاته.

٦ـ رأى سقراط: (ولد فى أثينا ٤٧٠ ق.م):

كان أبوه يحترف صناعة التماثيل، واشتغل بصناعة أبيه ثم تركها وتخصص فى الفلسفة، نهى الرؤساء الذين كانوا فى زمانه عن الشرك وعبادة الأوثان،

---

(١) عاش سليمان فى النصف الأول من الألف الأولى قبل الميلاد.

فحبسه الملك وقضى عليه.

قال سقراط: إن البارى لم يزل هوية فقط، وهو جوهر فقط، وإذا رجعنا إلى حقيقة الوصف، والقول فيه وجدنا المنطق والعقل قاصرين عن اكتناء وصفه، وحقيقته وتسميته، وإدراكه، لأن الحقائق كلها من تلقاء جوهره. فهو المدرك حقا، والواصف لكل شيء وصفا، والمسمى لكل موجود اسما.

فكيف يقدر المسمى أن يسميه اسما؟ ... وكيف يقدر المحاط أن يحيط به وصفا؟ فنرجع ونصفه من جهة آثاره وأفعاله وهى أسماء وصفات، إلا أنها ليست من الأسماء الواقعة على الجوهر، المخبرة عن حقيقته، وذلك مثل قولنا إله، أى واضع كل شيء، وخالق ... أى مقدر كل شيء، وعزيز أى ممتنع أن يضام، وحكيم.. أى محكم أفعاله على النظام، وكذلك سائر الصفات ... وقال: إن علمه وقدرته ووجوده وحكمته أنه حىّ قيوم.. لأن العلم والقدرة والوجود والحكمة، تندرج تحت كونه حيا، والحياة صفة جامعة للكل، والبقاء والسرمد والدوام وحفظ النظام فى العالم تندرج تحت كونه قيوما.

وقال: إن أصول الأشياء ثلاثة وهى: العلة الفاعلة والعنصر، والصورة، فالله تعالى هو الفاعل. والعنصر هو الموضوع الأول للكون، والصورة جوهر لا جسم، والمبدع الأول ليس بذى نهاية، ليس على أنه ذاهب فى الجهات كما يتخيله الخيال والوهم، بل لا يرتقى إليه الخيال حتى يضعه بلا بداية ولا نهاية، فلا نهاية من جهة العقل إذ ليس يحده، ولامن جهة الحسن فليس يحده. فهو ليس له نهاية، فليس له شخص ولا صورة، أو وجودية حسية، أو عقلية.. تعالى وتقدس...

ومن مذهب سقراط، أن النفوس الإنسانية كانت موجودة قبل وجود الأبدان، ومن أقواله: عندما فتشت عن علة الحياة، ألفيت الموت، وعندما وجدت الموت، ألفيت الحياة الدائمة.

*** بيوت العبادة عند اليونانيين القدماء:**

لقد بنى اليونانيون القدماء ثلاثة أبيات على طوالع مقبولة:

أحدهم: بيت أنطاكية: على جبلها وكانوا يعظمونه، ويقربون القرابين فيه،

وقد خرب.

الثانى: من جملة الأهرام التى بمصر، بيت كان فيه أصنام تعبد، وهى التى نهاهم سقراط عن عبادتها

الثالث: بيت المقدس[1] الذى بناه داود ابنه سليمان عليهما السلام، وقد عظمه اليونان تعظيم أهل الكتاب إياه.

٧ ـ رأى أفلاطون الإلهى:

يرجح مولده بين (٤٢٩ ـ ٤٢٧ ق.م). فى أثينا، عرف بالحكمة والتوحيد وتولى بعد سقراط.

قال أفلاطون: إن للعالم محدثا مبدعا أزليا، واجبا بذاته، عالما بجميع معلوماته، كان فى الأزل ولم يكن فى الوجود رسم ولا طلل، إلا مثالا عند البارى تعالى، ربما يعبر عنه بالهيولى، وربما يعبر عنه بالعنصر ولعله يشير إلى صور المعلومات فى علمه تعالى.

وقال: العالم عالمان: عالم العقل، وفيه المثل العقلية، والصور الروحانية، وعالم الحس، وفيه الأشخاص الحسية والصورة الجسمانية.

* خلاصة القول فى الباب الأول:

أ ـ رأى الإسلام من الكتاب والسنة:

١ ـ كان الله ولم يكن شىء قبله.

٢ ـ كان عرشه على الماء.

٣ ـ ﴿وجعلنا من الماء كل شىء حى﴾

٤ ـ أول ما خلق الله القلم وقال له: اكتب، فكتب مقادير الخلائق إلى قيام الساعة.

---

(١) بيت المقدس يقال أن آدم عليه السلام بناه بعد ان أتم بناء الكعبة المشرفة بمكة بأربعين سنة وأعاد بناءه يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم جميعا السلام فى القرن السابع قبل الميلاد. وجدده سليمان عليه السلام، ثم الوليد بن عبد الملك بن مروان فى العصر الأموى الإسلامى

٥ - اللوح المحفوظ به ما كتبه القلم من مقادير الخلائق التى سبق علم الله تعالى بها.

٦ - هناك عالمان: عالم الغيب، ولا يعلمه إلا الله، وعالم الشهادة وهى صورة حسية، لما هو مكتوب فى اللوح المحفوظ.

٧ - السموات والأرض فى جوف الكرسى، واتساع الكرسى على السموات السبع والأرضين السبع كاتساع الصحراء على الدراهم السبعة.

٨ - الكرسى الذى وسع السموات والأرض، كحلقة فى فلاة (صحراء) أخرى هى عرش الرحمن سبحانه وتعالى.

٩ - أن الله تعالى: هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم، لا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار وأنه ليس كمثله شىء وهو السميع البصير.

ب - رأى العلم:

١ - لهذا الكون مبدع منظم أزلى وهو الذى أبدع ونظم هذا الكون.

٢ - أن هذا الكون محدث، وأن الذى أحدثه قديم لم يسبقه شىء.

٣ - أن هذا الكون المحدث به عوامل فنائه، فهو سائر إلى فناء.

٤ - الأول الأزلى المبدع لا نهاية له.

٥ - يستحيل على هذا الكون أن يحدث نفسه أو أن ينظم نفسه، وأن القوانين المنظمة لهذا الكون، هى من إبداع المبدع الأولى الأزلى. ولا يمكن أن تكون قد أبدعت نفسها أو أن الصدفة هى التى أبدعتها.

٦ - قبل هذا الكون كان هناك الخالق البارئ المصور الأول الأزلى الذى ليس كمثله شىء.

جـ - كما نخلص من رأى الفلاسفة ومعظمهم كما رأينا تتلمذ وأخذ الحكمة عن نبى الله داود وابنه سليمان عليهما السلام، نرى آراءهم جميعا تدور حول الآتى: (فى القرن السابع والسادس والخامس قبل الميلاد)[1]:

(١) فتح طالوت بيت المقدس عام ٩٩٦. قبل الميلاد: إسرائيل فى الكتاب المقدس - سعد زغلول نصار ١٩٦٧.

١ ـ أن هذا الكون محدث مبدع بعد أن لم يكن موجودا.

٢ ـ أن الذى أحدثه وأبدعه، واحد موصوف بالأزلية، والقيومية والسرمدية.

٣ ـ أن الأول الأزلى موصوف بالكمال والجلال والعظمة والمنعة، وأنه لا يتخيله عقل، ولا يحده وهم، ولا يحل بزمان أو مكان.

٤ ـ أن هذا الأول الأزلى، أوجد العنصر الأول، أو الهيولى الأول ومنه استحدثت الموجودات الحسية.

٥ ـ هناك عالم عقلى روحى غيبى لا يدرك، وهناك عالم حسى مشاهد مدرك، وهو صورة لما هو موجود للعالم الغيبى.

مما سبق يتضح الآتى:

١ ـ تطابق ما جاء به العلم الحديث (علوم الطبيعيات) وما قاله الفلاسفة مع ما ذكره القرآن الكريم والسنة المطهرة، فى أن السموات والأرض وهذا الكون المشاهد، قد سبقه خلق فى عالم الغيب، وأنه قبل خلق هذين العالمين، كان هناك خالق مبدع سبق السموات والأرض، وأحدثهما وأبدع ما فيهما.

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ . هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ . هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢، ٢٣].

٢ ـ تطابق ما جاء به العلم الحديث وما قاله الفلاسفة مع القرآن الكريم والسنة المطهرة فى أن هذا الأول الأزلى : الخالق البرئ المصور ، المبدئ المعيد. ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وأنه لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار.

وإن اختلفت معانى هذه الأسماء، بين تصور علماء الطبيعيات والفلاسفة وبين ما يقرره علماء الدين وأهل الكتاب.

٣ ـ أن ما ذكره العلماء والفلاسفة، ومن أن الله (الأول الأزلى) ليس له ذات كذوات مخلوقاته، ولا يمكن أن ينطبق عليه ما ينطبق على المادة، أو أن يتخيله العقل أو يصفه، إنما يتفق ذلك مع ما ذكرته الكتب المقدسة.

٤ ـ أن ما ذكره العلماء والفلاسفة من أن البارى تعالى قد أوجد العنصر الأول أو الهيولى الأول، ومنه اشتقت الموجودات وتحولت المادة من البسائط إلى المركبات، يشبه ذلك ما ذكر عن رسول الله ﷺ: «**إن أول ما خلق الله القلم ثم قال له اكتب، فكتب مقادير الخلائق إلى قيام الساعة فى اللوح المحفوظ**» فالعنصر الأول هو القلم، وأن المقادير فى عالم المشاهدة تسير حسب ما دونه القلم فى اللوح المحفوظ.

*** والإجابة على السؤال المطروح: ماذا قبل السموات والأرض؟**

ـ هو ما أجاب عنه القرآن الكريم والسنة المطهرة، وما أجابت عنه الكتب المقدسة السابقة، قبل تحريفها، وهو أن الله تعالى كان ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء.

ـ كما أن النتيجة الحتمية التى نستخلصها من هذا البحث أن آراء الفلاسفة، وما ذكره العلماء فى شتى فنون العلوم الطبيعية من نظريات خلق الكون، وتفسير ظواهره المختلفة وآرائهم، فيما وراء المادة، ووراء عالم المشاهدة، أن آراءهم فى عالم الغيب، إنما هى تفسيرات واستنتاجات، فهمها العلماء والفلاسفة من الكتب المقدسة التى نزلت على آدم ونوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب... وما أوتى النبيون من ربهم.

كما نرى أن آراء الفلاسفة وما استنبطه العلماء فى الطبيعيات قد أخذت من الكتب المقدسة، ثم حرفت حسب الهوى، واتباع العقل، والابتعاد عن الوحى الإلهى، ومنها ما هو صحيح قريب مما جاء فى الكتب المقدسة والقرآن الكريم والسنة المطهرة الصحيحة ومنها ما انحرف عن القصد لسوء الفهم أو اتباع الهوى..

وحيث أن الدين والوحى الإلهى الذى نزل على آدم عليه السلام ﴿**وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة**﴾ [البقرة: ٣١].

أسبق من الفكر وإعمال العقل عند الإنسان، ولأن الدين والوحى هو الفطرة التى فطر الله الناس عليها، حيث أخذ الله العهد والميثاق على بنى آدم فى عالم الذر حيث يقول الله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ**

﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وهو ما ذكره الرسول ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يمجسانه أو يهودانه أو ينصرانه**»، فالفطرة الإنسانية السوية تشهد بوجود الله، وتشهد أنه هو الإله المستحق وحده للعبادة والطاعة. ثم يغوى الشيطان، من أراد الله أن يضله عن هذه الفطرة السوية.

ومما يدل على صحة ذلك ما ذكر عنه أصل الحضارة، هى مصر الفرعونية القديمة التى عرفت التوحيد قبل أكثر من سبعة آلاف سنة، ويقال أن مبعث هذه الحضارة هو بعث النبى إدريس جد أبى نوح عليهما السلام، وأنه أول من خط بقلم، ونظر فى النجوم، وعنه أخذ المصريون، حكمتهم وحضارتهم، ونقلها عنهم بنو إسرائيل عند خروجهم من مصر فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد، ثم الفينيقيون بأرض الشام، وعن أنبياء بنى إسرائيل، وعن الحضارة المصرية، فى عصر الإسكندر الأكبر المقدونى فى القرن الرابع قبل الميلاد، وما قبله حتى القرن الرابع عشر قبل الميلاد، أخذ اليونانيون أسس هذه الحضارة فى شتى العلوم، والفلسفة، وبنو عليها حضارتهم فى بلادهم كما ستوضح فى الفصول القادمة.

أى أن منشأ الحضارات والعلوم هو الوحى الإلهى أولا، ثم إعمال العقل القوى عند الإنسان، فى إطار هذا الوحى الإلهى، وقد يخرج العقل كلية عن مجال الوحى فيضل ضلالا بعيدا، وقد يقترب العقل من مجال الوحى بدرجات متفاوتة من البعد والقرب، وقد يظل العمل العقلى مقاربا للوحى الإلهى، فيبنى الحضارة والحياة على الأرض فى إطار التوحيد الخالص، واتباع كتاب الله وسنة رسوله كما حدث هذا فى الدولة الإسلامية الأولى، فى عهد الراشدين، ثم الأمويين، والعصر العباسى الأول...

وسنتحدث عن ذلك بالتفصيل فى بحث آخر إن شاء الله.

الفصل الثانى

كيف نشأ هذا الكون بسمواته وأراضيه

سنسير فى منهجنا البحثى على نفس الخطوات التى اتبعناها فى الباب الأول، أى أننا ستتحدث عن رأى علماء الدين القدماء والمحدثين، وما ذكروه فى ذلك ثم نورد ما ذكره علماء الطبيعيات وأرباب الفلسفة، فى تفسير الكيفية التى نشأت بها السموات والأرض والكواكب والنجوم وغيرها.

أولا: رأى الدين فى كيف نشأ الكون؟

يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ . لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ . وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ .وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ [الحجر: ١٤ ـ ١٧].

ويقول جل شأنه: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [فصلت: ٩ ـ ١٢].

ويقول سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩].

وقبل أن نستطرد فى حديثنا، نريد أن نطرح سؤالا هاما، وهو: ما الذى جعل أول انعكاس فى نفس «جاجارين» رائد الفضاء الروسى، حين انطلق فى الفضاء . . . هو البحث عن الله تعالى؟

وجاجارين . . كما نعرف ولد ونشأ فى ظل الحكم الشيوعى فى روسيا، هذا الحكم الذى قام عام ١٩١٧م، والشيوعية تنكر الدين والوحى، نقول ما الذى جعل جاجارين يفعل ذلك؟

إنه الإنكار الذى يحمل فى طياته معنى الاعتراف.

إذ من الذى كلف هذا الرائد وزميله (تيتوف)، بالبحث عن الله فى السماء؟

إنها تلبية لنداء الفطرة المنطلق من أعماق النفس البشرية، مهما تراكمت عليه الضغوط، وأطبقت عليه الظلمات، ثم . . من الذى قال أن الله فى السماء؟ وأى سماء هذه التى صعدوا إليها، إنه انحراف فى التصوير، يشفع له على أى حال أنه اتجاه ما فى طريق الوصول إلى الله.

- إن حواس الإنسان المعروفة، محدودة المدى فى إدراك الحقائق للوجود، وفى إمكان تجاوز حدود الزمان والمكان؛ لأن هذه الحواس المادية لا تعترف إلا بما يقع تحت تأثيرها من هذه المواد، هذه المادة التى تتكون منها جميع المحسوسات، الأرض وما عليها من جبال ومحيطات وأنهار، وما فى باطنها من معادن، وما يعمرها من إنسان وحيوان ونبات، وما أنتجه الجهد البشرى من عمارة وصناعات، ثم هذه الأجرام السماوية وما فيها من شموس وأقمار ومذنبات وشهب، هذه المادة التى تبدو فى صورتها الصلبة والسائلة والغازية، الحية والجامدة، المضيئة والمظلمة، ليست فى حقيقتها العلمية إلا طاقة تتشكل وفقا لقوانين معينة فى التركيب والترتيب والسرعة، تعطى كل كائن شكله المادى وخواصه . . هذه القوانين أرادها الخالق لخلقه منذ خلق السموات والأرض.

إن جاجارين الذى كان أول إنسان فى القرن العشرين يرتاد الفضاء الخارجى لكوكب الأرض، لازال عقله وقلبه اللذين غشاهما ظلام الإلحاد العلمانى، بغشاوة من الضلال والزيغ، ولم ينفعه علمه، علم القرن العشرين عن يقين الإيمان ونور النبوة، ذلك أن قوله: إننى لم أجد الله فى السماء سبق أن قاله فرعون لموسى عليه السلام (في القرن الرابع عشر قبل الميلاد)،حيث قال لوزيره هامان: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [القصص: ٣٧].

وفى آية أخرى: ﴿أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ﴾ [غافر: ٣٧].

(أسباب السماء: نواحيها ومراقيها):

وكذلك صُد جاجارين وصُد علماء الفضاء فى روسيا الشيوعية وحكامهم عن

السبيل وما كيدهم إلا فى ضلال، فكما أغرق الله فرعون وهامان وجنودهما، أسقط الله تعالى الشيوعية فى الاتحاد السوفيتى وتمزقت أشلاؤه، فى أوائل التسعينات من هذا القرن.

إن الإنسان منذ وجد على سطح هذا الكوكب الأرضى، وهو يبحث ويتأمل فى ملكوت السموات والأرض، فقد روى أن إدريس (النبى)عليه السلام وهو حفيد شيث بن آدم عليه السلام، وجد أبى نوح، وكان اسمه أخنوع، روى أن الله تعالى أنزل عليه ثلاثين صحيفة، وأنه أول من خط بقلم، ونظر فى علم النجوم والحساب، جاء ذلك فى قصص الأنبياء لابن كثير، وتوالى بعد ذلك النظر والبحث والتأمل فى طريقين طريق الرشاد والوحى والإيمان، وطريق الغى والضلال، فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم، وأما الذين كفروا مثل فرعون وجاجارين وأهل العلمانية (الدينوية) المادية، المنكرة للوحى والنبوة، فيقولون: لم نجد الله فى السماء، وينكرون الرب والإله الواحد وينكرون البعث فلعنة الله على الظالمين.

١ - رأى الدين فى النظر فى ملكوت السموات والأرض:

أوجب الله تعالى فى أمر واضح ملزم فى أكثر من آية فى كتابه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلقه، أوجب علينا النظر فى آياته والتدبر فى بديع صنعته ومخلوقاته، والأدلة التى نصبها ناصعة جلية دالة على وجوده، ليعرفوه بها، وهذه الآيات التى نصبها الله تعالى لعباده هى من جنس الحواس التى زودهم بها سبحانه وتعالى، حتى إذا ما تدبروا هذه الآيات (المادية)، أيقنوا أن وراءها، عالم غيبىّ وأن وراء العالمين خالق ومدبر ومنظم حكيم هو الله تعالى...

فيقول الحق تبارك وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ٨٥] ويقول سبحانه: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

- فهو سؤال استنكار وتوبيخ وتعجب من الذين لم ينظر فى بديع السموات والأرض أو ممن نظروا ولم يؤمنوا.

(١) صفوة التفاسير (محمد بن على الصابونى)، ظلال القرآن (سيد قطب) معجم آيات القرآن الكريم (محمد منير الدمشقى) المعجم المفهرس للقرآن الكريم.

حيث يقول المفسرون[1]: أو لم ينظروا: استفهام إنكارى، وعجب من أعراضهم عن النظر فى آيات اللهو ليعرفوا اكمال قدرته، والملكوت: الابنية العظيمة المبالغة ـ ومعناها أيضا الملك العظيم.

وقد استدل العلماء الفقهاء بهذه الآية وما كان قبلها، بوجوب النظر فى آيات الله، والاعتبار بمخلوقاته، حيث قال ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١] وقوله سبحانه ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾[ق:٦].

وأول واجبات النظر والاستدلال، أن الله تعالى لا يعلم ضرورة، وإنما يعلم بالنظر والاستدلال بالأدلة التى نصبها لمعرفته.

أى لا تدرك ذاته الحواس، وإنما يدرك عن طريق آياته فى الخلق والإبداع وقال بعضهم: أن أول الواجبات:هو الإيمان بالله ورسوله والعلم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ثم النظر والاستدلال المؤديان إلى معرفة الله تعالى حق المعرفة، وترسيخ الإيمان به سبحانه، أى أن يكون العمل العقلى والمنهج البحثى فى علوم الطبيعيات والعلوم الفكرية والإنسانية، محاطا بسياج الوحى والإيمان بالله وكتبه ورسله.

فالعاقل ينظر إلى نفسه، ويتفكر فى خلقه من حين كان ماءً دافقًا، حيث يقول الحق تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٥]. إلى كونه خلقا سويا يُعان بالاغذية ويربى بالرفق، وأنه قد أتى عليه قبل ذلك من حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا، كما قال الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الدهر: ١].

والآيات القرآنية التى ترشد الإنسان إلى طريق التعبد والتأمل الصحيح كثيرة، ففى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [الأنعام: ٩٥].

فنرى أن الله سبحانه وتعالى، قد رسم لنا طريقا للاستدلال على عظمته، فى أحد عجائب صنعه الذى يعجز عن أدنى شيء منه طواغيت المشركين والملحدين،

وذلك بالتأمل فى شق الحب والنوى عندما ينزل عليه الماء، فينفلق عندما هيئت له ظروف الإنبات من ماء وحرارة وهواء، فيسأل الإنسان نفسه من الذى هيأ هذه الظروف التى يستجيب لها الجنين الكامن داخل الفلقتين الميتتين، ويخرج من بينهما، أوراقا خضراء، ويتغذى على محتويات الفلقتين الميتتين فلا حراك فيها، لتتحول إلى أوراق حية وجذور تنمو وتكبر وتتنفس ثم تكمل دورة حياتها وتزهر، وفى الزهرة تتم عملية التلاقح والإخصاب، وتتكون الثمار وبداخلها بذور، كل بذرة عبارة عن فلقة أو فلقتين، ويكمن بداخلها الجنين الذى يحمل عوامل الحياة. .

قال ابن عباس والضحاك: فيما ذكره ابن كثير فى تفسير الآية: إن الله فالق: أى خالق - النوى: جمع نواة، ويجرى فيما كل ماله حجم كالمشمش والخوخ والنخيل.

فدلت هذه الآيات وما شابهها على أن من تدبر ونظر ببصره وبصيرته وفؤاده وتفكر، لابد أن يعلم علم اليقين أن هذه المخلوقات المتغيرة من حب ونوى إلى نبات أخضر، إلى زهور وثمار وحبوب وبذور مرة أخرى لا بد لها من مغير، لا يتغير ولا يتبدل، ولابد لهذا المغير أن يكون عليما بشئون خلقه، حكيما فيما خلق، وهو الله سبحانه وتعالى.

﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

وفى ختام الآية الكريمة يخاطب الله تعالى المشركين الذين يتخذون آلهة من غيره بقوله ﴿ذلكم الله﴾، هذا خلق الله وتدبيره وإعجازه ﴿فأنى يؤفكون﴾ فإلى أين تصرفون وتذهبون، وتعبدون آلهة لا تستطيع أن تفعل شيئا، أو تخلق شيئا، وهم يخلقون.

فالحق تبارك وتعالى هو: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ. وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾[الأعلى:٢].

بقوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧].

كيف نشأ الكون:

أ ـ ما ذكره ابن كثير فى كتابه البداية والنهاية وفى تفسيره ـ وما ذكره ابن الأثير فى كتابه الكامل(بتصرف):

قال تعالى: ﴿خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام﴾ فى غير ما آية من القرآن الكريم، وقد اختلف المفسرون فى مقدار هذه الأيام الستة على قولين:

١ ـ القول الأول: يرى جمهور المفسرين أنها كأيامنا هذه.

٢ ـ القول الثانى: عن ابن عباس ومجاهد والضحاك وكعب الأحبار، أن كل يوم منها كألف سنة مما يعدون. . . واختار هذا القول للإمام الأحمد بن حنبل فى كتابه الذى رد فيه على الجهمية،وروى أن أسماء هذه الأيام: أبجد ـ هوز ـ حطى ـ كلمن ـ سعفص ـ قرشت ـ ثم يوم الجمعة.

وهذا الفريق الأخير، يرى أن ما ورد من أن الخلق بدأ يوم السبت أو الأحد، أو الجمعة أو فى يوم كذا، إنما هو مجاز، كما يرى ذلك ابن الأثير فى كتابه الكامل فى التاريخ، ويستدل على ذلك بأن الأيام عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها، والليالى عما بين غروبها وطلوعها، ولم يكن هناك فى ذلك الوقت شمس ولا سماء، وإنما المراد به أنه خلق كل شىء بمقدار يوم، كقوله ﴿ولهم فيها رزقهم فيها بكرةً وعشيًا﴾ وليس فى الجنة بكرة وعشيا.

وهذا ما ذكر فى قوله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ . وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ . ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ . فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ٩ ـ ١٢].

تدل هذه الآيات الكريمات، على أن الأرض خلقت أولا؛ لأنها كالأساس

للبناء، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذي جعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٤].

وقال تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

أى فصلنا ما بين السماء والأرض حتى هبت الريح ونزل المطر.

وهذا هو الرأى الأول: وهو تقدم خلق الأرض قبل خلق السموات.

أما الرأى الثانى: فقد تمسك به بعض المفسرين على أن خلق السموات تقدم على خلق الأرض، واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا. مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾ [النازعات: ٢٧ ـ ٣٢]

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ. وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ. وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات:٤٧ـ ٤٩].

والأيد: القوة ـ ﴿وإنا لموسعون﴾ يتفق مع ما جاء فى النظرية العلمية كما سنوضح فيما بعد.

ذلك أن كل ما علا وأظل فهو سماء، وكل سماء أعلا من التى تحتها فهى أوسع منها، ولهذا كان الكرسى أعلى من السموات وأوسع منهن كلهن والفرش والعرش أعظم من ذلك بكثير.

ويرى ابن كثير أو الواو فى قوله تعالى: ﴿والأرض فرشناها﴾ بعد قوله تعالى ﴿والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون﴾ أن الواو لا تفيد الترتيب أو تقضى الترتيب فى الوقوع، كما يرى ابن كثير أن حديث أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش فى اليوم السابع وخلق التربة فى يوم السبت وخلق كذا يوم الأحد» إلى

نهاية اليوم السادس يرى ابن كثير أن أبا هريرة، أخذه عن كعب الأحبار اليهودى، وروى عنه مرفوعا إلى رسول الله (ﷺ)، كما فى متنه غرابة شديدة.

وذكر ابن كثير... عن ابن عباس وابن مسعود وعن آخرين من أصحاب رسول الله (ﷺ) أنه قال فى قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ (البقرة: ٢٩).

قال رسول الله ﷺ: «إن الله كان عرشه على الماء، ولم يخلق شيئا مما خلق قبل الماء، فلما أراد أن يخلق الخلق، أخرج من الماء دخانا، فارتفع فوق الماء، فسماه سماء، ثم أيبس الماء فجعله أرضا واحدة، ثم فتقها فجعلها سبع أراضين فى يومين (الأحد والإثنين)، وخلق الأرض على حوت وهو النون ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾، والحوت فى الماء والماء على صفات، والصفات على ظهر ملك والملك على صخرة والصخرة فى الريح»

ويرى ابن كثير أن هذه الرواية من الإسرائيليات.

وقد حكى ابن حزم وابن المنذر، وأبو الفرج بن الجوزى، وغير واحد من العلماء، الإجماع على أن السماوات كرة مستديرة، واستدل على ذلك بقوله ﴿كل فى فلك يسبحون﴾ قال الحسن: أى يدورون..، وقال ابن عباس فى فلكة مثل فلكة المغزل...

قالوا: ويدل على ذلك أن الشمس تغرب فى كل ليلة فى المغرب ثم تطلع فى آخرها من المشرق، كما قال أمية بن أبى الصلت.

ما ذكره الطبرى فى تاريخه:

أ ـ القول فى الدلالة على أن الله عز وجل هو القديم الأول قبل كل شىء وأنه المحدث كلّ شىء بقدرته تعالى:

يقول الطبرى: إن بارئ كل شىء ومحدثها كان قبل كل شىء، وأن الليل والنهار والزمان والساعات محدثات، وأن محدثها الذى يدبرها ويصرفها، لابد أنه موجود قبلها، إذ من المحال أن يكون شىء يحدث شيئا إلا ومحدثه قبله، وإن فى قوله تعالى: ﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ . وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ .

وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ . وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧ - ٢٠]، لأبلغ الحجج وأدل الدلائل لمن فكر بعقل واعتبر بفهم على قدم بارئها، وحدوث كل ما جانسها، وأن لها خالقًا لا يشبهها، وذلك أن كل ما ذكر ربنا تبارك وتعالى فى هذه الآية من الجبال والأرض، والإبل، فإن ابن آدم يعالجه، ويدبره بتحويل وتصريف وحفر ونحت وهدم غير ممتنع عليه شيء من ذلك، ثم إن ابن آدم مع ذلك غيرْ قادر على إيجاد شيء من ذلك من غير أصلٍ، فمعلوم أن العاجز عن إيجاد ذلك لم يحدث نفسه وأن الذى هو ممتنع ممن أراد تصريفه وتقليبه لم يوجده من هو مثله ولا هو أوجد نفسه، وأن الذى أنشأه وأوجده عينه هو الذى لا يعجزه شيء أراده ولا يمتنع عليه إحداث شيء شاء إحداثه وهو الله الواحد القهار.

٢ - القول فى ابتداء الخلق ما كان أوله:

ذكر الطبرى فى تاريخه: فى حديث مرفوع إلى عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فجرى فى تلك الساعة بما هو كائن**».

كما ذكر الطبرى عن وهب بن منبه قوله: إن السموات والأرض والبحار لفى الهيكل، وإن الهيكل لفى الكرسى، وإن قدميه عز وجل لعلى الكرسى وهو يحمل الكرسى وعاد الكرسى فى قدميه كالنعل... وقد سئل وهب: ما الهيكل؟ قال: شيء فى أطراف السموات محدق بالأرضين والبحار كأطناب الفسطاط، وسئل عن الأرضين كيف هى؟.. قال: هى سبع أراضين ممهدة جزائر بين كل أرْضين بَحرٌ والبحر محيط بذلك كله والهيكل وراء البحر.

وقيل أنه كان بين خلقه سبحانه وتعالى القلم، وخلقه سائر الخلق ألف عام.

وقد سبق أن ذكرنا ما ذكر ابن الأثير فى (الكامل)، أن الله خلق القلم، فكتب ما هو خالق...، وما هو كائن من خلقه، فلما أراد جل جلاله أن يخلق السموات والأرض، خلق فيما ذكر أيامًا ستة: سمى الأول: أبجد - والثانى: هوز والثالث: حطى - والرابع: كلمن - والخامس: سعفص - والسادس: قرشت. قال الضحاك بن مزاحم، ذكر ذلك الطبرى أيضا فى تاريخه.

وذكر الطبرى: أن آخرين قالوا: بل خلق الله واحداً فسماه أحد، وخلق ثانيه فسماه اثنين، وثالثا فسماه الثلاثاء، ورابعا فسماه الأربعاء، وخامسا فسماه الخميس.

وذكر أنه اختلف فى اليوم الذى بدأ الله فيه الخلق.. فقيل الأحد..

قال عبد الله بن سلام: إن الله تبارك وتعالى ابتدأ الخلق فخلق الأرض يوم الأحد، وخلق الأرضين فى الأحد والاثنين، وعند الضحاك فى قوله تعالى: ﴿وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام﴾ [هود: ٧] قال أنها من أيام الآخرة، كل يوم عند الله كألف سنة من أيام الدنيا، ابتدأ الخلق، يوم الأحد (١٠٠٠ سنة) وقال آخرون بل بدأ الخلق يوم السبت، ويقول أهل التوراة.. أنه بدأ الخلق يوم الأحد... وقال أهل الانجيل: بدأ الخلق يوم الإثنين ويقول المسلمون بدأ الخلق يوم السبت.

ويعلق الطبرى على هذه الأقوال فيقول:

وأولى الأقوال عندى بالصواب قول من قال اليوم الذى ابتدأ الله تعالى فيه الخلق ﴿السموات والأرض﴾ يوم الأحد، لإجماع السلف من أهل العلم على ذلك، ولأن الله تعالى فرغ من جميع خلقه يوم الجمعة وهو اليوم السادس ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الآيات).

وفى قوله تعالى: ﴿الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام﴾ (الآية).

يقول الطبرى: ولا خلاف عند جميع أهل العلم أن اليومين اللذين ذكرهما الله تعالى فى قوله: ﴿فقضاهن سبع سموات فى يومين﴾، داخلان فى الأيام الستة اللاتى ذكرت فى الآية الثانية، وأن ما ورد عن رسول الله ﷺ بأن آخر ما خلق الله من خلقه آدم عليه السلام، وإن خلقه إياه كان يوم الجمعة، وأن يوم الجمعة الذى فرغ فيه من خلق خلقه داخل فى الأيام الستة، التى أخبر الله تعالى ذكره أنه خلق خلقه فيهن؛ لأن ذلك لو لم يكن داخلاً كان كأنما خلق خلقه فى

سبعة أيام لا فى ستة أيام، وذلك خلاف ما جاء به التنزيل.

ثانيا: رأى العلم فى كيف نشأ الكون؟

نورد فى هذا المقام النظريات العلمية التى فسرت نشأة السموات والأرض، ولازالت الأبحاث العلمية والفضائية تشهد لها بالصحة، فماذا قال علماء الطبيعيات عن المادة التى نشأ منها الكون (السموات والأرض)؟

١ ـ كيف تكونت المجرات؟[1].

أ ـ إن هذا الفضاء الكونى، ينتشر فيه غاز خفيف رقيق بدرجة لا تكاد تلمس.

وهذا الغاز أشبه ما يكون بالدخان غير المرئى من خفتة، وللغاز خاصية الانتشار، فهو دائما يملأ الفراغ المعرض له، والفراغ الكونى يمكن أن يملأ بالغاز مهما قلت درجة تركيزه، ولم يمكن هذا الغاز أو الدخان سوى غاز الأيدروجين الذى أخذ يتكتل، لسبب من الأسباب كحدوث الدوامات فى مناطق عظيمة الحجوم، مكونا مجاميع من السحب التى تفوق فى حجومها حد الوصف والخيال وتمخضت كل سحابة عن سديم برمته وهو ما يعرف بالمجرة.

ب ـ معنى هذا أن الكون الذى نعيش فيه، بدأ فى صورة غاز الأيدروجين، أما العناصر الأخرى فقد تولدت بعد ذلك منه، تحت ظروف خاصة، حيث أن الأيدروجين هو أبسط عناصر المادة تركيبا، وأهمها فى تركيب جزىء الماء، وما تمخض عنه بعد ذلك من تكوين المجرة إذا انقشع الغاز عن بعض الأجزاء، وتراكم فى بؤرات خاصة ولدت النجوم والشموس، فشمسنا مثلا يتكون من نحو ٩٩٪ منها من غاز الأيدروجين ورماده غاز الهيليوم، حيث أن غاز الأيدروجين عندما ينفجر فى سلسلة من التفاعلات الذرية، تحت ظروف تتوافر فى الشمس فإنه يتحول تدريجيا إلى الهيليوم، فى حين تنطلق الطاقة الكبيرة من الإشعاعات.

جـ مثل تحول الأيدروجين إلى هيليوم، يمكن أن يتكاثف ذريا، ويتحول إلى

---

(١) مادة هذا البحث: أخذناها بتصرف من كتب: «مع الله فى السماء» د. أحمد زكى مدير جامعة القاهرة سابقا «نظرية التطور وأصل الإنسان» سلامة موسى. «فى أعماق الفضاء» للأستاذ عبد الحميد سماحة، طبيعيات الجو وظواهره ـ د. محمد جمال الدين الفندى.

عناصر ثقيلة، داخل النجوم والأفلاك، وقد قدر أن ذرة الأيدروجين توجد بمعدل ألف ذرة لكل ذرة واحدة من ذرات الكون الأخرى مجتمعة.

وبذلك تنشأ المجرة التى تتكون من ملايين الملايين من النجوم والكواكب والشهب والنيارك وغيرها.

٢ ـ كيف نشأت النجوم والشموس؟:

أ ـ رأينا أن غاز الأيدروجين تتكون منه المجرات وأولى خطوات تكوين النجوم تتلخص فى انقسام بعض الغازات المكونة للمجرة إلى مجاميع أو سحب تزداد داخلها الكثافة بفعل الجاذبية، وتدور حول محاورها تبعا لدورة المجرة، وقد تنمو هذه السحب فى الحجم حتى يبلغ سمكها قرب سمك المجرة كلها فتكون بذلك قرص من الغاز يأخذ شكل الدوامة، بفعل الدورات وتتضاغط المجموعة تدريجيا، وترتفع درجة حرارتها من الداخل وتنتهى العملية بتولد نجم جديد فى مركز التضاغط، ومعنى هذا أن الجاذبية هى القانون الأول للكون الذى يلعب أهم الأدوار فى ظهور النجوم وتولدها من آن لآخر، داخل الأقراص الغازية التى تنقسم إليها المجرة.

ب ـ قد يتضاغط الغاز حتى يصل حجمه إلى جزء من مليون جزء من حجمه الأصلى، وهذا يبين لنا أن النجوم رغم وفرتها إنما تشغل حيزا ضئيلا جدًا من حجم الفراغ الكونى، يكاد لا يذكر إذا قورن بحجم الفراغ الكونى الذى تولدت فيه، وكيف أنها تبعا لذلك تستطيع أن تتحرك فى الفضاء الكونى بحرية..

يقول الله تعالى: ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ . وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٥].

ويقول جل شأنه ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات: ٤٧].

وقد أقسم الحق تبارك وتعالى فى آيات كثيرة، تدل دلالة واضحة على اتساع هذا الكون، اتساعا لا يحيط به علما إلا ذاته العلية، حيث يقول سبحانه: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ. الْجَوَارِ الْكُنَّسِ. وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ . وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ [التكوير: ١٥، ١٦].

ويقول: ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ . وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ . وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴾ [الانشقاق: ١٦ ـ ١٨].

ويقول: ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ﴾ [المعارج: ٤٠].

والآية المعجزة: فى قوله تعالى: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ . وَمَا لا تُبْصِرُونَ﴾ [الحاقة: ٣٨، ٣٩].

فهذا الكون إذا كنا نبصر جزءًا ضئيلا منه، فقد غاب عنا الجزء الأعظم، لا نعرف عنه شيئا.

جـ ـ القانون الثانى الذى يلعب دورًا فى توالد النجوم، هو ارتفاع درجة الحرارة، نتيجة تضاغط الغاز، وعندما تبلغ درجة الحرارة حدًا عظيما داخل النجم تبدأ الطاقة فى التولد، حيث يأخذ غاز الأيدروجين فى التحول إلى هيليوم بتأثير الحرارات العالية جدًا، وتشع النجوم، الكثير من الطاقات المختلفة من سطوحها تبعا لحجومها، ودرجات حرارتها وتفقد هذه الطاقات فى الفضاء وتصل أجزاء منها إلى الكواكب.

د ـ عندما تتعادل كميات الطاقة التى يشعها سطح النجم مع الكميات التى تتولد فى داخله بفعل تحطيم ذرات الأيدروجين، تقف عملية تقلص النجم أو تضاغطه ويصبح نجما عاديا كما هو الحال فى شمسنا.

٣ ـ كيف تكونت الأرض التى نعيش عليها؟

ـ يكاد تتفق أغلب النظريات الأولى التى فسرت نشأة السموات والأرض على أنها تكونت من مادة قديمة كانت مبعثرة فى الفضاء منذ الأزل، حتى أثبت العلم الحديث بوسائل لا تقبل الجدال، أن الأرض لم تكن موجودة من قبل، وأن ظهورها بدء فعلا، أى ولدت منذ نحو ثلاثة ملايين سنة أى تعادل مدة (٣×١٠^{٩}) سنة، وأنها فعلا، إذ ذاك فى صورة، مواد ملتهبة ثم كرة سائلة من شدة الحرارة، تحيط بها غلالة كثيفة من الهواء وبخار الماء وأبخرة أخرى لكثير من المواد والمركبات، وأعقب ذلك أن برد جوها بالإشعاع الحرارى، فأمكن لسطحها أن يتصلب أو يبدو فى صورة قشرة صلبة، لم يستغرق تكوينها وقتا طويلا، إلا أن

أقدم الصخور التى عاصرت تلك الفترة يقدر عمرها الآن بما يقرب من ألف مليون سنة.

ماذا نستنتج من هذه النظريات؟

١ ـ أن الكون كان فى بداية خلقه دخان (غاز الأيدروجين).

٢ ـ أن من هذا الغاز (الدخان) نشأت وتكونت المعجزات.

٣ـ تكون بداخل كل مجرة ملايين النجوم وملايين الملايين من الكواكب والمجموعات الشمسية.

٤ ـ الأرض كوكب يتبع إحدى هذه المجموعات، فى مجموعة تسمى المجموعة الشمسية.

ثالثا: ما هى العلاقة بين الدخان الذى ذكره علماء الطبيعيات من أنه المادة الأولى التى نشأ منها الكون وهو غاز الأيدروجين، وبين الدخان الذى ذكر فى قوله تعالى، ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾[فصلت: ٩، ١٠]؟

وللإجابة على هذا السؤال الهام، لابد من تفسير قول الله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنبياء: ٣٠).

أ ـ معنى الكلمات:

ـ ﴿أَوَلَمْ﴾: للاستفهام والتعجب.

ـ ﴿يَرَ﴾: رأى: نظر وتأمل بالعين وبالعقل «وأصل يرى يَرْأى ولا تستعمل على أصلها إلا نادراً. أرْأى: صار ذا رأى وعقل.

ـ ﴿الَّذِينَ﴾: الذى: اسم موصول: مثناه اللذان واللذين، وجمعها الذين واللذون وتصغيره اللذَيَّا.

ـ ﴿كَفَرُوا ﴾: كفراً وكُفْراً، كفوراً، وكفراناً: نِعمِ الله وبنعيم الله: أى جحدها وتناساها (ضد شكر)، كفَّر الشىء: محاهُ ستره.

الكفر: جمعها كفور الأرض البعيدة عن الناس/ والقرية الصغيرة. والكُفران: جحد النعمة/ خلاف الإيمان. والكافر: الجاحد لنعم ربه.

- ﴿أن﴾ حرف توكيد: تنصب المبتدأ وترفع الخبر.

- ﴿السَّمٰوَاتِ﴾: جمع سماء: والسماءُ: كل ما علا فأظل: فالنجوم سماء والكواكب، وأفلاكها سماء، والمطر سماء، والطين: سماء، والكلأ فى لغة العرب: سماء، والسقف: سماء.

- ﴿وَالْأَرْضَ﴾: كل ما سفل.

- ﴿كَانَتَا﴾: كان يكون كونًا وكيانا وكينونةً الشيء: حدث وَوُجد وصار، تأتى ناقصة فتدخل على المبتدأ أو الخبر فترفع المبتدأ وتنصب الخبر وتفيد وقوع الخبر من المبتدأ ويسمى اسمها والتاء للتأنيث والألف للتثنية.

- ﴿رَتْقًا﴾: رتق: ضد فتق - يقال رتق الفتق: أصلحه - رتق الشيء: سده وأغلقه، ارتتق: التأم.

الراتق: المصلح: يقال «هو الراتق الفاتق» أى مصلح الأمر.. الرتقة: خلل بين الأصابع. والرتوق: المنعة والعز والشرف.

- الفاء: عاطفة تفيد الترتيب والتعقيب.

- فتقناهما: فتق: فتقا وفتق الشيء: شقه - الثوب: نقض خياطته حتى فصل بعضه عن بعض - فتق المكان: أخصب، تفتق قرن الشمس: بدى من خلف السحاب.

الفتق: الشق: ما انفرج واتسع من الأماكن.

- ﴿وَجَعَلْنَا﴾: الواو حرف عطف. جعل: خلق/ وضع/ أوجد.

- ﴿مِنَ الْمَاءِ﴾: الماء هو المائع المعروف - أصله مُوهٌ وتصغيره مُوَيَةٌ - والماه: الماء.

- ﴿كُلَّ﴾: اسم موضوع لاستغراق أفراد المتعدد أو لعموم أجزاء الواحد، ولا تستعمل إلا مضافة لفظا أو تقديرًا.

- ﴿شَيْءٍ﴾: جمعها أشياء وجمع الجمع أشاوى، وأشياءات وأشاءات وهو ما يصلح أن يعلم ويخبر عنه.

- ﴿حَيٍّ﴾: الحى نقيض الميت والنسبة إليه حيوى - الحيوان: الكائن الحى.

والمعنى الإجمالى لهذه الآية الكريمة: (صفوة التفاسير) محمد على الصابونى

وفى ظلال القرآن سيد قطب.

- استفهام توبيخ وتعجب وتقريع لمن ادعى مع الله آلهة أخرى، وردٌّ على عبدة الأوثان، أى أو لم يعلم هؤلاء الجاحدون أن السموات والأرض كانتا شيئا واحدًا ملتصقتين، ففصل الله بينهما، ورفع السماء إلى حيث هى وأقرَّ الأرض كما هى؟

قال الحسن وقتادة: كانت السموات والأرض ملتزقتين ففصل الله بينهما بالهواء، وقال ابن عباس: كانت السموات رتقا لا تمطر، وكانت الأرض رتقا لا تنبت ففتق هذه بالمطر وفتق هذه بالنبات.

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ : أى أن الماء أصل كل الأحياء وسببا للحياة فلا يعيش بدونه إنسان، ولا حيوان ولا نبات.

- ﴿أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾: أفلا يصدقون.

*** ماذا نستخلص من آراء علماء الدين وعلماء الطبيعيات، وما سبق أن ذكره الفلاسفة فى الفصل الأول؟**

- نستخلص الآتى:

١ - نشأة الكون من مادة واحدة، كانت على هيئة دخان فى البداية.

٢ - يرى علماء الطبيعة أن هذه المادة الأولى هو غاز الأيدروجين وهو الغاز الكونى الذى منه نشأ سائر المواد الأخرى.

٣ - يرى الفلاسفة ورجال الدين أن هذه المادة الأولى هى الماء.

٤ - إذا علمنا أن الأيدروجين هو أخف العناصر وأنه يمكن أن يتحول تحت ظروف من الضغط ودرجة الحرارة، إلى عناصر أخرى، وأن جزىء الماء يتكون من ذرتى أيدروجين وذرة واحدة من الأكسجين (يد٢ أ) علما بأن الأكسجين يمكن أن يتكون من الأيدروجين (الغاز الكونى الأولى) تحت الظروف التى سبق شرحها وعلمنا بذلك أن الدخان الذى ذكره علماء الطبيعيات والفلاسفة هو نفسه الدخان الذى ذكر فى الكتب المقدسة، والقرآن الكريم، وهو الماء، **﴿وكان عرشه على الماء﴾** ووصلنا إلى أنه لا خلاف بين ما قاله القرآن الكريم، والكتب المقدسة السابقة له، وبين ما قاله الفلاسفة، وما قاله علماء الطبيعيات وأمكننا الوصول إلى الحقيقة التالية:

أ ـ أن الفلاسفة وعلماء الطبيعيات، إنما تأثرت نظرياتهم وآراؤهم، بما وجدوه فى الكتب المقدسة، وأنهم جميعا نهلوا من منهل النبوة، وقبسوا من قبس الوحى، واستضاءوا بمشكاة الحق تبارك وتعالى؛ لأن الوحى كما سبق القول أسبق من الفكر العقلى، والمنهج العلمى فى البحث فى الطبيعيات.

ب ـ أن ما ذكره علماء التاريخ الإسلامى وأصحاب التفاسير مثل ابن الأثير فى كتابه (الكامل)؛ والطبرى فى (تاريخه)، وابن كثير فى (البداية والنهاية)، من آراء أعلام المفسرين الإسلاميين عن الأيام الستة التى خلق الله فيها السموات والأرض، وأن العلم الحديث والمنطق السليم يؤيدان الرأى القائل بأنها ليست كأيامنا هذه، لأن اليوم على هذه الأرض التى نعيش عليها ـ كما سنشرح بعد ذلك ـ إنما هو خاص بكوكب الأرض، وينشأ من دوران الأرض حول نفسها، ومقدار هذا اليوم يختلف من كوكب إلى كوكب آخر وسبحان الذى أنزل فى محكم آياته:

﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

﴿أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾ [المائدة: ٧٤].

ـ وعن أبى سعيد الخدرى (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطوا أعينكم حظها من العبادة»، قالوا وما حظها من العبادة يا رسول الله؟ . قال: «النظر فى كتاب الله والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه».

الفصل الثالث:
السموات السبع والأرضون السبع

أولا: رأى الدين: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

ذكر الطبرى فى تاريخه:

١ ـ عن عبد الله بن سلام قال: إن الله بدأ الخلق يوم الأحد (من أيام الآخرة) فخلق الأرضين فى الأحد والإثنين (٢٠٠٠ عام من أيام الدنيا)، وخلق الأقوات والرواسى فى الثلاثاء والأربعاء (٢٠٠٠ عام من أيام الدنيا)، وخلق السموات فى يوم الخميس والجمعة (٢٠٠٠ عام من أيام الدنيا)، وفرغ فى آخر ساعة من يوم الجمعة (٤٠ سنة من أيام الدنيا) (ساعة الآخرة = ٤٠ سنة وكسر من السنين الأرضية)، من خلق آدم عليه السلام على عجل، فتلك الساعة التى تقوم فيها الساعة.

٢ ـ عن ابن مسعود رضى الله عنه، عن أناس من أصحاب رسول الله ﷺ، قالوا: جعل الله تبارك وتعالى سبع أرضين فى يومى (الأحد والإثنين)، ﴿ وجعل فيها رواسى أن تميد بكم﴾، وخلق الجبال فيها وأقوات أهلها وشجرها وما ينبغى لها فى يومى (الثلاثاء والأربعاء)، ثم استوى إلى السماء وهى دخان، فجعلها سماء واحدة ثم فتقها فجعلها سبع سموات فى يومى الخميس والجمعة.

٣ ـ وعن ابن عباس رضى الله عنه قال: خلق الله الأرض فى يومى الأحد والإثنين.

ففى قول هؤلاء خلقت الأرض عندهم قبل السماء لأنها خلقت عندهم فى الأحد والإثنين.

٤ ـ قال آخرون: إن الله عز وجل خلق الأرض قبل السماء بأقواتها قبل أن يدحوها، ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ثم دحا الأرض بعد ذلك.

٥ - وقد ذكر عن ابن عباس (رضى الله عنه) قوله: إن الله عز وجل ذكر خلق الأرض قبل السماء. ثم ذكر فى آيات أخرى خلق السماء قبل الأرض، ذلك أن الله خلق الأرض قبل أن يدحوها قبل السماء، ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ثم دحا الأرض بعد ذلك فذلك قوله لك ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا . رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا . وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا . وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا . أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا . وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا . مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾ [النازعات: ٢٧ - ٣٣].

يعنى أنه خلق الأرض ثم خلق السموات ثم دحا الأرض، أى أخرج المرعى وأرسى الجبال، ولم تكن تخرج الأقوات إلا بليل ونهار.

وعلى ذلك يكون رب العزة قد خلق الأرض يوم الأحد وخلق السماوات يوم الخميس وخلق النجوم والشمس والقمر يوم الجمعة، أى أنه سبحانه خلق الأرض ولم يدحُها، ثم خلق السموات فسواهن، ثم دحا الأرض بعد ذلك فأخرج منها ماءها ومرعاها.

حيث أن كلمة بَعْدَ خلاف قبل، ومعنى بعدَ فى كلام العرب بخلاف قبل، لا بمعنى مع، وإنما توجه معانى الكلام إلى الأغلب عليه من معانيه المعروفة فى أهله.

وقد قيل أن الله عز وجل خلق البيت العتيق على الماء على أربعة أركان، قبل أن يخلق الدنيا بألفى عام، ثم دحيت الأرض من عنده.

قال ذلك ابن عباس فى ما ذكره الطبرى: قال: وضع البيت على أربعة أركان قبل أن يخلق الدنيا (الأرض) بألفى عام، ثم دحيت الأرض من تحت البيت.

وعن عبد الله بن جابر رضى الله عنه قال: خلق الله البيت قبل خلق الأرض بألفى سنة، ومنه دحيت الأرض، وهو بسطها بأقواتها ومراعيها ونباتها، بعد خلق السموات كما ذكر عن ابن عباس.

وفى قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [٢٩٠: البقرة].

قال ابن عباس: إن الله تعالى كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئا غير الماء فلما أراد أن يخلق الخلق، أخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء فسما عليه فسماه

سماءً، ثم أيبس الماء فجعله أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها سبع أراضين.

قال الطبرى: فقد أنبأ قول هؤلاء الذين ذكرت أن الله تعالى أخرج من الماء دخانا حين أراد أن يخلق السموات والأرض فسما عليه، يعنون بقوله علا عليه - وكل شىء كان فوق شىء عاليا فهو سماءُ، ثم أيبس بعد ذلك الماء فجعله أرضا واحدة - أى أن الله تعالى خلق السماء غير مسواه قبل أن يخلق الأرض، وخلق الأرض ولم يدحها، ولم يقدر فيها أقواتها، ولم يخرج منها ماءها ومرعاها حتى استوى إلى السماء التى هى الدخان السائر بين الماء العالى، فسواهن سبع سموات ثم دحى الأرض التى كان ماءً فييسه، وفتقه فجعلها سبع أراضين وقدر فيها أقواتها وأخرج منها ماءها ومرعاها.

* وقد صح عن عباس فى ما رواه الطبرى فى تاريخه وعن ابن مسعود أيضا رضى الله عنها وعن أناس من أصحاب رسول الله ﷺ أن الدخان كان من تنفس الماء، وجعل الدخان سماءً واحدة، ثم فتقها فجعلها سبع سموات، وفى يوم الخميس والجمعة، وإنما سمى الجمعة لأنه جمع فيه بين خلق السموات والأرض، وأوحى فى كل سماء أمرها، أى خلق فى كل سماء خلقها من الملائكة والخلق الذى فيها من البحار وجبال البرد، وما يعلم، ثم زين السماء الدنيا بالكواكب فجعلها زينة وحفظا تحفظ من الشياطين، فلما فرغ من خلق ما أحب، استوى على العرش. وقوله: ﴿كانتا رتقا ففتقناهما﴾، وفرغ فى آخر ساعة من يوم الجمعة من خلق آدم على عجل، فتلك الساعة التى تقوم فيها الساعة.

- وعن ابن عباس أيضا: أن الله تعالى فرغ من خلق مواضع الأنهار والشجر يوم الأربعاء، وخلق الطير والوحش والهواء والسباع يوم الخميس، وخلق الإنسان يوم الجمعة.

- وعن ابن عباس عن النبى ﷺ أنه خلق السماء يوم الخميس وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقين منه فخلق فى أول ساعة الآجال، وفى الثانية ألقى الآفة على كل شىء ينتفع به الناس، وفى الساعة الثالثة خلق آدم وأسكنه الجنة وأمر إبليس بالسجود له وأخرجه منها فى آخر ساعة.

- عن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدى فقال: ﴿وبث فيها﴾ - يعنى الأرض والدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر من

يوم الجمعة آخر خلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر والليل.

خلاصة ما ذكره الطبرى فى تاريخه:

إذا كان الله تعالى قد خلق الخلقَ من لدن ابتداء خلق السموات والأرض إلى حين فراغه سبحانه من خلق جميعهم فى ستة أيام، وكان كل يوم من الأيام الستة التى خلق الله فيهن الخلق مقداره ألف سنة من أيام الدنيا، وكان بين ابتدائه فى خلق ذلك وخلق القلم الذى أمر بكتابة ما هو كائن إلى قيام الساعة ألف عام، وذلك يعدل يوما من أيام الآخرة، كان معلوما أن قدر مدة ما بين ابتداء الخلق إلى الفراغ منها سبعة آلاف عام يزيد إن شاء الله شيئا أو ينقص شيئا على ما قد روينا من الأحداث والآثار.

وإذا كان كذلك، كان معلومًا أن مدة ما بين أول خلق خلقه الله تعالى إلى قيام الساعة وفناء العالم جميعه أربعة عشر ألفا من السنين من أيام الدنيا، وهو ما يعدل أربعة عشر يومًا من أيام الآخرة، أى أن الدنيا سبعة أيام من أيام الآخرة، أى مدة الحياة الدنيا سبعة آلاف سنة، ثم يعود الأمر إلى ما كان عليه قبل أن يكون شيء غير القديم البارى، الذى له الخلق والأمر، وهذا هو الثابت عن خيار الرواة والمحدثين مثل ابن عباس وابن مسعود وغيرهم عن رسول الله ﷺ.

رأينا فيما سبق ذكره فى خلق السموات السبع والأرضين السبع:-

نرى وبالله التوفيق بعد النظر فى هذه الآيات الكريمات، وهذه الآراء التى أوردها الإمام الطبرى فى تاريخه، وما أورده ابن كثير فى البداية والنهاية وما أورده ابن الأثير فى الكامل عن صحابة رسول الله ﷺ.

نرى:

أن الله سبحانه وتعالى خلق بقدرته التى قدرها لخلقه يوم خلق القلم، وقال له: اكتب مقادير الخلائق، وما وضعه الله تعالى فى الغاز الكونى الأول الذى بدأ به خلق السموات والأرض من خواص التحول من صورة من صورة وهو غاز الأيدروجين، الذى أثبت علماء الطبيعيات أنه يمكن أن يتحول من صورة إلى أخرى ومن عنصر إلى آخر فمن ذرته نشأت ذرات العناصر الأخرى، ونشأت جزئيات الماء وصور المخلوقات من نجوم وكواكب وسائر المخلوقات، بقدرة الله وحكمته، وأن إرادته شاءت بأن يكون فى هذه العناصر الأولية خواص وقوانين، ميزت بجزء منها

المجرة التى تتبعها المجموعة الشمسية، وتكونت فى هذه المجرة مجموعات نجمية، وفى إحداها وهى مجموعتنا الشمسية تكونت كرة الأرض التى نعيش عليها، ثم استوى الرحمن برحمته ـ أى قصد ـ السماء فسواهن سبع سموات بما فيهن السماء الدنيا، التى زينها بالمجرات، التى تحتوى كل مجرة منها على ملايين المجموعات الشمسية أى أن جزء من مكونات الكون، كون أول مجرة وتكونت فيها أول مجموعة شمسية وهى مجموعتنا، وخلقت بها الأرض وبعد أن خلقت الأرض فى إحدى مجرات السماء الدنيا قصد الرحمن إلى ما بقى من دخان (غاز) أعلى من هذا، ففتقه إلى سبع سموات كانت الأرض فى أدنى سماء، وهى السماء المزينة بالكواكب والنجوم والمجرات.

وكل ما نرى ونشاهد من مجرات مرئية، إنما هى فى السماء الدنيا القريبة منا، التى بها المجرات وهى المزينة بزينة الكواكب: ﴿وزينا السماء الدنيا بزينة الكواكب﴾

وقد ذكر الطبرى فى تاريخه هذين الحديثين:

١ ـ عن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال: قلت يا رسول الله: أنبئنى عن كل شىء؟.

قال: «كل شىء خلق من الماء».

٢ ـ جاء رجل إلى عبد الله بن عمرو بن العاص فسأله: مم خلق الخلق؟

قال: من الماء والنور والظلمة والريح والتراب.

من ذلك نرى أن أساس الخلق هو الماء، وأصل الماء غاز الأيدروجين.

ومن حديث عبد الله بن عمرو بن العاص (رضى الله عنه)، نرى أن الماء أصلا لما خلق بعد ذلك من النور والظلمة، وهى النجوم المضيئة والكواكب المظلمة، وكذلك التراب من الماء، ومن التراب كانت الأرض والكواكب، وهذا يؤيد الرأى القائل بأن السماء والماء والطين بمعنى واحد، كما يدل على وحدانية الخالق عز وجل، حيث أن هذا الكون، وما به من مخلوقات حية وجامدة، مرئية ومخفية، ظاهرة وباطنة، خلقت من أصل واحد، وخلقها قادر عليم ومحيط واحد.. سبحانه وتعالى عما يشركون ...

والدليل على أن المجرات والنجوم والكواكب فى السماء الدنيا:

١ ـ ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: ٦].

٢ ـ ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك: ٥].

٣ ـ ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ (طرائق النجوم) [الذاريات: ٧].

٤ ـ ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ . النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ [الطارق: ١-٣].

وفى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[الأنبياء: ٣٠]. أى خلق الله تعالى من الماء كل شيء جامد، وخلق منه أيضًا كل شيء حى، ولا حياة بدون ماء.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

هل هذه المثلية فى العدد أو من ناحية الجنس أى أن الأرض من جنس مادة السماء ومكوناتها.

* ويلاحظ أن عدد لفظ الجلالة فى القرآن الكريم ٣٣٠١ وإذا جمعت كان الناتج سبعة أيضا.

*** هل السماء بالنسبة لكوكب الأرض هو الغلاف الغازى الذى يحيط بالأرض؟**

إذا كان لفظ السماء يعنى أنه اسم لكل ما علا الأرض وارتفع عنها، كما ذكر ذلك فى أكثر من آية، وهى فى أغلبها السماء الدنيا..

١ ـ ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ [البقرة: ١٩] والصيب هو المطر الغزير، وهو يهطل من السحاب الذى يعلو الأرض بقليل».

٢ ـ ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ [البقرة: ٢٢] هى السماء الدنيا أحكم فيها تنظيم النجوم والكواكب تحيط بالأرض من جميع الجهات فهى كالسقف والبناء.

٣ ـ ﴿أنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات ورزقا لكم﴾ أى أنزل من السحاب المعلق فى السماء، أو من الموجود فى الغلاف الغازى للأرض.

٤ ـ ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ أى ما هو أعلا من الأرض والمجموعة الشمسية

وفتقها إلى نجوم وكواكب وغيرها.

٥ - ﴿فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء﴾ السماء هنا الجو المحيط بالأرض.

٦ - ﴿قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها﴾ السماء هنا هو كل ما تراه العين مما فى الغلاف الغازى للأرض، ومما فى سائر السماء الدنيا من نجوم وكواكب.

٧ - ﴿وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض﴾.
فالسماء هنا هو الغلاف الغازى للأرض.

٨ - ﴿وأرسلنا السماء عليهم مدرارًا وجعلناها الأنهار تجرى من تحتهم﴾
السماء هنا بمعنى السحاب أو بمعنى الماء النازل من السماء.

٩ - ﴿إن الله لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء﴾ أى لا يخفى عليه شىء مما يحدث من خلقه فى أى مكان.

١٠ - ﴿إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء﴾ هى الشهب والنيازك التى تسقط من خارج غلاف الأرض، إلى الأرض وهذا دليل على أن إجرام السمٰوات، مواد حجرية كالموجودة على سطح الأرض، وعلى ذلك فإن مكونات الأرض من مكونات هذه الأجرام.

والآيات القرآنية كثيرة، يذكر فيها لفظ السماء على أنه الطبقة الغازية المحيطة بكرة الأرض، وفى بعضها أنها السماء الدنيا بما فيها من كواكب ونجوم، وبعضها يعبر بلفظ السماء عما هو موجود فى السمٰوات العلا كلها.

ويلاحظ استخدام لفظ السماء (مفرد)، مع الأحداث التى تقع فى محيط الأرض من رياح وأمطار وسحاب وغيره.

بينما يذكر لفظ السموات (جمع) - عندما يتحدث القرآن الكريم عن الخلق - أى عن خلق السموات والأرض، كما ذكر فى ذلك أكثر من آية كريمة:

١ - ﴿الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور﴾

٢ - ﴿وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم﴾.

٣ - ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [يونس: ٣].

وفى قوله تعالى ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١].

فيها دليل على معرفة الإنسان للحق تبارك وتعالى، وقدم تفكيره فى خلق السموات والأرض.

*** ونخلص من ذلك إلى:**

أن السماء اسم لكل ما علا وارتفع وأظل ـ فالغلاف الغازى الذى يحيط بالأرض هو سماء للكرة الأرضية، وكواكب المجموعة الشمسية كما سنذكر كل منها فى سماء، والنجوم الأخرى فى سموات لها وكل الكواكب والمجموعة الشمسية والنجوم، فى السماء الدنيا، وكذلك المجرات وكل ما يراه الإنسان وكل ما لا يره هو فى السماء الدنيا ـ من دنى يدنو: أى قرب ـ والدنيا بمعنى السفلى ـ والدنيا بمعنى الدنيئة (الحقيرة) وكل ما فيها يلمسه أو يراه أو يحسه الإنسان أى ماديات..

فلكل كوكب سماء خاص به، ولكل نجم سماء خاص به والكواكب والنجوم كلها فى السماء الدنيا حيث جعلها الله زينة لها.

* الحق تبارك وتعالى يتحدى الجن والإنس أن ينفذوا من أقطار السموات والأرض:ـ

يقول تعالى: ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ . لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٤، ١٥].

ويعنى هذا أن الإنسان سيصعد إلى السماء وسيظل فى المستقبل ولكن السؤال إلى أى مدى سيصعد هذا الإنسان، إنه لن يستطيع أن يتعدى السماء الدنيا، لو فرض جدلا أنه يستطيع أن يتعدى المجموعة الشمسية، إلى مجموعات أخرى فى نفس مجرتنا التى بها ملايين الملايين من المجموعات المشابهة للمجوعة الشمسية.

وهذه السماء الدنيا أيضا لا يستطيع الجن أن يتخطاها، رغم أنه يملك من القدرة والطاقة ما لا يملكه الإنسان.

يقول الحق: على لسان الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ [الجن: ٨].

وفى قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ

السَّمَوَات وَالأَرْضِ فانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إلاَّ بسُلْطَانٍ . فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فلا تَنتَصِرَانِ . فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ [الرحمن ٣٣ـ٣٦].

فى هذه الآيات الكريمات: يتحدى الحق تبارك وتعالى كافة خلقة من الجن والإنس يتحدى الثقلين، وهما الجن والإنس ... من ثَقُلَ الشىء: : ضد خفّ. إثاقل إلى: ركن إلى ـ والأثقال كنوز الأرض ـ ومثقال الشىء: وزنه.

ومن هذا يتضح أن للجن ثقل ووزن كما أن للإنسان وزن وثقل وإن كان للجن قوانين ومقاييس خلاف قوانين ومقاييس الإنس، فالحق سبحانه وتعالى يتحدى هذين الثقلين أن ينفذوا من أقطار السموات والأرض، والنفوذ بمعنى الاختراق والجواز. نفذ السهم الرمية إذ خرقها ونفذ فيها أو منها: أى دخل جوفها وخرج طرفه من الشق الآخر.

والسماء: جمعها سموات من سما سموًا: علا وارتفع ـ كل ما يحيط بالأرض من فضاء واسع ـ ما فوقنا كقبة زرقاء محيطة بالأرض ـ كل ما هو علاك فهو سماء. ـ سماء السموات: هو الفلك الأعظم.

والسلطان: الحجة ـ القدرة ـ القهر ـ العلم ـ والسلطة: الملك والقدرة.

والمعنى الإجمالى بعد المفردات السابقة: يوجه الحق تبارك وتعالى نداءه للجن والإنس الذى أبدعهما سبحانه بقدرته، ويقول لهما يا أمة الجن ويا أمة الإنس إن استطعتم بما توصلتم إليه من علم وقدرة وطاقة، إن تخترقوا السموات العلا، فافعلوا، ففيه إغراء من الله، للإنسان أن يبذل الجهد والطاقة، وأن يتقدم فى سائر العلوم، إلا أنه لابد لهذا الإنسان وللجن أن يعلم الجميع أن هذا الصعود وهذا الاختراق سيكون لقدر معلوم ولزمن مقدر، ولكنهم لن يعجزوا الله سبحانه وتعالى فى الأرض ولا فى السماء، وإذا كان الإنسان اليوم وهو مقبل على بداية القرن الحادى والعشرين بعد الميلاد، وهو يعتقد أنه قد وصل إلى مرتبة من العلم تمكنه من معرفة كل شىء فى هذا الكون فلابد أن يعرف هذا الإنسان أنه لا يزال كما وصفه الله تعالى ظلوما جهولا؛ وذلك أن أى إنسان مهما بلغ من ذروة المعرفة وذروة العلوم، فإن ما يجهله أكثر بكثير مما يعلمه، والنسبة بين ما علمه إلى ما يجهله كنسبة واحد إلا ما لا نهاية، وعلى هذا لابد للإنسان أن يقر بما علمه بجلال الله وعظمته.

ماذا تعنى كلمة الأرض؟

الأرض: جمعها أرضون، وأروض، وأراضٍ، وأراضٌ؛ الكرة السيارة التى نحن عليها ـ وأرض أرضا أراضةَ المكان: كثر عشبه وازدهر وحسن فى العين فهو أريض:

أرَّض: هيأ وسوَّى، تأرض بالمكان: أقام فيه: (المنجد: مادة أرض).

ـ فكأن تسمية الكوكب الذى نعيش عليه باسم الأرض لأنه صالح للإنبات والنمو والحياة، هيأه الله تعالى للأنام، ولإقامة المخلوقات على سطحه، فى وديانه وعلى جباله وسهوله وأنهاره وبحاره، ﴿وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ﴾[الرحمن: ١٠].

وكما ذكرنا أن هناك سبع أراضٍ، أى كواكب أخرى قد تكون مهيأة للحياة أو مهيأة لأنواع أخرى من الحياة، قد تكون هذه الأراضى فى مجموعتنا الشمسية التى تتبعها أرضنا أو قد تكون فى مجموعات أخرى تتبع مجرتنا، أو فى مجرات أخرى تبعد عنا ملايين الملايين من السنين الضوئية، وفى السماء التى زينها الله وبناها بالنجوم والكواكب فالله تعالى أعلم

وفى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ . لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ . وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ . وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ . إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ . وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ . وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ . وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ . وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ [الحجر: ١٤ـ٢٢]

معانى الألفاظ: (المنجد ـ الأطلس الوسيط ـ الأطلس المحيط):

وَ: حرف عطف ومعناه مطلق.

لَوْ: حرف امتناع الجواب لامتناع الشرط. (امتناع قولهم لامتناع فتح السماء)

فَتَحْنَا: فتح الباب: خلاف أغلق ـ القناة: فجرها ليجرى فيها الماء.

فتح الله عليه: علَّمهُ وعرفه ـ فتَّح: فتح شدد للمبالغة.

الفُتْحة: الفرجة - الفتاح: من صفاة الله تعالى لأنه يفتح الرزق.

المفتاح: آلة الفتح - الفتح: يوم القيامة.

عَلَيْهِم : على حرف جر - من معانيها الاستعلاء.

بَابًا : الباب: جمعها أبواب وبيبان: المدخل.

مِنَ: حرف جر من معانيه ابتداء الغاية فى الزمان والمكان.

السَّمَاءِ : كل ما علا فاظل فهو سماء.

فَظَلُّوا: الفاء من الحروف الشفوية - تفيد الترتيب والتعقيب.

ظل: دام . . . (ظلوا: داموا).

فيه : فى الظرفية أو تفيد الاستعلاء . . فظلو عليه.

يَعْرُجُونَ: يعرج: يمشى مشية غير متساوية - يميل بجسده يمينًا ويسارًا.
عَرُجت الشمس: مالت نحو الغروب.

عَرَّجَ: مال من جانب إلى جانب.

المنعرج: المنعطف.

عَرَج: ارتقى - عُرِج: صُعِدَ به المعراج المِعْرَج، السلم،المصعد.

(ويلاحظ أن الفعل عرج فى الآيات الكريمة السابقة يشتمل على المعنيين السابقين، أى الصعود فى خط منحنى مائل، حيث أثبت العلم الحديث أنه لا توجد خطوات مستقيمة فى الفضاء وإنما الحركة فيها تكون دائما فى خطوط منحنية منعرجة،والمعروف أن الخط المستقيم هو أقصر الأبعاد بين نقطتين على سطح الأرض، بينما فى الفضاء فإن الخط المنحنى هو أقصر الأبعاد بين نقطتين.

لَقَالُو: اللام لام الجواب بعد لولا

سُكِّرَتْ: سكّرَ البصر: تحيّر وحُبِسَ بصرُهُ: سكرَ: حبس نظره سكرًّ - الباب سَدَّه.

السُّكْرُ: حالة تعترى بين المرء وعقله.

أَبْصَارُنَا: الأبصار:جمع بصر:العين/حساسة النظر: الباصرة (قالوا فى المثل:

خير الطعام بواصره)أى المرئى قبل الظلام ـ والأبصار: العلم ـ البصيرة: جمعها بصائر: العقل.

بَلْ: حرف عطف تسلب الحكم عما قبلها وتجعله لما بعدها وهى للاستدراك: بعد النفي والنهى. بمعنى: ﴿إنما سكرت أبصارنا بل نحن قومٌ مسحورون﴾.

نَحْنُ: ضمير يُعْنى به الاثنان والجمع المخيرون عن أنفسهم.

قَوْمٌ: جماعة الناس .. والقوم: الإقامة بالمكان: جمعها أقوام وأقاوم، وأقايم وأقاويم.

مَسْحُورُون: سحره سحرً: خدعه/ استحاله وفتنه/ سلب لبه/ صرفه وأبعده.

السِّحْرُ: جمعها أسحارٌ وسحورٌ/ ما لطف مأخذه ودَقَّ.

وَلَقَدْ: وَ: حرف عطف ل: للتوكيد.. قد: للتحقيق مع الماضى.

جَعَلْنَا: جعل: صنع/ وضع/ أقام/ صيَّر/ أعطى/ وهب.

بُرُوجًا: بَرِج: اتسع أمره/ برجت عينه: كان بياضها محدقا بالسواد كله.

بَرَجَ: الشَّىءُ: ظهر وارتفع/ برّج وأبرج بنى برجا تبرجت المرأة: أظهرت زينتها ومحاسنها للأجانب ـ البَرَج: البين المعلوم.

البرج: جمعها بروج وأبراج وأبرجة: الحصن/ القصر/ البناء المرتفع على شكل مستدير أو مربع ويكون منفردًا.

بروج السماء: صُوَرٌ تقع فيها النجوم والكواكب للناظر: وهى اثنا عشر برجا: وهى الحمل (الكبش) ـ الثور ـ الجوزاء (التوأمان) ـ السرطان ـ الأسد ـ الجدْى (التيس) ـ الدلو (الساقى) ـ الحوت (السمكة).

فلك البروج: دائرة ترسمها الشمس فى سيرها (الظاهرى) فى السماء فى سنة واحدة، وتقسم الدائرة إلى اثنى عشر قسم كل واحد منها ٣٠ درجة أسماه المعاصرون الدائرة الكوفية.

زيناها: أحسناها. للناظرين: النظر: البصر.

نظر: أبصر وتأمل/ تدبر وتفكر، نظر فى الأمر: تدبره وقدره وقاسه.

الناظر: العين: من تولى الأمر فهو ناظر.

النظر: البصر/ البصيرة/ علم النظرة والاستدلال.

والمعنى الإجمالي:

ولو فتح الله على الإنسان بابًا من السماء، بما وهب الله الإنسان من علم وقوة وطاقة، وسفن فضاء وصواريخ وغيرها.

وصعد هذا الإنسان فى مراقى السماء، لملكته الدهشة والعجب وتحير وقال بل سدت أبصارنا، فنحن لا نستطيع أن نحصى ما فى هذا الفضاء المترامى البعيد، بل أصبحنا كالمسحورين الذين خدعهم نظرهم، فهذا الذى نراه، يأخذ بالألباب ويأخذ بالعقول، ثم يؤكد الحق تبارك وتعالى بلام التوكيد وقد التى تفيد التحقيق، بأنه سبحانه وتعالى قد زين وحسن السماء بما رتب فيها من نجوم وكواكب وشهب ونيازك، وبما وضع فيها من قوانين الجذب والتنافر والدوران وغيرها فى إبداع رائع، يجعلها كالأبنية الشاهقة البعيدة المنال، وهى فى الحقيقة مجموعات نجميه وكواكب على أشكال معينة تظهر كل مجموعة منها فى شهر من أشهر العام وتسمى هذه المجموعة برجا من هذه البروج أى مجموعة نجمية، وحفظنا السماء وما بها من نجوم وكواكب وبروج من كل شيطان رجيم من شياطين الإنس أو الجن يعتقد أنه يستطيع أن يتجول فى السموات العلى أو أن يرتقى فى دروبها، عابثا بما فيها من جمال وروعة، ينتقل الحق إلى كوكب الأرض ويذكر الإنسان بأنه هو الذى بسط هذا الكوكب الأرضى، ووهبه أسباب الحياة عليه من ماء وغاز ومواد وجعل سطحها متضرسا به الجبال والهضاب والسهول والوديان فأجرى بذلك الأنهار وجعل البحار، وهيأ هذه الأرض لأسباب الحياة من نبات وحيوان وإنسان، وأن الحق تبارك وتعالى احتفظ بطلاقة القدرة وينزل كل شىء بقدر معلوم، وهو الذى يجرى الرياح بها أوجده من قوانين الضغط الجوى والحرارة التى تسبب فى تحرك الهواء (الرياح)، التى تدفع وتجمع السحب وتنزل الأمطار حيث يريدها الله تعالى: فيعطى الخير لمن يشاء ويرسل العذاب والدمار على من يشاء، وهو على كل شىء قدير، بيده مفاتيح الغيب، فهو الذى ينزل الغيث. وهو الذى يحيى ويميت بيده الخير وهو على كل شىء قدير.

الفصل الرابع
مجموعتنا الشمسية
(الشمس ـ الأرض ـ القمر)

أولا: قوانين الكون: (خواص المادة الكونية):

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

علمنا أن الكون فى بداية خلقه كان دُخانا (غاز الأيدروجين)، ثم تكونت منه المجرات، ثم من المجرات تكونت النجوم والكواكب والمجموعات النجمية (البروج).

لذا نرى أن هذا الكون قد بنى على الكثير من القواعد والنظم والقوانين فلم يترك أمر تكوينه ومجرى الحوادث فيها للمصادفات أو الأهواء وتربط هذه النظم والعلاقات والقوانين بين أجزاء المادة وتنظمها.

وتعرف هذه القواعد والقوانين باسم القوانين الطبيعية ومنها:

١ ـ قانون الجاذبية:

وهى خاصية تعمل دائما على تجميع شتات أجزاء المادة المتقاربة فى صعيد واحد، ولولا هذه الخاصية لسقطت الكائنات فى محيط الفضاء الأعظم وتشتت جزئيات الغلاف الهوائى والغلاف المائى فى الفضاء ولاستحالت الحياة على الأرض.

وتبارك الحق القائل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [الحج: ٦٥].

ولما كانت الأرض (الكوكب الأرضى)، من الضخامة حيث يهمل بالنسبة لها كل الكائنات والأجسام التى على سطحها، ولذلك ظن الإنسان أنها مستوية، ولم يشعر بأثر الجاذبية.

٢ ـ التسخين الذاتى:

وهو من خواص مادة الكون وسننه الأزلية، التى يمكن تحقيقها فى النجوم كما يمكن تحقيقها فى جو الأرض، وهى تتضمن ارتفاع درجة الحرارة الجسم الغازى عندما يضغط ويجبر على تقليل حجمه، ويحدث ذلك من تلقاء نفسه، وهذه الظاهرة تلعب دورًا فى إشعال النجوم والوصول بمحتوياتها إلى درجات من الحرارة تفوق الوصف.

٣ ـ الدوران:

وهى ثالث خاصية للمادة الكونية، إذ أنه إذا تقلص أى جسم مادى فإنه يلف حول نفسه، ويصغر حجمه بهذا التقلص، ويتبع ذلك حتما أن تزيد سرعة دورانه حول نفسه بمعدل خاص.

وتتقلص الأجسام المادية بالبرودة عادة أو إذا قل ضغطها من داخلها لسبب ما..

ثانيا: المجموعة الشمسية فى رأى المفسرين: (علماء الدين):

١ ـ الآيات القرآنية:

يقول الله تعالى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا .وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾ [النبأ: ١٢، ١٣].

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا . وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾[الفرقان: ٦١، ٦٢].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون. وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون﴾ [الأنبياء: ٣٢، ٣٣].

وقال جل شأنه: ﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون، والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم. والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم. لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون﴾[يس: ٣٧ ـ ٤٠].

ويقول جل شأنه: ﴿إن ربكم الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل والنهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾[الأعراف: ٥٤]

٢ ـ من الأحاديث النبوية فى ذكر الشمس:

روى البخارى مرفوعا إلى أبى ذر قال: قال رسول الله ﷺ لأبى ذر حين غربت الشمس: «أتدرى أين تذهب؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، يقال لها ارجعى من حيث جئت، فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى: ﴿ والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾».

هذا لفظ البخارى فى بدء الخلق.. ورواه مسلم فى الإيمان عن طريق الأعمش، وأبوداود عن طريق الحكم بن عتبة وقال الترمذى حديث حسن صحيح.

أ ـ قال ابن كثير:

﴿والشمس تجرى لمستقر لها﴾ قيل لوقتها الذى تؤمر فيه فتطلع من مغربها وقيل مستقرها، موضعها الذى تسجد فيه تحت العرش وقيل منتهى سيرها وهو آخر الدنيا ، وعن ابن عباس قرأ «والشمس تجرى لا مستقر لها» أى ليس لها مستقر، فعلى هذا فإنها تسجد وهى سائرة. ولهذا قال سبحانه: ﴿لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون﴾ فلا تطلع الشمس فى سلطان القمر ودولته، ولا الليل سابق النهار، أى ليس يسبقه بمسافة يتأخر ذاك عنه فيها بل يأتى خلفه مباشرة..

وقال رسول الله ﷺ: «إذا أقبل الليل من ههنا، وأدبر النهار من ههنا، وغربت الشمس فقد أفطر الصائم».

وقد قيل: إذا كانت الشمس تستقر تحت العرش، فأين يستقر القمر؟

وفى قوله تعالى: ﴿يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى﴾[فاطر: ١٣].

أى يدخل طول الليل فى قصر النهار ويدخل قصر الليل فى طول النهار،

فيعتدلان فى أول فصل الربيع، حيث يكون الليل قبل ذلك طويلا فى الشتاء ويكون النهار قصيرًا، فلا يزال الليل ينقص والنهار يتزايد، حتى يعتدلان فى أول الربيع، ثم يشرع الليل فى القصر، والنهار فى الطول شيئا فشيئا حتى يعتدلان مرة أخرى فى أول الخريف، وهكذا ولهذا يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿**وله اختلاف الليل والنهار**﴾: ﴿**ذلك تقدير العزيز العليم**﴾ أى العزيز الذى فقدر كل شىء، ودان له كل شىء، فلا يمانع ولا يغالب العليم بكل شىء، ففدر كل شىء تقديرا على نظام لا يختلف ولا يضطرب، وقد ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله يؤذينى ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر، بيدى الأمر أقلب الليل والنهار**».

وفى قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ**﴾ (يونس: ٥)

يقول ابن كثير: أى فاوت بين الشمس والقمر فى نورهما وفى شكليهما وفى وقتهما، وفى سيرهما فجعل هذا ضياء وهو شعاع الشمس، برهان ساطع، وضوؤها باهر، ﴿**والقمر نورًا**﴾ أى أضعف من برهان الشمس، وجعله مستفادا من ضوئها، وقدره منازل أى يطلع أول كل ليلة من الشهر صغيرًا ضئيلاً، قليل النور لقربه من الشمس وقلة مقابلته لها فبقدر مقابلته لها يكون نوره، ولهذا فى الليلة الثانية يكون أبعد منها بضعف ما كان فى الليلة الأولى فيكون نوره بضعف الليلة الأولى ثم كلما بعد عنها ازداد نوره حتى يتكامل بدره ليلة مقابلته إياها من المشرق وذلك ليلة أربع عشرة من الشهر، ثم يشرع فى النقص، لاقترابه منها فى الجهة الأخرى إلى آخر الشهر، فيستتر حتى يعود كما بدا فى أول الشهر الثانى، فبه تعرف الشهور، وبالشمس تعرف الليالى والأيام، وبذلك تعرف السنين والأعوام، ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً**﴾ [الإسراء: ١٢] وقال تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ**﴾ [البقرة: ١٨٩].

فالكواكب التى فى السماء منها سيارات، وهى المتحيرة فى اصطلاح علماء التفسير وهى سبعة: القمر فى السماء الدنيا، وعطارد فى السماء الثانية، والزهرة فى السماء الثالثة، والشمس فى السماء الرابعة، والمريخ فى الخامسة، والمشترى فى السادسة، وزحل فى السابعة.

ب ـ ما قاله الطبرى فى تاريخه: (الجزء الأول: ص٣٨):

١ ـ فى الليل والنهار أيهما خلق قبل صاحبه
وفى بدء خلق الشمس والقمر وصفتهما كانت الأزمنة تعرف بها

إذا كانت الأوقات والأزمنة، هى ساعات الليل والنهار، وأن ذلك إنما هو قطع الشمس والقمر درجات الفلك، يرى البعض بأن الليل خلق قبل النهار، ذلك أن النهار هو ضوء الشمس، فإذا كانت الشمس خلقت بعد الأرض، فإن الليل هو الأول، وعن ابن عباس قوله: إن الليل كان قبل النهار، ثم قال: **﴿كانتا رتقا ففتقناهما﴾**، ويرى بعضهم أن النهار قبل الليل؛ لأن الله كان ولا شىء قبله، وكان نوره يضىء به كل شىء من خلقه بعد ما خلقه حتى خلق الليل.

ورأى الطبرى فيما سبق من أقوال:ـ يقول: الصواب قول من قال أن الليل كان قبل النهار، لأن النهار هو من ضوء الشمس، وإنما خلق الله الشمس وأجراها فى الفلك بعد ما دَحَا الأرض وبسطها، كما قال عز وجل: **﴿أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها. رفع سمكها فسواها، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها﴾** [النازعات: ٢٧ ـ ٢٩] فإذا كانت الشمس خلقت بعد ما سمكت السماء، وأغطش ليلها فمعلوم أنها كانت قبل أن تخلق الشمس، وقبل أن يخرج الله من السماء ضحاها مظلمة، لا مضيئة (هذا رأى الطبرى).

* وقد اختلف فى وقت خلق الشمس والقمر: فيرى ابن عباس عن النبى ﷺ: **«أن الشمس والقمر والنجوم والملائكة خلقت إلى ثلاث ساعات بقيت»** (أى من الأيام الستة)، وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ. قال: **«خلق الله النور يوم الأربعاء»**. (الحديث سبق ذكره وتخريجه).

وفى قوله تعالى: **﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾** [الإسراء: ١٢].

فآية النهار الشمس، وآية الليل القمر، ومحوه إطفاؤه، وقوله آية النهار مبصرة، أى مُبَصِّرة: منيرة ومضيئة. . . وعن رسول الله ﷺ: «أن الله أمر جبريل عليه السلام أن يمر بناحية على وجه القمر، وهو يومئذ شمس، ثلاث مرات فطمس عنه الضوء، وبقى فيه النور، وذلك قوله: ﴿فمحونا آية الليل﴾».

- وعن ابن عباس قوله: كان القمر آية الليل وكانت الشمس آية النهار، وكان القمر يضيء كما تضيء الشمس، فمحونا آية الليل وهو السواد الذى فى القمر، أى طمسنا آية الليل.

- وعن قتادة (رضى الله عنه) قوله: كنا نحدث أن محو آية الليل سواد القمر الذى فيه، وأنه خلق الشمس منيرة، أنور وأعظم من القمر.

٢ - القول فى الزمان: ما هو؟

قال الطبرى:

- الزمان هو عدد ساعات الليل والنهار، وقد يقال ذلك للطويل من المدة والقصير منها، والعرب تقول أتيتك زمان الصرام (قطع التمر) وتقول أتيتك أزمان الصرام.

- وقد اختلف السلف قبلنا من أهل العلم فى قدر الزمان من ابتدائه إلى انتهائه، وأوله وآخره.

١- عن ابن عباس رضى الله عنه: الدنيا جمعة من جمع الآخرة الآخرة، سبعة آلاف سنة، مضى منها ستة آلاف، ومئة، وليأتين عليها مئون من السنين ليس لها، وقال آخرون: قدر جميع ذلك ستة آلاف سنة.

٢- وعن وهب بن منبه قوله: الدنيا ستة آلاف سنة، قد خلا منها خمسة آلاف سنة.

٣- وفى حديث مرفوع إلى ابن عمر(رضى الله عنه) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أجلكم فى أجل من كان قبلكم من صلاة العصر إلى مغرب الشمس».

وعن ابن عمر (رضى الله عنه) أيضا قال: قال رسول الله ﷺ «ما بقى لأمتى من الدنيا إلا كمقدار الشمس إذا صليت العصر».

وعن أنس بن مالك (رضى الله عنه)، أن رسول الله ﷺ خطب أصحابه يومًا فقال: **«كادت الشمس أن تغيب، ولم يبق منها إلا شق يسير»**. قال: **«والذى نفسى بيده ما بقى من دنياكم، فيما مضى منها إلا كما بقى من يومكم هذا فيما مضى منه، وما ترون من الشمس إلا اليسير»**.

٤- عن جابر بن سمرة: قال: كأنى أنظر إلى أصبعى رسول الله ﷺ وأشار بالمسبحة والتى تليها وهو يقول: **«بعثت أنا والساعة كهذه من هذه»**.

٥- عن أبى هريرة(رضى الله عنه): قال: قال رسول الله ﷺ: **«بعثت والساعة كهاتين»** وأشار بالسبابة والوسطى.

٦- وقال ﷺ: **«ما مثلى ومثل الساعة، إلا كفرسَىْ رهان»** ثم قال: **«ما مثلى ومثل الساعة، إلا كمثل رجل بعثه قومٌ طليعة فلما خشى أن يسبق ألاح بثوبه، أوتيتم أوتيتم»**.

يقول الطبرى: وكان ما بين أوسط أوقات العصر، وذلك إذا صار ظل كل شىء مثله على التحرى، إنما يكون قدر نصف سبع اليوم يزيد قليلا أو ينقص قليلا، وذلك فضل ما بين الوسطى والسبابة، إنما يكون نحوا من ذلك.

لقوله ﷺ: **«بعثت أنا والساعة هكذا»**، وأشار بالسبابة والوسطى، **«سبقتها بقدر هذه من تلك»** أى بقدر زيادة الوسطى عن السبابة.

- وعن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال **«الحُقْبُ ثمانون عامًا، اليوم منها سُدس الدنيا»**.

فبين فى هذين الخبرين أن الدنيا كلها ستة آلاف سنة، وذلك أن اليوم الذى هو من أيام الآخرة إذا كان مقداره ألف سنة من سنى الدنيا وكان اليوم الواحد من ذلك سدس الدنيا، كان معلومًا من ذلك أن جميعها ستة أيام من أيام الآخرة وذلك ستة آلاف سنة.

٧- وقد زعم اليهود أن جميع ما ثبت لديهم على ما فى التوراة التى فى أيديهم اليوم، مما جاء فيها من لدن خلق الله لآدم عليه السلام إلى وقت الهجرة، أربعة آلاف سنة وستمائة سنة واثنان وأربعون سنة، وقد ذكروا تفصيل ذلك بولادة رجل رجل، ونبى نبى، وموته من عهد آدم إلى هجرة نبينا ﷺ.

٨ ـ أما اليونانية من النصارى: فإنهم يزعمون أن الذى ادعته اليهود ومن ذلك باطل، وأن الصحيح من القول فى قدر مُدّة أيام الدنيا من لدن خلق آدم إلى وقت هجرة نبينا ﷺ، على سياق ما عندهم من التوراة التى هى فى أيديهم خمسة آلاف وتسعمائة سنة واثنتان وتسعون سنة وأشهر، وذكروا تفصيل ذلك أيضا، بولادة نبى نبى وملك ملك، ووفاته من عهد آدم! إلى هجرة نبينا ﷺ، وذكروا أن اليهود إنما نقصوا ما نقصوا من عدد سنى ما بين تاريخهم وتاريخ النصارى، دفعا منهم لنبوة عيسى عليه السلام، إذ كانت صفته ووقت مبعثه مثبتة فى التوراة . وما زالوا ينتظرون مبعث عيسى.

٩ ـ وأما المجوس: فإنهم يزعمون أن قدر مدة الزمان من لدن ملك (جيومرت) إلى وقت هجرة نبينا ﷺ، ثلاثة آلاف سنة ومائة سنة وتسع وثلاثون سنة، وهم لا يذكرون مع ذلك نسبا يعرف فوق (جيومرت)، ويزعمون أنه آدم أبو البشر، ثم أن أهل الأخبار بعدُ فى أمره مختلفون، فمن قائل منهم فيه مثل قول المجوس ومن قائل منهم أنه تسمى بآدم بعد أن ملك الأقاليم السبعة، وأنه إنما هو جيو مرت بن يافث بن نوح، كان بارًا بنوح، ولخدمته ملازمًا شفيقا، فدعا الله له ولذريته، لذلك من بره به وخدمته له، بطول العمر والتمكين فى البلاد، والنصر على من ناوأه وإياهم واتصال الملك له ولذريته ودوامه له ولهم، فاستجيب له فيه، فأعطى جيومرت ذلك وولده فهو أبو الغُرس ولم يزل الملك فيه وفى ولده، إلى أن زال عنهم بدخول المسلمين مدائن كسرى، وغلبته أهل الإسلام إياهم على ملكهم. ومن قائل غير ذلك.

٣ ـ (القول فيما جاء فى الدلالة على حدوث الأوقات والأزمان والليل والنهار)

قلنا إن الزمان إنما هو اسم لساعات الليل والنهار، وإنما هى مقادير من جرى الشمس والقمر فى الفلك، كما قال تعالى ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ . وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ . لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٣٧ ـ ٤٠].

فإذا كان الزمان ما ذكرنا من ساعات الليل والنهار، وكانت ساعات الليل والنهار إنما هى قَطْعُ الشمس والقمر درجات الفلك، كان بيقين معلومًا أن الزمان محدث، والليل والنهار محدثان وإن محدث ذلك الله عز وجل، الذى تفرد بإحداث جميع خلقه كما قال عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣].

٤ ـ القول فى هل كان الله عز وجل خلق قبل خلقه الزمان والليل والنهار شيئا غير ذلك الخلق

ذكر الطبرى، قلنا: أن الزمان إنما هو ساعات الليل والنهار وأن الساعات إنما هى قطع الشمس والقمر درجات الفلك، فإذا كان ذلك كذلك، وكان صحيحا عن رسول الله ﷺ ما حدثنا به هَنَّاد بن السرى، مرفوعًا إلى ابن عباس (رضى الله عنه): قال: قال هناد: أن اليهود أتت رسول الله ﷺ فسألته عن خلق السموات والأرض، فقال رسول الله ﷺ: «خلق الله الأرض يوم الأحد والإثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع وخلقَ يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب. فهذه أربعة، قال تعالى: ﴿أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين﴾ الآيات، وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقيت منه فخلق فى أول ساعة من هذه الساعات الآجال، مَنْ يحيا ومن يموت وفى الثانية ألقى الآفة على كل شيء مما ينتفع الناس به، وفى الثالثة آدم، وأسكنه الجنة، وأمر إبليس بالسجود له وأخره منها فى آخر ساعة، ثم قالت اليهود ثم ماذا يا محمد؟ قال: «ثم استوى على العرش» قالوا؟ قد أصبت لو أتممت. قالوا ثم استراح. فغضب رسول الله ﷺ غضبا شديدًا فنزلت ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾[ق: ٣٨]. اللغوب: التعب.

وهذا يبين أن الشمس والقمر خلقا بعد أن خلق الله تعالى أشياء كثيرة من خلقه.

فإن قال قائل لنا لقد زعمت الآن أن اليوم إنما هو اسمٌ لميقات ما بين طلوع الشمس إلى غروب الشمس، ثم زعمت الآن أن الله خلق الشمس والقمر بعد

أيام من خلق أول الأرض من الأشياء التى خلقها، فأثبت مواقيت وسميتها أياما ولا شمس ولا قمر، وهذا إن لم تأت ببرهان على صحته فهو كلام ينقض بعضه بعضا. قيل إن الله سمى ما ذكرته أياما فسميته بالاسم الذى سماه به، وكان فى وجه تسميته ذلك أياما، نظير قوله تعالى ﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا﴾ ولا بكره ولا عشى فى الجنة إذ كان لا ليل في الآخرة ولا شمس ولا قمر كما قال عز وجل ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾[الحج: ٥٥] فسمى تعالى يوم القيامة يومًا عظيمًا إذ كان يومًا لا ليل بعد مجيئه وإنما أريد بتسميته ما سمى أيامًا قبل خلق الشمس والقمر قدرُ ألف عام من أعوام الدنيا التى العام منها اثنا عشر شهرًا من شهور أهل الدنيا، التى تعد ساعاتها وأيامها بقطع الشمس والقمر درج الفلك، كما سمى بكرة وعشيا، لما يرزقه أهل الجنة في قدر المدة التى كانوا يعرفون ذلك من الزمان فى الدنيا بالشمس والقمر، ومجراها فى الفلك ولا شمس عندهم ولا ليل، : ﴿وإن يومًا عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾

وعن مجاهد عن ابن عباس (رضى الله عنه) فى قوله تعالى: فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائفين﴾ . قال الله غز وجل للسموات اطلعى شمسى وقمرى ونجومى وقال للأرض شققى أنهارك وأخرجى ثمارك، قالتا أتينا طائعين.

وعن قتادة: ﴿وأوحى فى كل سماء أمرها﴾ أى خلق شمسها وقمرها ونجومها صلاحها. والله أعلم.

٥ ـ القول فى الإبانة عن فناء الزمان والليل

والنهار وإن لا شىء يبقى غير الله تعالى:

قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ . وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧]، قوله تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[القصص: ٨٨] فإن كل شىء هالك غير وجهه أى ذاته سبحانه وتعالى، ولا شك أن الليل والنهار، الظلمة والنور خلقهما الله لمصالح خلقه، فلا شك أنهما فانيان هالكان

كما أخبر جل ثناؤه فى قوله تعالى: ﴿إذا الشمس كورت﴾[التكوير: ١] يعنى بذلك عميت وجمع ضوؤها.

وذلك عند قيام الساعة، وهذا ما لا يحتاج إلى الإكثار فيه إذ كان مما يدين بالإقرار به جميع أهل التوحيد من أهل الإسلام وأهل التوراة والإنجيل والمجوس، وكلهم مقرون بفناء جميع العالم حتى لا يبقى غير القديم الواحد مقرون بأن الله تعالى محييهم بعد فنائهم وباعثهم بعد هلاكهم ـ خلا قوم من عبدة الأوثان.

فإن من عبدة الأوثان أقوامًا يقرون بالفناء وينكرون البعث، هذا ما جاء ذكره فى تفسير ابن كثير وما ذكره الطبرى فى تاريخه عن الليل والنهار، واليوم والزمان، والشمس والقمر والأرض.

ثالثًا:المجموعة الشمسية:ومحاولة جديدة لفهم الآيات الكونية فى القرآن الكريم.

١ ـ فى قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٤].

أ ـ معنى الألفاظ:

السين: حَرْف يدخل على المضارع فيخلصه للاستقبال، مدة الاستقبال معه، أضيقٌ منها مع سوف، ويقال له حرف تنفيس أى توسيع لأنه ينقل المضارع من الزمان الضيق وهو الحال إلى الزمان الواسع، وهو الاستقبال.

نريهم: (نحن نريهم): ضمير المتكلمين للاثنين أو أكثر.

يرى: رأيا ورؤية ورآءه ورئيانا: نظر بالعين أو العقل:

الرؤية: جمعها رُؤًى: النظر بالعين أو بالقلب . . والرؤية: المنظر الحسن.

ارتأى: نظر/ تدبر (الرِّياء: التظاهر بالخير دون الحقيقة).

آياتنا: الآية جمعها آىٌ وآيات: العلامة/ العبرة.

فى: ظرفية تفيد الاستعلاء ـ بمعنى على.

الآفاق:جمع أفق: الناحية.

الأفق: ما ظهر من نواحى الفلك ماسًا الأرض وهو دائرة تقاطع الكرة السماوية، ومستوٍ عمود على الشاقول (الرأس) كسطح مياه ساكنة، ويسمى أيضا

دائرة الأفق.

وفى أنفسهم: وفى: الواو حرف عطف، وفى الظرفية.

النفس: جمعها أنفس ونفوس: الروح/ العين (إصابة نفس: أى عين) الجسد/ شخص الإنسان.

حتى: حرف جار: يدل على الانتهاء ـ وتفيد هنا الغاية.

البيان: (مصدر) ما يتبين به الشيء من الدلالة والفصاحة ،وغيرها.

وهو المنطق الفصيح المعبر فى الضمير ومنه «**إن من البيان لسحرا**».. البينة/ جمعها بينات: الدليل/ الحجة.

الحق: جمعها (حقوق) ضد الباطل/ العدل/ المال والملك/ الحظ والنصيب والحق/ الموجود الثابت/ الأمر المقضى/ الحزم/ الجدير.

والحقيق: الجدير والخليق ـ الحق: اليقين.

الحُقْ: الأرض المستديرة أو المطمئنة.

الحق: الموت ـ الحاقة/ النازلة ـ القيامة.

ب ـ المعنى الإجمالى لهذه الآيات:

إن الله تعالى سيرى بنى آدم على مر الزمان والأوقات أينما كان وأينما ذهب على هذه الأرض، فى البحار والوديان والسهول والجبال والأنهار ،والأشجار والأطيار، وجميع مناحى الأرض التى يعيش عليها وفى مراقى ومعارج الكواكب والنجوم وفى النفس البشرية من تركيب الجسم ووظائف الأعضاء وعلم الأجنة وعلم الوراثة وعلم النفس والتشريح وغيرها من العلوم الإنسانية والاجتماعية والطبية، وفى علوم الذرة ونواتها والخلايا الحيوانية والنباتية، وما يخترع من عقل الكترونى وما يكتشف فى الفضاء الكونى اللانهائى ما يجعل هذا الإنسان أن تتحرك فيه فطرتهُ الذى فطره الله عليها، وأن يشهد لله بالوحدانية ولمحمد ﷺ بالرسالة، وللقرآن بالإعجاز. وهذا ما حدث ويحدث فى كل زمان ومكان ومجال وعلم وفن.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ للَّه وَقَارًا . وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا . أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا . وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ (نوح: ١٣ـ ١٦).

أ ـ معانى الألفاظ:

ـ **ما:** الاستفهامية. استفهام توبيخى.

ـ **لا ترجون:** لا: النافية: رجا: ضد يئس: أمَّل.

ترَجّى الشىء: أمّل به وفيه/ ترجاه: طلب منه.

ـ **لله وقارا:** الوقار: الحلم والرزانة والعظمة.

وقد: الواو للعطف أو الابتداء.. قد: تفيد التحقيق مع الفعل الماضى.

خلق: الأديم خلقا وخلقه: قدره قبل أن يقطعه.

خلق الشىء: سوّاه/ لينه.

خلق: / أبدع وأوجد من العدم: اخترع: فطر.

ـ **أطوارا:** جمع طور: الطور: الهيئة: الحال: الناس أطوار: أصناف وعلى حالات شتى: الطّور: التارة.

طوراً بعد طور: تارة بعد تارة ـ الطور: الجبل.

ـ **نورا:** نارَ ينورُ نوْراً و نياراً: أضاء.. النور: الوسم: الذى يبين الأشياء.

نور الشىء تنويراً: أضاء: النور جمعها أنوار ونيران.

ـ **المنير:** الحسن اللون المشرف.

المنار: موضع النور.

ـ **سراجا:** جمع سُرُج: إناء فيه الزيت، فيصعد فى فتيله ويتحلل إلى مواد مشتعلة فى طرفها عندما تمسّه النار فيستضاء به.

(السراج: مصدر الضوء).

سراج الليل: دابة فى ذنبها مادة منيرة ويقال لها الحُباحِب.

وهاجا: وهج يهج وهيجا ووهجانًا اتقدت: النار أو الشمس:

اتفقت: أو هج النار: أوقدها: توهج: توقد واشتد

توهج الجوهر: تلألأ . . . رائحة الطيب: سطعت وانتشرت.

الوهج: اتقاد النار أو الشمس.

الوهاج: شديد الوهج: وقاد - نجم وهاج: أى وقاد

وكذا السراج الوهاج: الوقاد . . شديد الضوء.

ب - المعنى الإجمالى للآيات:

يتعجب الله تعالى فى سؤال فيه تهكم وتوبيخ لهؤلاء الكفار الذين لا يقدرون الله حق قدره، ولا يعظمونه حق تعظيمه، ولا يوقرون حق التوقير والتبجيل، وهو الذى خلق الإنسان طورًا بعد طور، من حالة النطفة من الذكر والأنثى إلى طور العلقة بجدار رحم الأم إلى طور المضغة التى فى حجم ما يمضغه الإنسان فى فمه من طعام، فخلق المضغة عظاما ولحما وأنشأه خلقا آخر تمام الخلقة وجعل له السمع والأبصار، والأفئدة، ثم هو طفل رضيع يتغذى على لبن أمه إلى فتى يافع ثم إلى شيخ كبير فان، وقد يموت قبل ذلك.

ثم هو صائر إلى التراب . . وهكذا يتطور الإنسان أى ينتقل من صورة وهيئة إلى صورة وهيئة أخرى فهو مثله مثل كل الأحياء متغير الصور والأطوار زائل إلى التراب،ثم يسأل الله سؤالا تقريريا لهذا الإنسان، كيف أن الله تعالى خلق سبع سموات طباقا، والطباق هو المطابق ،وقد تكون بمعنى طوابق يعلو بعضها بعض فى البروج ومجموعات الكواكب والنجوم، وقد يكون من تطابق الشيئين أى جعلها على حَذوٍ واحد، فالسموات السبع على نسق بديع واحد، وقد يكون متطابقة فى الشكل والهيئة أى متشابهة أو من معنى الدهر أطباق أى أحوال تختلف، فهى مختلفة فى اتساعها وفى محتويات كل منها وما بها، أو من الطبقة وهى المرتبة أو الحال فهى مختلفة المراتب فى ارتفاع بعضها عن بعض، والله تعالى أعلم،وجعل القمر: أى خلق وأنشأ وأبدع القمر فى إحداهن وهى السماء الدنيا التى زينها الله بالكواكب والنجوم، والقمر تابع للأرض يدور فى فلكها، وجعل

الشمس أى خلق الشمس بعد أن لم تكن موجودة فجعل القمر نورًا أى منيرًا يستمد نوره من نور الشمس التى هى تشع الضوء الشديد والحرارة فينعكس نورها على سطح كوكب القمر، والجزء الظاهر منه إلى الناظر من فوق الأرض يراه الإنسان، ولذلك تختلف صور القمر، لاختلاف مسافة وجهه المواجهة للشمس باختلاف موضعه مع الأرض فهو فى كل يوم فى موضع مختلف وتسمى هذه المواضع بمنازل القمر، حيث يبدو كل ليلة خلاف الليلة السابقة وهى ثمان وعشرون منزلا. كما سنوضح عند الكلام عن رأى العلم فى المجموعة الشمسية.

٣ ـ فى قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[فصلت: ٣٧].

وقول الرسول ﷺ يوم وفاة ابنه إبراهيم عليه السلام وقد خُسفت الشمس **«إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا تنخسفان لموت أحد، فإذا رأيتم ذلك فاهرعوا إلى الصلاة»** (صلاة الخسوف والكسوف). فيقرر الحق تبارك وتعالى أن الليل والنهار اللذان ينشآن من دوران الأرض حول نفسها (كما سنوضح فيما بعد) من الغرب إلى الشرق كل أربع وعشرين ساعة فيما يتعاقب الليل والنهار، وأنهما لا يستقران على حال، بل يدخل هذا فى هذا ويطول هذا ويقصر هذا نتيجة دوران الكرة الأرضية حول الشمس واختلاف تعامد الشمس على سطحها فى الفصول الأربعة كما سنوضح، فهذه آيات من آيات الله، كما أن الشمس وهى نجم ضخم ومتوهج الضوء والحرارة، والقمر يستمد ضوءه وحرارته من الشمس، هما أيضا آيتان من آيات الله وخلق من خلقه فلا يحق أن يسجد لأحدهما بل يجب السجود والصلاة والعبادة لخالقهن.

٤ ـ وفى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ . وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: ٢، ٣].

أ ـ معانى الألفاظ:

رفع: ضد خفض.

بغير عمد: مفردها عماد: ما يسند به، والعمادة: الأبنية الرفيعة .. أهل العماد: أصحاب الأبنية الرفيعة العالية.

عمد عمدًا السقف أقامه بعماد ودعمه/ أعمد الشيء: جعل تحته عمادًا/ اعتمد: اتكأ.

ومنها العمدة: الذى يعتمد ويتكأ عليه.

العمود: جمعها عمد وأعمدة وعَمَد: ما يقوم عليه البيت وغيره.

ترونها: رأى: يرى رأيا ورُؤية وَراءة ورِئيانا: نظِر بالعين أو بالعقل..

وسخر: السخرة: العمل بدون أجر وكل عمل بدون أجر كرها أو طوعًا.

يجرى: الجارية: الشمس: لسيرها من المشرق إلى المغرب (الظاهرى).

جرى: سار ومَرَّ: والمجرى: الممر: مثل مجرى الشمس.

لأجل: الأجل: أجل: حَرْف جواب بمعنى نعم.

الأجل: جمعها آجال: غاية الوقت/ وقت الموت/ الأجل والآجلة ضد العاجل والعاجلة/ الآخرة .. التأجيل: التأخير

مسمى: المسمى: المعلوم/ المعين.

يدبر: دبر الأمر: تفكر فيه ونظر فى عاقبته/ اعتنى به ونظمه.

تدبر الأمر: نظر فى أدباره أى عواقبه وتفكر فيه.

الأمر: طلب إحداث الشيء. جمعها أوامر: الأمَّارة: الكثيرة الأمر..

يفصل الآيات: فصل الكلام: بينه: ضد أجمله/ فصَّل الشيء: جعله فصولا أى أجزاء.

فصل الولد عن الرضاع: فطمه ـ الفصال: فطم الولد.

الآيات: جمع آية: العلامة: الآية من الكتاب كلام منه منفصل يفصل

لفظى/ الآية: العبرة (آية الرجل: شخصه).

لعلكم: لعل: من الحروف المشبهة بالفعل: تنصب الاسم وترفع الخبر وتفيد التوقع، وهو ترجى المحبوب والإشفاق عليه، وتختص بالممكن الذى لا وثوق بحصوله، ويجوز حذف لامها فتقول: عَلَّ وقد تدخل عليها ما الكافة: فتكفها عن العمل: (لعلما) أضاءت لك النار .

بلقاء: بمقابلة: استقبال: ملاقاة.

ربكم: الرب: جمعها أرباب، وربوب: السيد/ المالك/ المتصرف من أسماء الله تعالى: الرَّبانى: العارف بالله.

الرَّب المصلح:

توقنون: أيقن وتيقن واستيقن الأمر: علمه، وتحققه.

اليقين: إزاحة الشك وتحقيق الأمر/ العلم الحاصل عن نظر واستدلال.

يقال إنا على يقين منه أى عالم به حق العلم.

حق اليقين: واضحه وخالصه/ أمر يقين: ثابت الصدق واضحه.

وهو الذى: (أى الله سبحانه وتعالى).

مد الأرض: بسطها/ جذب الأرض/ مدّ الشىء بالشىء: جذبه به.

مَدَّ الحرف: طوله، مَدَّ الأرض، جعل فيها ترابا أو سمادًا من غيرها.

مَدَّد الشىء: بسطه.

المدَدْ: العون والإغاثة.

وجعل فيها: جعل: وضع: فيها فى حرف جر تفيد الاستعلاء أى عليها.

رواسى: ثوابت من جبال وغيرها.

وأنهارا: نَهَرَ الماء نهراً: جرى فى الأرض وجعل لنفسه نهراً.

نهر النهر: حفره/ أجراه.

﴿وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾:

الثمرات:جمع ثمرة: وتجمع على ثمار وجمع الجمع أثمار وثُمُرْ: وهو حمل الشجر وهو ما يعقب الزهر مباشرة وينتج من تحول المبيض فى الزهرة إلى ثمرة والبويضة إلى بذرة . . بعد الإلقاح. الثمرة/ التمرة.

النَّسْل والولد ـ الثمراء من الشجر/ ذات الثمر.

أرض ثمراء: كثيرة الثمر: الثامر: اللوبيا.

الزوج: القرين: البعل/ كل واحد معه آخر من جنسه فيقال للاثنين هما زوجان: ـ عندى زوج حمام: أى ذكر وأنثى.

واشتريت زوجى نعَّال: أى نعلين/ الصنف من كل شىء.

يغشى: غَشِىَ الشىء: غطاه. .

كى لا يسمع ولا يرى . . الغشوة والغشاوة: الغطاء.

أغشى الليل: أظلم: يغشى الليل والنهار: يغطيه ويحل محله.

أو يظلم الضوء: أغشى على بصره: غطاه.

الغاشية: القيامة: الجمع غواشٍ.

تغشى المرأة: غشيها ووطأها ـ الغشيان: الضعف.

يتفكرون: فكر: تأمل: يتفكرون: يتأملون ويعلمون الخاطر .

والفكرُ: تردد الخاطر: التدبر بطلب المعانى.

ما يخطر بالقلب من معانى.

الفكرى: جمع فكر: إعمال الخاطر فى التفكير.

ب ـ المعنى الإجمالى:

يؤكد الحق تبارك وتعالى على أنه رفع السموات وبنى ما فيها من نجوم وكواكب وشموس وشهب ونيازك ومجرات، مرتبة ومنظمة فى غاية الإتقان والإبداع والجمال والروعة، وأن ليس هناك من خلقه من يدعى أنه هو الذى أبدع هذا الخلق، وأن الله تعالى قد رفع بروج السموات وأبدع ما فيها بقوانين فوق طاقة

الجن والإنس وبغير أعمدة تقوم عليها غير قوانين أوجدها سبحانه هى قوانين الكون التى سبق أن ذكرناها القائمة على الجذب والدوران والحركة فهى مترابطة مع بعضها كما يترابط البناء بقانون الجاذبية وتتباعد عن بعضها بقوانين الطرد المركزى، والقوتان متساويتان فلا تطغى إحداهما على الأخرى، وبعد أن دبر ذلك استوى على عرشه استواء يليق بجلال ذاته، وهو الذى سخر الشمس والقمر ضمن المجموعة الشمسية، فالشمس تجرى ومعها مجموعتها من الكواكب ومن ضمنها الأرض والقمر تابع للأرض يدور فى فلكها، والأرض وقمرها يدوران كل حول نفسه ثم يدوران حول الشمس، وكل هذا مقدر ويجرى لوقت معلوم عند الله تعالى، حتى إذا أراد أن يهدم البناء، ضعفت الجاذبية ووقفت حركة الكواكب والنجوم وانفرط عقدها وسقط ما فى السماء من شهب ونيازك وغيرها على غيرها من الكواكب، تكورت الشمس وذهب ضوؤها للدلالة على وجوده سبحانه، ورجاء أن يتيقن الناس بلقائه بعد البعث. . حيث أنه هو الذى خلق الأرض فى هيئة كرة ضخمة بالنسبة لما عليها من جبال وأودية وأنهار وإنسان وحيوان، فبسطها ووسعها على هذه المخلوقات، وجعل فيها كل ما ينتجه الزرع والحيوان من خيرات عظيمة وفيرة ومن كل المخلوقات، خلق الذكر والأنثى للمحافظة على التوالد والتناسل فى النبات الحيوان وسائر المخلوقات، كما جعل من كل نوع من النبات أصناف مختلفة اللون والحجم والشكل، وهو الذى جعل كرة الأرض تدور من الغرب إلى الشرق فى مواجهة الشمس، كل ٢٤ ساعة مرة، يتعاقب فيها الإصباح والإمساء والليل والنهار حتى يسكن الخلق ليلا، وينتشروا للسعى للعمل والنشاط والحياة نهاراً إن فى هذا الدليل القاطع لكل ذى عقل ولب وفؤاد على أنه الواحد الأحد، الفرد الصمد.

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨].

٥ ـ وفى قوله تعالى:

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ . لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ

النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[يس: ٣٨ـ٤٠].

أ ـ معاني الكلمات:

ـ **والشمس**: هو النجم المعروف: تصغيرها: شُمَيسة، وهى كرة غازية درجة حرارتها السطحية حوالى ٦٠٠٠ْ والداخلية بضعة ملايين، قطرها ١٠٩ أضعاف الأرض/ الشمس عند الصوفية: النور أى الحق سبحانه وتعالى.

ـ **تجرى**: جرى جريا وجريانا وجرية: سار ،مَرَّ/ جاراه: جرى معه . .

الجارية: السفن، جرى: قصد.

ـ **لمستقر لها**: استقر: سكن/ ثبت/ القرار فى المكان: المستقر: بوضع الاستقرار.

ـ **تقدير: جمعها تقادير: ما يقدره الله من القضاء.**

تحديد كل شىء أو مخلوق بحدّه . . الأمر المحتوم.

ـ **العزيز**: جمعها: عزاز: وأعزاء أعِزَّة: القوى/ الملك/ المنيع الذى لا ينال ولا يغالب ولا يعجزه شىءٌ ولا يغلبه شىء.

ـ **العليم**: المتصف بالعلم . . . الأعلم من كل عالم.

ـ **القمر**: جمعها أقمار/ كوكب يستمد نوره من الشمس، فينعكس على الأرض فيرفع ظلمة الليل، وهو قمرٌ بعد ثلاث ليالٍ إلى آخر الشهر أما قبل ذلك فهو هلال. . سُمّىَ بذلك لبياضه.

القمران:الشمس والقمر ـ الأقمار:التوابع:أجرام سماوية تدور حول الكواكب السيارة. . أقمار العلم وشموسه: العلماء.

قدرناه قدَّر: قضى وحكم عليه: هيأناه المقدار: جمعها مقادير: مبلغ الشىء/ مكيال الشىء ووزنه. وليلة القدر: ليلة تقدير الأمور.

منازل: المنزل: جمعها منازل: مكان النزول/ الدار/ المنهل. المنزلة: جمعها منازل: موضع النزول/ الرتبة. نزل منزلا: حَلَّ. والنَّزِل: المكان الذى ينزل فيه كثيراً. . .

منازل القمر: الأماكن التى ينتقل فيها القمر حول الأرض فى دورة كاملة له وهى ثمان وعشرون منزلا، يتغير فيها شكله من هلال إلى تربيع أو إلى بدر.. (كما سنوضح فيما بعد).

حتى: تدل على الانتهاء.

عاد: صار/ ارتدَّ إليه/ صَار من... إلى.

وتأتى للدلالة على الانتقال من حال إلى حال (عاد فلان شيخًا)

العادة: جمعها عادات/ وعاد وعِيْد وعَوائد: وما يعتاده الناس. أى يعود إليه مرارًا وتكرارًا. أعاد: كرر/ أرجع.

كالعرجون: الكاف جار للتشبيه:

العرجون: ويقال له العُرْجُد: جمعها عراجين وهى أصل العذق الذى يعوج، ويبقى على النخيل يابسا بعد قطع الشماريخ عنه.

القديم: قدم: مضى عليه زمن طويل/ ضد حدُث فهو قديم وقُدَام تقادم بمعنى قدم.

لا الشمس: لا النافية: الشمس اسم لا التى تعمل عمل ليس.

الشمس: سبق ذكره

ينبغى: لا يسهل للشمس أن تدرك القمر، ولا يتيسر للشمس ذلك.

انبغى: تسهّل وتيسر ذلك لأن الشمس تجرى فى فلك لها (أى مدار خاص بها).، والأرض تدور فى فلك حول الشمس، والقمر يدور فى فلك حول الأرض. فسبحان العلى القدير.

ولا الليلِ: لا النافية... الليل من الغروب إلى طلوع الفجر أو طلوع الشمس.

سابق: سبق سبقًا: تقدمه وخلفه وراءه فهو سابق.

النهار: جمعها أنهرُ، ونُهُرْ: ما بين طلوع الشمس إلى غروبها.

وشرعًا من الصبح إلى المغرب.. وهى ضد الليل وسمى بذلك لانفتاح

الظلمة عن الضياء. ويقال: نهارٌ نَهِرٌ: أى مضيء جدًا.

وكل: الواو: واو الحال . . كلٌ: اسم موضوع لاستغراق أفراد المتعدد.

فٍي: حرف جر ظرفية.

فلك: فلك فلكا ثدى الجارية: استدار ـ فلكت الجارية: استدار ثديها فهى فالك. جمعها: فوالك: الفلك: جمعها فُلْكٌ وفُلُكٌ وأفلاك: مدار النجوم ـ الواحدة: (فلكة) جمعها فلاك: قطعٌ من الأرض تستدير الفلك وترتفع على ما حولها/ التل من الرمل حوله فضاء.

الفلك من البحر: موجه المستدير المتردد.

الفلك من كل شيء: مُستداره.

فلك البروج: دائرة ترسمها الشمس فى سيرها فى سنة واحدة وتقسم الدائرة إلى اثنى عشر بُرْجًا كل واحد منها ٣٠ْ (سماه المعاصرون الدائرة الكسوفية) ـ التدوير عند الأقدمين: دائرة يسير عليها الكوكب السيار.

علم الفلك: علم يبحث عن أحوال الأجرام العلوية وهو غير التنجيم وقراءة الطالع من حركة النجوم (زعم باطل). رَجل فَلِك: عظيم الإليتين. الفلكة: واحدة الفلك/ كل ما ارتفع أو نتأ واستدار. فلكة الركبة/ فلكة المغزل جمعها فلك: هنة فى أعلاه مستديرة الفلك. والمفلّك من النساء: المستديرة الثدى. . .

يسبحون: سبح سبحًا: أبعد فى السير:

سبح القوم: تقلبوا وانتشروا فى الأرض. سبح فى الماء وبالماء: عام وانبسط فيه ـ ويستعار لَمرِّ النجوم وجرى الفرس.

السابحات: والسوابح من الخيل: السريع. . السوابح: الخيل السريعة.

السابحات: السفن والنجوم.

سبح سُبْحَاناً: قال سبحان الله . . سبح تسبيحا: صَلَّى/ قال سبحان الله نزه الله ومجده ـ ويقول قضيت سبحتى: أى دعائى.

السُّبحة: الصلاة النافلة: خرزات منظومة فى سلك للتسبيح.

سُبُحات وجه الله: أنواره أو ما يسبح به من دلائل عظمته.

سبحان الله: أى أبرئ الله تعالى من كل سوء.

سبحل: قال سبحان الله.

٦ ـ وفى قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ. الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ. ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ. وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك ١ ـ ٥].

أ ـ معانى الكلمات:

ـ تبارك: تقدس ـ تطهر: تنزه ـ والقدوس: المنزه عن كل نقص وعيب.

ـ اليد: الكف أو من أطراف الأصابع إلى الكتف ... القُدْرة/ السلطان القوة .. (يد الله مع الجماعة) حفظه ووقايته مع الجماعة.

بيده: بتصرفه.... يدُ الجوزاء: كواكب الجوزاء. الأيادى: النعم.

ـ الملك: جمعها أملاك ومُلُوك: ما يملكه الإنسان ويتصرف فيه وهو العظمة والسلطان ـ هذا ملك يمينى أى فى تصريفى.

المَلِكْ: جمعها ملوك وأملاك: الله سبحانه وتعالى.

صاحب الملك: صاحب الأمر والسلطة على أمة أو قبيلة أو بلاد.

الملكوت: الملك العظيم: الفرد والسلطان.

وملك الشىء: احتواه فهو قادر على التصرف والاستبداد به.

ـ قدير: القدير: ذو القدرة ـ والقدرة: القوة على الشىء والتمكن من فعله أو تركه.

والقدر: جمعها أقدار: مبلغ الشىء: ويكون الشىء مساويا غيره تمامًا بدون زيادة أو نقصان.

التقدير: جمعها تقادير: وهو ما يقدره الله من القضاء أو تحديد كل مخلوق. بحد.. والمقدور: المحتوم.

قدَّر الشيء: قاسه وجعل له مقدار.

واقتدر الشيء بالشيء قاسه وبه.

وقدَّر الزمر: دبَّره:

الموت: مات يموت موتًا: حَلَّ به الموت وفارقت الروح جسده..

مات أمواتٌ وموتانا (المكان): خلا من العمارة والسكان...

والموت (مصدر) الأرض الخالية من السكان أو التي لا ينتفع بها أحد.

والموت: أرض لم يجر فيها أحياء بعد.

الحياة: حَيِيَ حياة: ضد مات: حياك الله: أطال الله عمرك... أحياء الأرض أخصبها.

الحي: نقيض الميت والحيا والحياء.. الخصب/ المطر: لإحيائه الأرض والناس/ أرض حية: خصبة.

- يبلوكم: بُلي الرجل: امتحن: أبلى الله عباده: اختبرهم بصنع جميل: ابتلاه: تبالاه: اختبره - ابتلا الشيء: عَرَفه.

والبلاء: الاختيار يكون بالخير والشر.

طباقا: - مطابقا أي يطابقه ويوافقه. طِبَاقُ الأرض: ما علاها.

وطابق طباقا ومطابقة: وافقه.

طابق الشيء: طباقا: ومطابقة وافقه وطابقه.

أطبق الرحى: وضع الطبق الأعلى فوق الطبق الأسفل...

الدهر أطباق: أي أحوال مختلفة.

الطبقة: المرتبة، والطبقة من البناية: غرف غرف وردهات وصحون يجمعها سقف واحد ومستوى أرض واحدة، وتتكون من طبقة تعلوها طبقة أو طبقات تماثلها.

أطبقت النجوم: كثرت وظهرت.

المطبق: خلاف المنفتح أو المنبسط.

تفاوت: تفاوت الشيئان: اختلفا وتباعدا ما بينهما/ تباينا.

الفوت: جمعها أفوات: الفرجة بين الأصبعين.

فطور: فطر فطرًا: الشيء: شقه، فطّر الشيء: شقه، تفطروا نفطر: انشق: تفطرت الأرض بالنبات: تصدعت به وأخرجته.. جمعها فطور: الشق.

بصر: جمعها أبصار: حاسة النظر: العين/ الباصرة/ جمعها بواصر العين... المبصر: الحافظ. البصر: جمعها أبصار: العلم: والبصريات: علم النور والرؤية. البصيرة: العقل.. جمعها بصائر/ التبصير: الرؤية. البصيرة: الحجة.

ارجعْ: أعِد: رَجَّع: رَدَّد.. تراجع القوم: عادوا إلى مواضعهم.

كرًّ: كرورًا: رجع وعطف، عادَ مَرَّةً بَعْدَ مرة... كرّ الليل والنهار: عادا مَرَّة بعد أخرى. كرًّ كرورًا وتكرارًا: أعاد مَرَّةً بعد أخرى. أو مرَارًا كثيرة. ناقة مِكرَّة: تحلب في اليوم مرتين. فرس: مكر مفر: مقبل مدبر.

ينقلب: قلب الشيء قلبا: جعل أعلاه أسفله/ جعل باطنه ظاهره. انقلب: انكبّ ورجع.

خاسئا: خسأ البصر خسئا وخسوءًا: كلَّ وأعيا وتعب.

حسير: ذليل: حقير: والحسران: من اشتدت حسرته. الحسير من البصر: الكليل: الضعيف: المعيى. والمحسور: الكَالّ: المنقطع: المتعب.

رجومًا: رجم رجما: رمًا بالحجارة ـ راجم: مراجمة: رمى كل واحد منهما بالحجارة. راجم: دافع. الرجيم: المرجوم. تراجموا: ترامْوا بالحجارة.

للشياطين: روحٌ شريره سُمِّيَ بذلك لبعده عن الخير والحق/ كل عات متمرد من إنس أو جن أو دابة، ومنه (شياطين العرب): أي متمرديها الشيطان: الحية/ شيطان الشعر: الموحي بالشعر للشاعر.

ب ـ المعنى الإجمالي:

يخبر الله تعالى عن ذاته المقدسة، بأنه تعاظم وتقدس وتطهر عند كل نقص أو

عجز، فهو المسيطر على هذا الملك من سموات وأراضين، ونجوم وكواكب وشموس وأقمار، ما يراه الإنسان وما لا يراه، بأدق الأجهزة وأعظمها مستخدما أحدث ما أنتج العلم الحديث من تكنولوجيا متقدمة، فالحق تبارك وتعالى يقبض على كل ما فيها ويحيط بها إحاطة تامة، ويحيط بما يجرى فيها وعليها وفى باطنها وظاهرها، لا يخفى عليه شىء أينما كان وأينما يكون، فهو على كل شىء قدير.

وهو الذى أوجد الموت والعدم والجماد وأوجد الظلمة والتراب وغيره من المواد الميتة التى لا حياة فيها ثم أوجد فيها الحياة وقدر فيها ما يريد لها من حياة على هذه الأرض، وأجل لها آجالها، ثم هو القادر على أن يميتها مرة أخرى ويعيدها إلى التراب والعدم وقد أوجد المخلوقات الحية، العاقلة من بنى الإنسان ليبلوه ويختبره ما يهبه له من مال أو جاه أو سلطان أو أولاد أو غير ذلك من شهوات الدنيا، وكذلك يبلوه بفقد هذه الأشياء من صحة ومال وولد وهو الرافع وهو الخافض، ليظهر الذى يحسن العمل والذى يسىء العمل، وهو المتصف بالعزة والمنعة والجلال والعظمة، الغفور لمن تاب عن ذنبه وندم عليه.

وهو سبحانه الذى أبدع السموات السبع: وسبق أن وضحنا أن لكل موجود سماء وهو ما علا وأظل فهو سماء، والسماء الدنيا هى التى زينها الله تعالى بالكواكب والنجوم، وجعلها فى مجموعات كالبناء يشد بعضه بعضا، وجعلها فوق بعضها . . متطابقة يطابق بعضها بعضا فى الشكل، بعضها أعلا من بعض، والتطابق إما أن يكون مرتبة بعضها فوق بعض، أو أنها متطابقة فى الخلق والشكل.

ـ ما ترى: أى لا ترى فى خلق الرحمن الذى خلق ودبر وربى بلطف صنعه ورحمته وحبه هذا الخلق، لا ترى فيه تصدع أو تنافر، ولكنك ترى الإبداع والجمال والانسجام والتناغم الذى يأخذ بالألباب ويتحدى الله تعالى هذا الظلوم الجهول ـ هذا الإنسان ـ أن يرجع بصره ويدقق بآلياته وسفن فضائه وصواريخه وكل ما استحدث العلم المعاصر من فنون التكنولوجيا، وأن يجوب الأرض وأقطارها، ويجوب السماء بشموسها وأقمارها، وكواكبها ونجومها، فإنه لن يرى إلا الجمال فى أجمل هيئة، ولن يرى إلا الحكمة فى أكمل صورة، ويطلب الحق سبحانه وتعالى من عبده أن يعيد النظر مرات ومرات ويعيد الكرة فى البحث

والمحاولة ولا يكف عن ذلك، ثم يخبره بأن كل هذا لن يأتى له إلا بأنه ينقلب ويرجع بصره وآلياته وعلمه وقدرته وطاقاته فيظهر ضعفها أمام الفناء الكونى اللانهائى، الذى لا يعلم مداه إلا خالقه سبحانه وتعالى، فترجع كل إمكانات الإنسان، صغيرة حقيرة ذليلة كليلة متعبة قد أقعدها الجهد والمشقة من المحاولات المستمرة من البحث والتأمل والتجوال فى الفضاء، فأما النفس المؤمنة، فترجع إلى ربها ويرسخ الإيمان فى قلبها، وأما الأخرى المكابرة فتظل تكابر وقد ملأها الجحودوالنكران والكفر.

ويقرر الله تعالى بأن كل ما يراه الإنسان ويعتقد أن يستطيع أن يعرفه أو يحيط به علما من كواكب ونجوم وإجرام سماوية إنما كلها تقع فى السماء الدنيا، والناظر لها يشهد بكمال الخلق وجلال الخالق، فينطبق لسانه معبراً عما فى قلبه وما جاش فى صدره فيقول سبحان الذى سخر هذا وزين بها السماء وجعلها مصابيح تنير الليل ويرجم بها شياطين الإنس والجن ﴿يرسل عليكما شواظٌ من نَارٍ ونحاسٌ فلا تنتصران﴾.

٧ ـ وفى قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان٦١، ٦٢].

وهذه الآيات من سورةالفرقان، وهى من السورة المكية التى تعنى بأصول العقيدة من وحدانية الله، وإقامة الأدلة على وجوده سبحانه وعلى الإيمان بالغيب بالله وملائكته وكتبه ورسله والإيمان باليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره.

والمعنى الإجمالى لهذه الآيات حيث سبق توضيح معانى المفردات فى آيات سابقة، هى أن الحق تعالى يلفت نظر الإنسان إلى أن ذاته المقدسة، العظيمة هى التى نصبت فى السماء القريبة والبعيدة هذه البروج والأبنية العظيمة من النجوم الكواكب فهو الذى رتبها حسب مشيئته، وهو الذى منحها الخواص والقوانين التى تحكمها وتسيرها، والبروج هى المبانى العظيمة وهى الأشكال التى تترتب فيها النجوم وما يتبعها من الكواكب والشهب والنيازك والأقمار وغيرها، جعل فيها أى فى السماء الدنيا أو فى إحدى السموات السبع سراجًا وهو المصباح مصدر الضوء والحرارة حيث أن الشمس نجم يشع ضوءًا وحرارة منها يستمد القمر ضوءه

وحرارته وكذلك الأرض التى نعيش عليها، وهذا إعجاز من الحق أنه فرق بين الشمس والقمر فجعل الشمس سراجًا يصدر الضوء والحرارة وجعل القمر منيرًا لظلام الليل على الأرض، منارًا بضوء الشمس حيث ينعكس ضوؤها على سطحه إلى الأرض والحق تبارك وتعالى وحده هو الذى جعل الليل والنهار خلفة فهو الذى وضع الأرض وهيأها فجعلها فى ترتيبها فى كواكب المجموعة الشمسية فى وضع وسط ليس بالقريب من الشمس، فتكون درجة الحرارة عليها شديدة يتعذر حياة الإنسان والكائنات الحية عليها ولا هى بالبعيدة، بحيث تنخفض درجة الحرارة إلى درجات بعيدة من التجمد بحيث تستحيل الحياة عليها، ولكنه جعلها سبحانه فى وضع وسط، وجعلها تدور حول نفسها من الغرب إلى الشرق فينعكس ضوء الشمس على نصفها المواجه للشمس فيكون نهارًا والنصف الآخر مظلما فيكون ليلا، ويأخذ هذا من هذا حيث تدور الأرض فى مواجهة الشمس فيخلف الليل والنهار حثيثا، ويولج أى يدخل هذا فى هذا، وفى تنقلها حول الشمس فى دورة كاملة كل ٣٦٥ يوما تتنقل فى بروج السماء وتقطع كل برج فى شهر، وتتعاقب فصول العام كما سنشرح إن شاء الله فى فصل رأى العلم فى ذلك، وجعل الله هذه الآيات لمن أراد أن يذّكر ويؤخذ العبرة والموعظة من آيات التى فى قوى الإيمان بين جنبيه (والله أعلم).

٨ ـ الأدلة على كروية الشمس والقمر: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ . وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ [التكوير ١، ٢].

ب ـ ويقول سبحانه: ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ . الْجَوَارِ الْكُنَّسِ . وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ . وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ . إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير: ١٥ـ١٩].

جـ ـ ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ . وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴾ [الانفطار: ١، ٢]

د ـ وفى قوله تعالى: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ . وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ . وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ . لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الإنشقاق: ١٦ـ١٩]

هـ ـ وفى قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى أَلا هُوَ

الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ [الزمر: ٥].

معانى المفردات: فى قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾.

ـ كوِّرت: كوَّر الشىءَ: من كار العمامة، يكورُ كورًا ونحوها: على الرأس: لَفَّها وأدارها/ كوّر العمامة: لفَّها وأدارها.

تكوير الحساب: جمعه فى جملة واحدة.

كوَّر الليل على النهار: أدار هذه على هذا وأدخل هذا على هذا.

كوِّرت الشمس: جمع ضوؤها ولف كما تلف العمامة.

وقيل: اضمحلت وذهبت . . . تكوّر: سقط وذهب : اكتار الرجل: تعمم.

الكورُ: جمعها كُوَر: البقعة يجتمع فيها المساكن والقرى.

الكِوارَة: العمامة

ـ انكدرت: انكدر فى السير: أسرع ـ انكدرت النجوم: تناثرت.

الأكدر: السيل الشديد ـ مؤنثها (كدراء) . . والجمع كُدُر.

والمعنى الإجمالى:

أن من علامات يوم القيامة أن تتكور الشمس أى يلف ضوؤها ويخفت نورها وتفقد حرارتها، ويومئذ تظلم الأرض ويظلم القمر لأن القمر يستمد ضوءه من ضوء الشمس، والأرض تستمد منها الضوء والحرارة التى بهما أسباب الحياة على كوكب الأرض فإذا انطفأ ضوء الشمس وبردت حرارتها، فقدت الحياة على الأرض أسبابها التى خلقها الله، فذلك يوم القيامة، حيث تنفك العروة التى أوجدها بين الشمس وكواكبها، وكذلك باقى الشموس التى لا يعلم عددها إلا الله وتناثرت النجوم ويتساقط بعضها على بعض ويفقد هذا الكون قوانينه التى أوجدها أوجد الله، فتنشق السماء وتنفطر، وتتصدع بروج السماء وتندك الجبال على الأرض، وتبعثر القبور.

ـ فى قول الله تعالى: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّس ...﴾ الآيات.

ـ فلا: الفاء زائدة، ولا زائدة لتقوية القسم.

ـ أقسم: قاسم: حالف: أقسم بالله، حلف بالله وتقاسم القوم: تحالفوا القسم: جمعها أقسام: اليمين.

ـ بالخنس: الكواكب كلها، الكواكب السيارة ـ وقيل: هى كواكب المجموعة الشمسية لأنها تختفى بظهور الشمس: وهى عطارد ـ الزهرة ـ الأرض المريخ ـ زحل ـ المشترى. . سميت بذلك تختبس فى مجراها تحت ضوء الشمس وتستتر وتخفى.

الخنَّاس: الشيطان لأنه يتقيد ويتأخر عن ذكر الله.

خنس: استخفى: الخُنْسُ: مأوى الظباء أو الظباء نفسها؛ لأنها تستتر فى المغار.

الجوارِ والجاريات: جمع مؤنث من جارى: والماء الجارى هو الذى لا يجف ولا يتوقف.

جرى: جريا وجريانا وجرية/ الفَرَس: ركض وعدا.

الجارية: جمعها جاريات وجَوَارِ: الأمة: سميت بذلك لأنها كثيرة الحركة.

السفينة لسيرها فى البحر ـ الشمس: لأنها تسير من الشرق إلى الغرب (ظاهريا).

المجرى: الممر: مجرى الشمس: ممر الشمس.

ـ الكنس: كنس البيت: كنسه بالمكنسة ـ كنس الظبىُ كِنوسا: تغيب واستتر فى كِناسه.

ـ تكنَّس الرجل: دخل فى الخيمة . . تكنس المرأة: دخلت فى الهودج.

ـ تكنس الظبْىُ: تغيب فى كِناسه واستتر.

ـ المكنس: مُولِجَ الوحش من الظباء والبقر تستكن فيه من الحَرِّ، وهو من الكَنْس لأنها تكنسُ الرمل حتى تصل إلى الثرى.

والليل إذا: الليل: الظلام الذى يغشى كرة الأرض فى أثناء دورانها أمام

الشمس وهو من غروب الشمس إلى طلوعه أو إلى طلوع الفجر.

إذا: ظرف للمستقبل متضمن معنى الشرط.

- عسعس الليل: أظلم: مضى - عسعس السحاب: دنا من الأرض.

عسعس الأمر: عَمَّاهُ ولبسه. تعسعس الذئب: طاف بالليل - العسعاس: الذئب.

عسعس الشيء: حركه - العسعاس: السراب/ الخفيف من كل شيء.

- **الصبح:** جمعها أصباح: أول النهار - الصبحة: نوم الغداة.

الصباح: أول النهار: وهو نقيض المساء.

إذا تنفس: تبلَّجَ - تنفس النهار: انتصف - تنفس الصُّعَداء: أى تنفس تنفسا طويلا من تعب أو كرب.

* **المعنى الإجمالي:**

يقسم الله تعالى قسما مؤكدًا، بلا الزائدة لتأكيد القسم، أوْ لا النافية لتأكيد القسم كأن الأمر جلىّ لا يحتاج إلى قسم، فيقسم ربنا جل وعلا بالخنس وهى الكواكب السيارة، التى تذهب وتجيء وتدور فى أفلاكها وتظهر ليلاً وتغيب نهارًا، ولكل منها فلك تجرى فيه وهو مدار حول نجم أكبر منها تدور حوله، الجوار الكنس: أى التى تجرى فى مداراتها معلقة فى الفضاء بقوانين الأجرام السماوية التى وضعها الله تعالى فى هذه الأجرام من جذب بين بعضها وتنافر ناتج عن قوة الطرد الناشئة عن دوران هذه الأجسام حول نفسها وحول النجم الأكبر منها فى نفس الوقت، ويقسم الله تعالى بالليل إذا أظلم وهى آية عظمى ناشئة عن دوران الأرض حول نفسها أمام الشمس فيتعاقب الليل والنهار والصباح والمساء - والشروق والغروب، دليلا قاطعًا على وجود من أبدعها وسخرها للناس وهو الله تعالى فالليل يعسعس أى يظلم وفى نفس الكرة الأرضية التى لا يواجه الشمس ويتنفس الصبح أى ينبلج ويظهر ضوؤه، فى الأماكن التى تأتى مواجهة للشمس ويدخل النور على الظلام بسرعة دوران الأرض حول الشمس.

- وفى قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ . وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ . وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ.

لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ الآيات.

معانى المفردات:

ـ **فلا:** الفاء زائدة تفيد الترتيب والتعقيب ـ **لا**: زائدة لتقوية القسم

ـ **أقسم:** أحلف.

ـ **بالشفق:** الشفق بقية ضوء الشمس وحمرتها فى أول الليل.

ـ **والليل وما وسق:** الواو: للقسم.

وسق: يسق وسقا: حَمَلَ وجمع ـ وسقت النخلة: كثر حملها.

اتَّسَقَ: انتظم واستوى/ اتسق القمر: استوى وامتلأ.. الوسق = ٦٠ صاعا (جمعها أوساق).

المتَّسِقْ: القمر.

لتركبن: لـ: للتوكيد.. ركب: علا... ركب البحر: سافر فيه. ركب الطريق: مشى عليه. **ركبة الرامى**: وزُكْبة الرجاجة: كَرْكبان.

ـ **طبقًا عن طبق:** طابق الشيئين: جعلها على حَذوٍ واحدٍ.

انطبق الشىء: أى صار مطبقًا خلاف منفتح. الطَّبق: المطابق: هذا مطابق لهذا.

قضى طبق بعد طبق: أى جيل بعد جيل.

الدهر أطباق: أى أحوال مختلفة.

المعنى الإجمالى:

ـ يقسم الحق تبارك وتعالى قسما مغلظا، والحق تبارك وتعالى يقسم بأى خلق من مخلوقاته، ليلفت النظر إلى عظيم آياته، وبديع صنعه وليس للمسلم أن يقسم بغير الله تعالى، يقسم بوقت الشفق وهو احمرار الشمس وضوؤها قبيل الغروب، أو أول الليل ويقسم بالليل وما ستر وضم وشمل وغطى، ويقسم بالقمر إذا اكتمل ضوؤه واستدار فى ليلة الرابع عشر من الشهر القمرى ويصير بدرًا صافيًا، يقسم الله تعالى بكل ذلك، وبما وضع من آيات وقوانين فى هذا الكون من دوران

الأرض حول نفسها فيتعاقب الإصباح والإمساء، ودوران القمر حول الأرض فى مواجهة الشمس فيظهر الجزء الذى ينعكس عليه أشعة الشمس صغيراً فى أول ليلة من الشهر ثم يكبر تدريجيًا حتى تكتمل استدارته فى وسط الشهر، ثم يبدأ فى النقصان مرة أخرى حتى يصبح فى وضع لا يرى المرء الناظر من فوق سطح الأرض شيئا من ضوء الشمس المنعكس على سطح القمر، فيبدو القمر مظلما، وهكذا ينتقل القمر حول الأرض كل شهر فى منازل قدرها ثمان وعشرون منزلا.

وجواب القسم بكل هذه الآيات قول الله تعالى: ﴿لتركبن طبقا عن طبق﴾ أى ليتغيرن حالكم جيل بعد جيل، ووقت بعد وقت، فأحوال الناس لا تثبت على حال من غنى وفقر، أو جهل وعلم أو إيمان وكفر ومراتبهم مختلفة بين الحين والآخر، فيرفع الله من يشاء، ويخفض من يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء فهو الذى بيده الأمر من قبل ومن بعد.

وفى قول الله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ [الزمر: ٥].

معانى المفردات:

خلقَ: أوجد وأبدع.

- السموات: كل ما علا وأظل والأرض: كل ما سفل، ويقصد بالأرض: الكرة الأرضية التى نعيش عليها.

- بالحق: جمعها حقوق: ضد الباطل/ العدل/ الملك والمال/ الحظ والنصيب/ الحاقة: القيامة. الحقيقة: جمعها حقائق: الحق... الحقانى: الربانى. الحق: اليقين - الحقيقة ضد المجاز.. حقيقة الشىء: أصله. الحق: الموجود الثابت.

- يكوِّر: من كوَّر العمامة: لفها وأدارها.. تكورُ المتاع: وضع بضعه على بعض/ تكوير الليل على النهار: وضع هذا على هذا وأدخل هذا على هذا... أو أدار كل منها مكان الآخر. كوَّر: لفَّ وأدار.

سخر الشمس والقمر: جعلهما يعملان دون مقابل ودون إشراف عليهما من أحد من خلقه، فهو الذى قهرهما بما قنن لهما من قوانين جعلتهما وسائر النجوم والكواكب تدور فى أفلاكها وتنتظم فى مجموعات بديعة فى السماء، يعطى أسباب الحياة والنور والحرارة وغيرها لسائر الكواكب ومنها الأرض التى نعيش عليها.

المعنى الإجمالى:

يقرر الحق تبارك وتعالى بأنه الحق الذى أبدع وخلق السموات وما بها من نجوم وكواكب، وقد خلق الله بعدله وحكمته، وأنه يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل، أى يدير هذا مكان هذا، ويدير هذا مكان هذا، وينتج ذلك عن دوران الأرض حول نفسها أمام الشمس كما سبق أن ذكرنا.

وفى هذه الآيات وغيرها أدلة قوية على أن هذه الأجرام كروية الشكل وأن الأرض التى نعيش عليها كرة هائلة تبدو منبسطة لصغر المخلوقات بالنسبة لحجمها، وفى دورانها حول نفسها كل أربع وعشرين ساعة دورة كاملة، يتعاقب الإصباح والإمساء والليل والنهار، والصبح والضحى - والظهر والعصر - والغروب والليل وهكذا، كما أن جريان الأرض وهى تدور حول نفسها تجرى أيضا حول الشمس، وتتم دورتها طول الشمس فى عام كامل قدره ٣٦٥ يومًا وكسر اليوم. . يتعاقب فيها فصول العام من شتاء وربيع وصيف وخريف كما سنوضح فى التفسير العلمى لذلك إن شاء الله. .وكل من الشمس والقمر يجريان كل فى فلكه أى مداره، والشمس تبدو أنها تجرى ظاهريا للناظر لها من فوق الأرض فى الصباح من المشرق ثم فى كبد السماء فى وقت الظهيرة ثم تغرب ناحية الغرب ثم تختفى فتبدوا بأنها هى التى تجرى بينما الحقيقة أن دوران الأرض حول نفسها هو الذى يجعل الشمس تبدو فى هذا المسير، ورغم هذا فإن للشمس جريان آخر حيث تجرى والمجموعة المنجذبة إليها التى تسمى المجموعة الشمسية حول نجم أضخم منها فى مجرتنا الواسعة التى بها ملايين الملايين من النجوم والكواكب، والقمر يجرى فى فلكه أى مداره حول الأرض والأرض والقمر يجريان فى مدارهما حول الشمس وهكذا كل فى فلك أى فى مدار خاص به يجرى ويسبح فى الفضاء الكونى بمشيئة الله وأمره فلا تدرك الشمس القمر فتدخل فى مداره

ولاتدرك الأرض مدار القمر أو مدار الشمس ولا يسبق الليل النهار فيأتى فى غير وقته ولا النهار يأتى فى غير وقته سابقا الليل. وكل فى فلك يسبحون.. سبحان الخلاق العظيم.

* وفي قول الله تعالى: ﴿الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمرُ بينهن لتعلموا أن الله على كل شىء قديرٌ وأن الله قد أحاط بكل شىء علماً﴾ [الطلاق: ١٢].

معانى المفردات:

مثل: المثل: الشبه والنظير جمعها أمثال/ المماثل ويوصف به المؤنث والمذكر والمفرد والمثنى والجمع.

وفى الأرض مثلهن: نظائر السموات فى العدد.. فهناك أراضون سبع

المثلات: ما أصاب القرون الأولى من العذاب وهى عبر يعتبر بها. مفردها مثلة.

المثال: المقدار/ الشبه/ الشىء/ القصاص.

يتنزل: نزل بمهلة

الأمر: جمعها أوامر/ طلب إحداث الشىء.

المعنى الإجمالى:

أن الله تعالى هو الذى خلق سبع سموات متطابقة بعضها فوق بعض وخلق فى إحداها الشمس والقمر والمجموعة الشمسية والكواكب والنجوم..، وخلق سبع أراضٍ.. فهى مثلية فى العدد، وعلى هذا قد تكون هناك أراضى أخرى مثل أرضنا التى نعيش عليها لها نفس الظروف من حرارة وضوء ومواد لازمة للحياة كالماء وسائر الغازات وقد تكون عليها صورة من صور الحياة، وقد تكون هى الكواكب السيارة السبع، كما ذكرنا لكل منها سماء أى غلاف يعلوها يحيط بكل منها فلكل كوكب سماء..

وقد تكون السماء الدنيا فقط هى المزينة بالكواكب والنجوم والسموات الأخرى الست لا يعلم عنها الإنسان شيئا، والله تعالى أعلم.

يتنزل أمر الله بين السموات والأرض عن طريق ما أوجده من قوانين تنظم الرياح والأمطار والحرارة والضوء وغيرها فتنزل الأمطار تنشر رحمة الله أو تكون وبالا على البعض، ليشكر العباد نعم الله، ويصبروا على بلائه، وليعلم الناس أن المعطى والرازق والواهب هو الله وليس أحداً من خلقه وأن الله تعالى قد أحاط بهذا الكون من سماواته وأراضيه ونجومه وكواكبه، وهيكله وكرسيه وعرشه أحاط بكل ذلك علما وقدرة ومشيئة، فلا يجرى شيء فى هذا الكون بغير مشيئة الله وقدرته ومراده.

ثالثا: ماذا قال العلم الحديث عن المجموعة الشمسية؟

سبق أن ذكرنا فى بداية هذا الباب قوانين الكون التى ذكرها العلماء والتى كانت سببا فى نشأة هذا الكون بنجومه وكواكبه وسمواته وأراضيه، كما سبق أن ذكرنا تفسير القدماء من أعلام التفسير لهذه الظواهر الكونية بما تيسر لهم من معلومات تقوم على الأدلة والمنهج البحثى العلمى زمن الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان من أمثال الطبرى، وابن كثير وابن الأثير، وما أوردوه فى كتبهم من آراء قدماء المفسرين من أمثال حبر الأمة عبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود وغيرهم من أئمة المفسرين.

ثم أوردنا اجتهاداً متواضعاً لمحاولة شخصية لفهم هذه الآيات على ضوء ما فتح الله علينا به مما تيسر لنا من علوم الطبيعات فى الكيمياء والفيزياء وعلوم الفضاء والزراعة وغيرها، ومما يقره العلم الحديث ولايتعارض مع ظاهر نصوص القرآن والحديث، بل فى اعتقادنا كما وضحنا فى الباب الأول من هذا الكتاب، أن ما ذهب إليه العلماء فى شتى العلوم والفنون إنما مبدؤه ومنشأه الوحى الذى أوحاه الله إلى أنبيائه وأصفيائه، ثم أخذ العلماء عنهم من مشكاة النبوة والرسالة ما أضاء لهم الطريق، فمنهم من كان على سواء السبيل، ومنهم من ضل عن القصد وانحرف عن الهداية.

وأيضا ما وضحناه من فهم حديث لهذه الآيات، إنما هو من منطلق أن الكون هو خلق الله تعالى وإبداعه، وأمرنا بتدبره والتفكر فى آيات خلقه أو بمعنى آخر، محاولة قراءة الكون ، فهو كتاب الله المنظور، وأمرنا بتدبر القرآن الكريم كتاب الله

المقروء المنزل على خاتم الأنبياء والرسل محمد ﷺ، وحيث أن كتاب الله المنظور (الكون) وكتاب الله المقروء وهو القرآن الكريم، من مشكاة واحدة، موجدهما الله تبارك وتعالى، فلا يمكن أن يكون هناك تعارض بينهما وأن ما يدعيه بعض البطلة والأدعياء من وجود تعارض أو تصادم بينهما إنما ينشأ ذلك من قصور الفهم، أو التعمد المقصود لإضلال الناس وصرفهم عن الحق.

وسوف نعرض هنا رأى العلم الحديث فى نشأة الكون والمجموعة الشمسية:

أ ـ ما هى فكرة الإنسان عن الكون قديماً؟

كانت فكرة الإنسان عن هذا الكون قديما أن الأرض التى نعيش عليها مركز الكون، وكانت الشمس عندهم بمثابة الشعاع الذى ينيرها، وهى تغيب كل يوم للراحة، أما القمر والنجوم فهى حلية أو مصابيح فى كبد السماء الذى يخيل إليهم أنها عرش أو سقف للأرض.

فلو كان الأمر كذلك لأمكن الوصول إلى النقطة التى يمكن أن تلتقى عندها الأرض بالسماء (السقف)، وهذا لم يحدث. كما أنه إذا كانت الأرض كروية، ولكنها لا تدور حول نفسها، ولكن تدور الشمس حولها ـ كما يظهر للرائى ـ لقلنا: وكيف تظهر البروج وتختلف من شهر لآخر، ومن وقت لآخر، فإما أن الأرض كروية وهى التى تدور أو أن السماء كلها هى التى تدور حول الأرض وهذا يستحيل.

ب ـ ما هى فكرة الإنسان عن الكون حديثاً ؟

بعد صراع مرير بين العلم وأعدائه عرف الإنسان أن الأرض هى التى تدور حول الشمس، كتابع لها، ثم لاحظ أغلب توابع الشمس وكشفها الواحدة بعد الأخرى، وهى المعروفة باسم الكواكب السيارة، وتغيرت فكرة الإنسان عن الكون على نحو ما قدمنا، بما يوافق قول الله تعالى: ﴿فلا أقسم بالخنس. الجوارى الكنس. والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس﴾ والتى سبق تفسيرها بما فسره الأقدمون، وما حاولنا تفسيره بما يتوافق مع معرفة الإنسان الحديثة للكون.

وأصبح معروفا أن المجموعة الشمسية، تتكون من الشمس كنجم ضخم كبير يشع الضوء والحرارة، ويجذب إليه مجموعة من الكواكب التى يدور كل منها

حول نفسه، وفى نفس الوقت يدور حول الشمس، منجذبا إليها بقوة جذب الشمس لها، مطروداً عنها بقوة الطرد المركزى الناشئ عن دورانها حول الشمس، وأن هاتين القوتين متعادلتان، لذا فإن كل كوكب منها يدور فى مدار خاص لا يخرج عنه، هو الفلك الذى يدور فيه، وهذه الكواكب السيارة الدائرة حول الشمس هى عطارد ـ الزهرة ـ الأرض ـ المريخ ـ المشترى ـ زحل ـ أورانوس ـ نبتون ـ بلوتو.

وهى تتبع جميعها الشمس، وتدور كل منها فى فلك خاص بها حولها.

﴿فلا أقسم بمواقع النجوم. وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾[الواقعة: ٧٥ , ٧٦].

واتضح بذلك أن الكواكب السيارة ما هى إلا أجرام سماوية غير ملتهبة بخلاف الشمس التى تلتهب وتشع ضوءاً شديداً وحرارة عظيمة، وهذه الأجرام فى صورة كرات هائلة من الصخور والمعادن، ويغلف معظمها أغلفة جوية، ويمكن حساب حركتها وقياسها من الأرض. واتضح أيضا أن لبعض هذه الكواكب توابع هى الأقمار، كالقمر التابع للأرض والذى يدور حولها.

وتعكس هذه الكواكب وأقمارها ضوء الشمس الساقط على سطوحها كما تعكس المرآة الضوء. ولكن بدرجات متفاوتة، تتوقف على طبيعة سطوحها وطبيعة أغلفتها الجوية، فتبدو مضيئة إذا حل الظلام.

وكانت البداية فى منتصف القرن الثانى عشر الميلادى حيث كانت العلوم قد تقدمت وازدهرت،وازدادت المعرفة بسطح الأرض، فكتب الشريف الإدريسى، وهو من أفذاذ العرب الجغرافيين كتب يقول: الأرض فى حد ذاتها مستديرة، ولكنها غير صادقة الاستدارة، والبحر محيط بنصف الأرض، فكذلك الأرض نصفها مغرق فى البحر، والبحر يحيط به الهواء.

ومنذ ثلاثة قرون فقط، استخدم الإنسان المنظار الفلكى المكبر المعروف باسم التلسكوب فى رصد الكواكب والنجوم من المراصد الفلكية.

وكان أول من صنع تلسكوبا رجل يقال له «البرش» وكان يقف أمام متجره فى روما بإيطاليا عندما شاهد طفلا يمسك بيديه عدستين لامتين، من العدسات التى

كانت تستخدم فى صناعة النظارات، وكان الطفل يوجه العدسات نحو برج كنيسة، وصاح قائلا للرجل: انظر كيف يبدو البرج قريبا؟. فأخذ لبرش العدستين ونظر نحو برج الكنيسة بحيث تكون إحداهما أمام الأخرى، فرأى البرج بوضوح. فأخذ العدستين ووضعهما فى أنبوبة من الرصاص طويلة وكان هذا أول تلسكوب عرفه الإنسان.

وقد استطاع العالم الإيطالى جاليليو جاليلى، الذى كان يعيش فى تلك الفترة أن يعمل عدة تلسكوبات، فعدل بذلك فكرة الإنسان عن الكون الذى نعيش فيه.

حيث تم له باستخدام هذه التلسكوبات عدة اكتشافات هامة على يديه ومن ثم توالت اكتشافات كواكب المجموعة الشمسية، وتم كشف آخرها «بلوتو» فى أواخر هذا القرن.

وقد سبق محاولات الإدريس العربى وجاليليو الإيطالى، محاولات أخرى على مدى الزمان.

حيث نشأت أول وأقوى مدرسة علمية يونانية للفلك، لا فى اليونان ذاتها، ولكن فى مدن يونانية تقع جنوب مدينة طرواده على طول ساحل تركيا الحالى، ففى مدينة ملطيس، تصور الفيلسوف طاليس الأرض كروية الشكل، وكان ذلك عام ٦٠٠ ق. م. وبعد قرنين من الزمان كان تلامذة فيثاغورث يقولون إن الأرض كروية، وأنها أيضا تتحرك فى الفضاء.

وقد تصور أفلاطون (٤٢٧ ـ ٣٤٧ ق. م) أن الآلهة كانت تقود مركبات مضيئة عبر السماء، ثم تساءل فيما بعد، عما إذا كانت الأرض مسطحة أم كروية، ثم قرر أنها كروية ـ وكان الشكل الذى اتخذه ظل الأرض على القمر خلال كسوف القمر دليلا قويا على ذلك.

ولكنه رأى فى البداية أن الأرض ساكنة باعتبارها مركز الأشياء ثم اتضح له بعد ذلك أن مما يتفق وأكثر الأدلة الثابتة أن تدور الأرض حول محور ولعلها تدور فى مدار ما.

وعندما انتقلت عاصمة اليونان الثقافية من أثينا إلى الإسكندرية، بمصر بعد

فتوحات الإسكندر الأكبر، استمرت مدرسة الفلك تنادى بفكرة تحرك الأرض فى استنباط نظريات باهرة فى سدادها.

ولقد كان أريستار خوس الساموسى (٣١٠ ـ ٢٣٠ ق. م). يرى ويعتقد اعتقادا جازماً، أن الأرض تدور حول نفسها، كما أنها تدور فى نفسها وأنها ليست مركز الكون، وقد جعل رأيه هذا يتهم بشدة فى عقيدته.

وقد لاحظ (سلوقى) ارتباط ظاهرة المد والجذر بأوجه القمر أما (إبرانوستينس) فقد رصد اتجاه الشمس فى السماء فى يوم المنقلب الصيفى من نقطتين تبعدان عن بعضهما بنحو ٨٠٠كم، وبمقارنة النتائج استنبط طول محيط الأرض.

وفى سنة ١٥٠ ق. م. صاغ واحد من أكثر الفلكيين الإغريق دقة وقدرة علمية وهو (هيبارخوس) الذى مارس نشاطه فى رودس وفى الإسكندرية حوالى ١٥٠ ق. م. وطبقا للاحظات (هيبارخوس) وحساباته فإن الأرض الكروية ثابتة لا تتحرك، بينما تدور الشمس والقمر والكواكب السيارة حول الأرض فى مدار كبير وفى الوقت ذاته تتحرك نفس هذه الأجرام فى دورات أخرى دائرية مراكزها على محيط المدار الأول.

وقد نقحت هذه النظرية حوالى ١٤٠ بعد الميلاد على يد (كلوديوس بطليموس) وهو فلكى مصرى يونانى، أول من وضع بنية للنظرية القائلة أن الكون يدور حول أرض ثابتة تقع فى مركزه، وانتقلت بعده هذه النظرية عبر القرون الوسطى فى شكل دائرة معارف فلكية احتواها كتابه المشهور (المجسطى). وعن طريق مؤلفات بطليموس عرف العلماء المسلمون وبعدهم الأوربيون ـ نظرية (هيبارخوس)، وأطلقوا عليها اسم نظام بطليموس.

وقد ظلت هذه النظرية صامدة على مدى ثلاثة عشر قرنا من الزمان حتى جاء (نيقولا كوبرينكوس١٤٧٣ـ ١٥٤٣م)، فأحدث انقلابا فى مجالات العلم والثقافة، حين برهن أن الشمس تحتل مركز نظامنا الشمسى، وأن الأرض هى والكواكب السيارة، الأخرى تدور حولها.

ثم أثبت جوهان كيلر(١٥٧١ـ١٦٣٠ م) أن مدارات الكواكب السيارة بيضاوية وأن سرعتها تزيد حين تقترب من الشمس وتقل سرعتها حين تبتعد عنها.

الفصل الخامس

١ - المجرة وحدة الكون:

حقا ما أضخم عدد النجوم في السماء، وما أبعدها عن بعضها البعض، وهي تدخل في بناء المجرات، وتتعدد المجرات في أعماق الفضاء.

ومجرتنا التي تقع فيها مجموعتنا الشمسية، كواحدة من وحدات بناء الكون، تبدو هذه المجرة للناظرين بالعين المجردة كأن بها نحوًا من ألفي نجم، أما إذا درسناها بالمناظير الفلكية، فإن الرقم يرتفع إلى ما يربو على مائة مليون نجم موزعة فيما يشبه القرص المفرطح الرقيق نسبيا، والذي يبلغ قطره نحوا من ستين ألف سنة ضوئية، والسنة الضوئية هي وحدة قياس المسافات بين النجوم والكواكب والمجرات في الفضاء، وهي المسافة التي يقطعها الضوء من الفضاء في سنة كاملة، علما بأن سرعة الضوء في الثانية تعادل ٣٠٠ ألف كيلو متر أو ١٨٦ ألف ميل في الثانية الواحدة وعليه فإن السنة الضوئية = ١٠ مليون مليون كيلو متر أو تساوي ٦ مليون مليون ميل.

(السنة الضوئية = ٣٠٠×٦٠×٦٠×٢٤×٣٦٥

أو، ١٨٦×٦٠×٦٠×٢٤×٣٦٥)

ولا توزع النجوم بانتظام داخل المجرة، إذ تزدحم في بعض أرجائها فتكون هذه الأرجاء شبيهة بالسحاب العالي الذي يضيء ضوءًا خافتا يعرف باسم طريق التبانة أو الطريق اللبني، ويمر تقريبا فوق رؤوسنا ، وتتكدس داخله النجوم.

ونحن عندما نرسل بصرنا على طول هذا الطريق، يمتد بصرنا أيضا على طول قطر من قرص المجرة التي توجد مجموعتنا الشمسية في طرفها، وعندها نرى عدداً وفيرا من النجوم التي تكون مجرتنا.

وليس الفضاء الذي بين النجوم فارغا تماما، فيمكن أن ترى في طريق التبانة غازاً يتخلل بين النجوم وبعضها، وهو مجموعة من ذرات مادية يغلب عليها غاز الأيدروجين الذي هو العنصر الرئيسي للكون أو مادته الأصلية التي تنتشر في سائر

أرجاء الفراغ الكونى.

وفى طريق التبانة يتكاثف مع الغاز المنتشر بين النجوم عدد وفير من ذرات العناصر الثقيلة مثل الحديد، ويكون فى صورة سحب من الأتربة تنعقد كما تنعقد قطرات الماء داخل السحب فى جو الأرض، وتسبب ما يشبه الضباب الذى يحد من الرؤية عند محاولتنا دراسة طريق التبانة بالمناظير، وعلى فنحن لا نرى أكثر من جزء من مائة جزء من مجرتنا بالمناظير، ولكن يمكن دراسة تلك الأجزاء النائية بما تشعه بعض نجومها من موجات لاسلكية، تستطيع النفاذ خلال الضباب السابق الذكر فنستقبلها على أجهزة خاصة. وسبحان العليم القدير القائل: **﴿فلا أقسم بما تبصرون. وما لا تبصرون﴾** [الحاقة: ٣٨، ٣٩] وقوله سبحانه: **﴿فلا أقسم بمواقع النجوم: وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾** [الواقعة: ٧٥، ٧٦].

٢ - أين نقع من هذا الكون المترامى؟

أ ـ مجرتنا التى تقع بها المجموعة الشمسية:

تتألف من مجموعة ضخمة جداً من النجوم كما سبق القول، يتخللها غاز يغلب عليه غاز الأيدروجين، ويبدو أن قرص المجرة أكبر سمكا عند المركز عنه قرب الحافة، حيث تقع شمسنا وتوابعها.

وتبلغ المسافة بين النجوم حد الخيال، فمثلا أقرب مجموعات النجوم التى تكون طريق التبانة، يصلنا ضوؤها بعد بضع سنين، وهناك كثير من النجوم فيه (أى فى طريق التبانة)، تبعد عنا بمسافات يقطعها الضوء فى نحو ألف عام ضوئى (سنة ضوئية). ولكن طريق التبانة نفسه جزء صغير من القرص العظيم، الذى يكون مجرتنا، والذى هو فى الواقع خليط من الغاز، والنجوم تنتشر على طول قطره البالغ ستين ألف سنة ضوئية.

ب ـ الكون كله يتحرك:

ويدور هذا القرص حول نفسه فى الفراغ، ولكن لعظم حجمه لم يتم أكثر من عشرين دورة حول نفسه منذ ظهور أقدم النجوم فيه أى منذ نحو أربعة آلاف مليون سنة، وتتعدد المجرات فى الفضاء، وتنقل إلينا أضواء تلك المجرات خافتة لشدة

بعدها عنا، ومنها ما هو صغير نسبيا، ومنها ما هو أكبر، ولكنها تتكون فى كل منها من ملايين النجوم المتناثرة التى تتخللها الغازات المختلفة الملتهبة.

كما تدور هذه المجرات أو تلف بسرعة فائقة أثناء انطلاقها فى الفضاء، وتبعد أقرب المجرات إلينا حوالى ٧٠٠ ألف سنة ضوئية، ويستنتج أنه يوجد فى طريق التبانة نفسه أكثر من مليون مجموعة من الكواكب التى تلائم ظهور الحياة عليها.

وفى هذا يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿الله الذى خلق سبع سمٰوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن﴾ [الطلاق: ١٢].

جـ ـ أفراد المجموعة الشمسية:

تتكون أفراد عائلة المجموعة الشمسية ـ كما سبق الذكر ـ وهى المعروفة باسم الكواكب السيارة بحسب ترتيب بعدها عن الشمس من: عطارد ـ الزهرة ـ الأرض ـ المريخ ـ المشترى ـ زحل ـ أورانوس ـ نبتون ـ بلوتو.

ومركز هذه المجموعة: هى الشمس، ويتركز فيها نحو ٩٩,٨٦ من مادة المجموعة كلها، وأكبر هذه الكواكب هو المشترى، وأصغرها هو عطارد ويدور فى أصغر الأفلاك حول الشمس.

والشمس كرة كبيرة الحجم، وكذلك سائر النجوم والكواكب، ويبلغ طول قطر الأرض ٧٩٢٠ ميلا، وليست الأرض صادقة الاستدارة، إذ ينقص طول قطرها الواصل بين قطبيها عن قطرها الاستوائى بمقدار ٢٨ ميلا، وهى تدور حول نفسها من الغرب إلى الشرق مرة كل ٢٤ ساعة، وفى نفس الوقت تسبح فى الفضاء حول الشمس فى مسار دائرى تقريبا، فلك دائرى نصف قطره نحو ٣٩ مليون ميل. هو متوسط بعد الشمس عن الأرض، وبسرعة تصل إلى ١٨,٥ ميل فى الثانية الواحدة، فتتم دورة كاملة فى ٣٦٥ يوم وهى السنة الشمسية، والدليل على كروية الأرض كما ذكرنا وعلى كروية الشمس فى كتاب الله تعالى:

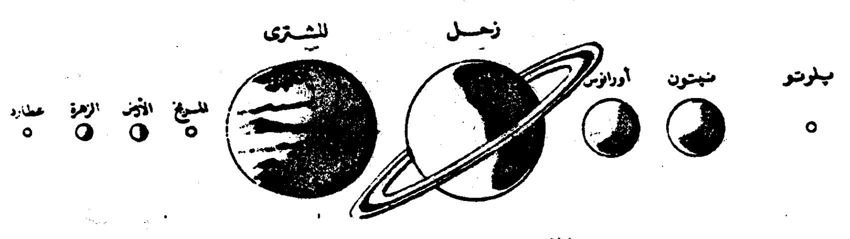
﴿يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمي ألا هو العزيز الغفار﴾ [الزمر: ٥].

د ـ الزهرة أخت الأرض:

ولعل أخت الأرض فى هذه المجموعة الشمسية، هو كوكب الزهرة، فقطرها

قريب من قطر الأرض، وتبلغ كتلتها نحو ٤/٥ كتلة الكرة الأرضية، ويغلفها جو سميك يعترض الرؤيا خلال المناظير.

هـ ـ أما المريخ الذى يحلم العلماء بالوصول إليه واستغلاله، وذلك لقربه النسبى من كوكب الأرض، حيث أنه عندما يقترب منها ويواجهها يكون على بعد ٥٦ مليون ميل فقط، وهذه مسافة فلكية صغيرة إذا قيست بالمسافات بين النجوم والكواكب الأخرى، وجوه رقيق مما يسهل أمر دراسته وهو يدور ببطء حول الشمس فيتم دورته فى ٦٨٧ يوما، وله قمران يدوران حوله، وتابعان له مثل قمر الأرض هما فوبوس ودايموس، والقمر فيبوس يتم دورته حول المريخ فى سبع ساعات و ٣٩ دقيقة أى أقل بكثير من اليوم العادى فى المريخ، حيث يدور المريخ حول نفسه مرة كل ٢٤ ساعة و ٣٧ دقيقة وبسبب دوران فوبوس السريع، فإنه يشرق على كوكبه فى الغرب ويغرب فى الشرق.



الأحجام النسبية للكواكب

وكلما بعدت الكواكب عن الشمس كان سطحها وجوها أبرد وأكثر برودة، ذلك لأن الشمس هى مصدر الضياء والحرارة، ومبعث الحياة على هذه الكواكب، ولذا نجد أن السيارات البعيدة مثل نبتون يصل إليه جزء من ٩٠٠ جزء من الإشعاع الشمسى الذى يصل إلى الأرض، ولذلك كان جوه بارداً جدا. وقد تجمد كل شىء على نبتون بفعل البرودة، حتى الهواء الجوى نفسه تجمد حيث وصلت درجة الحرارة ٢٠٠ ° تحت الصفر ـ أى تحت نقطة تجمد الماء.

أما المريخ فقد رصدت الحرارة على سطحه ووجدت أنها لا تختلف كثيراً عما هو موجود على سطح الأرض، ويمكن حصر فروق درجات الحرارة فى حدود ٣٠ فوق أو تحت، كما قدر أن ثلث سطح المريخ تغطيه مياه وينتشر فى جوه بخار الماء وثانى أكسيد الكربون ـ غرار الأرض ـ وقد شوهد أن هناك ما يشبه القنوات

المنظمة، وعمليات الزرع والحصاد التى تنتشر تدريجيا على طول خطوط عرض الكوكب بانتظام من خط الاستواء إلى القطبين عند حلول فصل الصيف، ولهذا يقطع العلماء بوجود حياة من نوع ما على سطح هذا الكوكب، ولكن لم يثبت حتى الآن وجود كائن مفكر عليه يناظر الإنسان.

و ـ أما الشمس فهي جرم سماوى هائل متوهج ـ كما سبق ذكره ـ شأنها فى ذلك شأن سائر النجوم، ويزيد قطرها على مليون وثلث المليون كيلو متر، أى أن قطر الشمس أكبر من قطر الأرض مائة مرة، وتبلغ درجة حرارة جوها الخارجى نحو ستة آلاف درجة مئوية، وتصل درجة الحرارة عند مركزها نحو عشرين مليون درجة مئوية.

وتندلع من الشمس نافورات غازية ملتهبة إلى ارتفاعات تقدر بآلاف الكيلو مترات، وهى ما يعبر عنه بالبقع الشمسية، وهى أعاصير جبارة فى جو الشمس، وقد يصل قطر الإعصار إلى نحو خمسين كيلو متر.

والذى يصلنا من الشمس هو مجرد إشعاعها، والذى يصل إلينا من أشعتها هى الأشعة فوق البنفسجية لها أهميتها الطبية والضوء الذى مصدر الحياة للنبات والحيوان والحرارة.

وتختلف كمية إشعاع الشمس الواردة إلى سطح الأرض تبعا لاختلاف خط العرض، فأكبرها يصل إلى خط الإستواء وأقلها يصل إلى القطبين.

ولا تتبع الأرض فى فلكها حول الشمس فى دائرة كاملة الاستدارة، وعلى ذلك فالمسافة بين الأرض والشمس دائمة التغيير، فهى فى يناير ١٤٧ مليون كيلو متر وفى يوليو ١٥٢ مليون كيلو متر.

وكذلك نجد أن الأرض فى دورانها حول نفسها إنما تدور حول محور لها يميل ٥و٢٣ درجة مع مستوى فلك الأرض، ولا يتعامد الإشعاع فصلا على خط الاستواء إلا فى يومى ٢١ مارس ثم ٢٢ سبتمبر حين يتساوى الليل والنهار فى أنحاء الأرض كافة.

وفيما بعد ٢١ مارس تبدأ الشمس مهاجرتها الظاهرية نحو الشمال، فيزداد

طول النهار على الليل فى نصف الكرة الشمالى حتى تصل إلى مدار السرطان ـ (خط عرض ٥و٢٣ شمالا)، وهو أقصى درجة لهجرة الشمس الظاهرية شمالا ويكون ذلك يوم ٢١ يونيو، حتى يتعامد الإشعاع على مدار السرطان ومن ثم تنتقل الشمس ظاهريا نحو الجنوب حتى تبلغ مدار الجدى (خط عرض ٥و٢٣ جنوبا) فى ٢٢ ديسمبر ومن ثم ترجع مرة أخرى، وتبعا لهذا يتغير طول النهار من فصل لآخر.

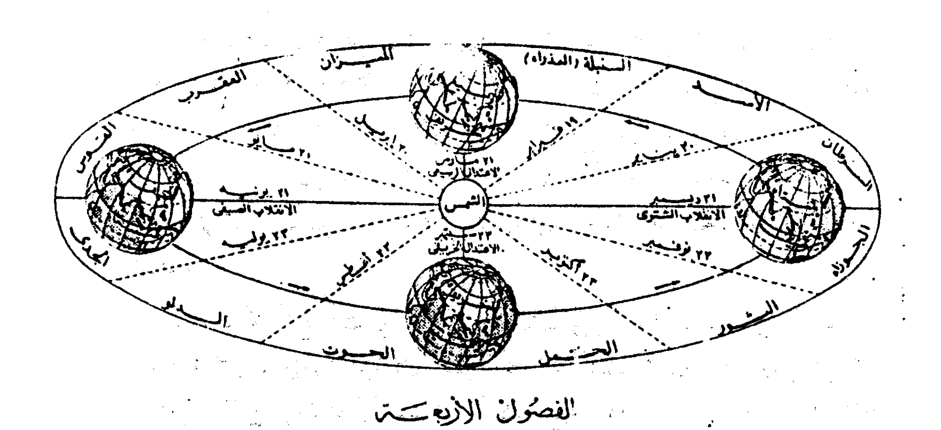
وينعدم الإشعاع الشمسى عند القطب الشمالى بين ٢٢ سبتمبر إلى ٢١ مارس لمدة ستة أشهر، ويكون الإشعاع ظاهراً وفى المدة القصيرة بين ٢١ مارس إلى ٢٢ سبتمبر، ولكن درجة حرارة الجو عند القطب مع وجود هذا الإشعاع ـ تستمر دون نقطة التجمد طول فصل الصيف نظراً لميل الأشعة بدرجة كبيرة، وضياع ما يفقد منها خلال الجو فى إذابة بعض ثلوج الشتاء.

ز: «السماء ذات البروج: ما هى؟

يقول الحق تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾[البروج: ١].

البروج فى اللغة جمع برج وهو الحصن أو البناء الضخم المشيد، وهى فى السماء اثنا عشر برجا ترى صورتها فى الأشكال الحاصلة من اجتماع بعض الكواكب على نسب خاصة وتنتقل فيها الشمس ظاهريا، وقيل لهذه الكواكب بروج لظهورها من برج يبرج، إذا ظهر وارتفع ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [الاحزاب: ٣٣].

وجعلها الشمس منازل ظاهريا، تنتقل الشمس بينها ظاهريا، وكذلك الأرض والقمر، ليعلم الناس حساب الأيام والأوقات والشهور وعدد السنين.



الفصول الأربعة

مدار (فلك) دوران الأرض حول الشمس كل ٣٦٥,٢٢٥ يوما

- من ذلك نرى:

١ - تعاقب الليل والنهار ينشأ من دوران الأرض حول نفسها من الغرب إلى الشرق مرة كل ٢٤ ساعة، فيتعاقب الإصباح والإمساء.

﴿يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾.[الزمر: ٥].

أى يلف هذا على هذا ويلف هذا على هذا، كما يلف الرجل عمامته.

٢ - زيادة الليل وانتقاص النهار فى الخريف والشتاء ثم زيادة النهار وانتقاص الليل فى الربيع والصيف، فى نصف الكرة الأرضية الشمالى، عندما تتعامد أشعة الشمس على مدار السرطان فى الشمال، ويقابله خريف وشتاء فى الجنوب، فإذا طال النهار فى نصف الكرة الشمالى طال الليل وقصر النهار فى الخريف والشتاء فى نصف الكرة الجنوبى حيث تتعامد أشعة الشمس على مدار السرطان (٥و٢٣) شمالا، وفى٢٣ ديسمبر تتعامد أشعة الشمس على مدار الجدى فى الجنوب فيطول النهار فى النصف الجنوبى ويقصر الليل تدريجيا فى الربيع ثم الصيف ثم يتناقص النهار ويطول الليل تدريجيا فى الخريف ومبلغ أقصاه فى الشتاء فى ٢٣ ديسمبر.

٣ - يتساوى الليل والنهار فى الربيع الشمالى والخريف الجنوبى فى ٢١ مارس

كما يتساوى الليل والنهار فى الربيع الجنوبى والخريف الشمالى فى ٢٢ سبتمبر من كل عام ولذلك تتعامد أشعة الشمس فى هذه الفترتين على خط الاستواء مرتين كل عام.

٤ ـ تنشأ هذه الفصول نتيجة دوران الأرض حول الشمس مع ميل محور دورانها حول نفسها بزاوية قدرها ٥و٢٣ على مستوى سطح مدار الأرض حول الشمس وثبوت هذا الميل دائما أثناء دوران الأرض حول الشمس وحول نفسها، مما يجعل الأرض تنتقل ظاهريا على الأرض رأسيا، فتتعامدا أشعتها مرة على مدار السرطان شمالا ثم على خط الاستواء، ثم تتعامد أشعتها على مدار الجدى جنوبا تم تتعامد مرة أخرى على خط الاستواء، فينتقل تعامد الشمس على سطح الأرض رأسيا، وهى حركة الشمس الظاهرية الرأسية ﴿يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر﴾.

﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ . وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [يس: ٣٧، ٣٨].

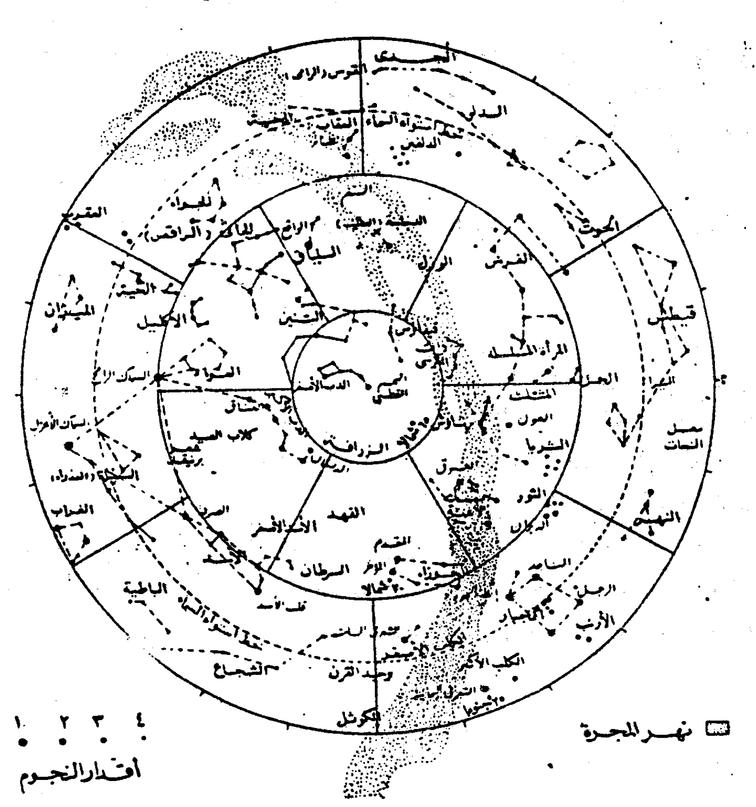
فينسلخ النهار من الليل رويداً رويداً حتى يعم الظلام، بدوران الأرض حول محورها، والشمس تجرى ظاهريا رأسيا، وتجرى ظاهريا متنقلة فى البروج، وهى تجرى وتوابعها فى المجرة فى طريق التبانة فى طرف المجرة التى تتبعها مجموعتنا الشمسية، وهى وكواكبها وسائر النجوم والكواكب ساجدة تحت عرش الله الذى يحيط بالكرسى الذى وسع السموات والأرض فكل ما فى هذه السماء الدنيا وغيرها من السموات والأراضين إنما هى داخل الكرسى والكرسى حلقة فى صحراء العرش الواسعة، وكل يسجد ويسبح تحت عرش الله، فإذا كان يوم القيامة تغيرت هذه القوانين، وتبعثرت النجوم والكواكب وانهدم هذا النظام بأمر خالقه سبحانه وتعالى.

ونرى أن ذلك من رحمة الله تعالى على عباده، إذ كيف يعيش الإنسان استدام الظلام أو استدام النهار، بلا راحة أو بلا عمل أو سعى، انظر إلى قول رب العزة فى محكم آياته: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ . قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ

الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ . وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: ٧١-٧٣].

فمن رحمة الله تعالى أن خلق الأرض على هذه الكيفية، بحيث يتعاقب عليها الليل والنهار والصيف والشتاء والربيع والخريف.

نصف الكرة السماوية الشمالى



- انتقال الشمس الظاهرى حول الأرض فى البروج الاثنى عشر والناتج عن دوران الأرض حول الشمس خلال ٣٦٥,٢٢٥ يوما.

ـ والبروج التى يشاهدها الناظر من فوق سطح الكرة الأرضية هى أشكال تتجمع فيها مجموعات من النجوم وتوابعها من الكواكب فى أشكال قريبة من الأسماء التى أطلقها الإنسان عليها ويراها الإنسان بحيث تنتقل الأرض حقيقيا فى هذه البروج حول الشمس بينما تنتقل الشمس ظاهريا للناظر حول الأرض.

ح ـ كيف جعل الله الشمس والقمر دائبين وكل فى فلم يسبحون؟!

قد يتساءل بعضنا، كيف جعل الله تعالى الشمس والقمر دائبين ،جعل كل منهما وكذلك سائر كواكب المجموعة الشمسية تدور حول الشمس بنظام بديع، وكل فى فلكه (مداره) لا يحيد عنه ولا يخرج عليه ولا يتصادم مع غيره من الكواكب والنجوم؟

والإجابة على هذا السؤال كما وضحته أحدث النظريات العلمية الحديثة أن الله تعالى قد وضع لذلك نظامًا غاية فى الإحكام والدقة، وقد ظل هذا السؤال دون جواب مقنع عدة قرون، حتى عرف الإنسان بعد جهد خاصية من خواص الأجسام المادية، أو قانونا من قوانينها التى نظم الله تعالى به ملكوته، تلك الخاصية، أو ذلك القانون هو ما يعبر عنه بالجاذبية، أو دفع المادة للتجمع فى صعيد واحد حيث يقول هذا القانون، كما وضحه العالم الإنجليزى إسحاق نيوتن: أن كل جسم مادى يجذب إليه جسم آخر يجاوره ليضمه إليه بقوة تتناسب مع حاصل ضرب كتلتيها.

فالأرض مثلا: تجذب إليها أى جسم عليها أو قريب منها بقوة تتناسب مع حاصل ضرب كتلتها فى كتلة هذا الجسم، وهذا يفسر لنا لماذا تسقط الأشياء إلى الأرض، عندما تترك حرة طليقة دون قوة أخرى تمنعها من السقوط.

ونظرًا لكبر حجم الشمس وعظم كتلتها فإنها تجذب إليها جميع أتباعها من الكواكب السيارة ومنها على الأرض.

ولكن إذا كان الأمر كذلك، فلماذا لا تهوى هذه الكواكب والأقمار أو تتساقط على الشمس أو تهوى عليها؟

علة ذلك أن هذه الأجسام تسبح فى الفضاء، وتدور فى مدارات (فلك)

مركزها الشمس، فكل كوكب يدور حول نفسه، وفى نفس الوقت يدور حول الشمس وعندما يدور الكوكب أو يلف فى مسار دائرى أو شبه دائرى، تنشأ فى الحال قوة تسمى القوة الطاردة المركزية، وهذه القوة من طبيعة حركة الدوران وملازماتها وهى تعمل على طرد الكواكب للخارج.

وعلى ذلك نرى أن كل كوكب يقع تحت تأثير قوتين هما قوة جذب الشمس إليها والقوة الطاردة المركزية إلى الخارج فى اتجاه معاكس لقوة جذب الشمس إلى الداخل، وهاتان القوتان متعادلتان مقدارًا، ومتضادتان اتجاها، ولذلك فإن الكوكب لا يحيد عن مساره.

كما نجد أن لكل كوكب قوة جذب خاصة يجذب إليه أقماره التى تدور حول نفسها وتدور فى نفس الوقت حول الكوكب، ومع الكوكب حول الشمس مصداقًا لقول الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً**﴾ [فاطر: ٤١].

أى أن الله تعالى أوجد من الخواص والقوانين هذه الخاصية وهى خاصية الجذب، والقوة الطاردة المركزية، لمنع تساقط وحدات بناء المجرات فى السماء بعضها على بعض أو بعضها على كوكب الأرض، ولئن أمرهن الله بتعطيل هذه الخواص وزالت أحد الكواكب أو تصدع نظام النجوم والكواكب، مَنْ مِن خلق الله يستطيع أن يوجد أسبابا تجعل هذا النظام البديع يظل كما هو وغير الله تعالى، أنه هو الحليم على معاصى عبادة، الغفور لمن تاب وآمن.

فالحق تبارك وتعالى وضع فى ملكوته نظام بقائه على الكيفية التى شاءها لحكمة يعلمها إلى أجل مسمى عنده، ويقصد بالسموات ما أوضحناه، أى ما يوجد بها من كواكب ونجوم وشهب ونيازك وغيرها.

ط: الأرض التى نعيش عليها: كيف نشأت؟

لعلنا نستطيع الآن فى ظل ما قدمنا من الشواهد والحقائق العلمية أن نقص قصة أهل الأرض، كما صورتها أحدث النظريات العلمية، فقد حدث أن كان نجم أصله من العمالقة، من النجوم البراقة (النجم الثاقب)، كان زوجا مع الشمس ويدور فى فلكه معها وهى فى أوائل عهدها بالوجود ثم انفجر هذا النجم بشدة

وعنف شديدين، وتناثرت أجزاؤه ولم يبق منه شيء، وانتشر نتاج الانفجار فى كل مكان، ومنه ما فقد فى أبعاد سحيقة فى الفضاء، بينما تكاثفت بعض الغازات الناجمة عن الانفجار رويدا رويدا عن كثب من الشمس، وتجمعت فى ظل جاذبيتها فى مراكز الكواكب السيارة التى نعرفها اليوم.

وكثير من الشموس التى فى السماء اليوم لها توابعها مثل هذه النجوم المتفجرة، وتصل درجة الحرارة داخل النجم المتفجر نحواً من ٣٠٠ ضعف لدرجة الحرارة فى مراكز الشمس، أو النجم العادى غير المتفجر، ولهذا فإنه تنشط التفجيرات الذرية واحتمالاتها داخل النجوم البراقة، ويتحول الغاز المتخلف عن تفتت الأيدروجين إلى عناصر شتى منها الثقيل والخفيف.

وقد جعل الله تعالى خلق السموات والأرض من الأسرار الغيبية ليدفع الإنسان إلى التفكير والبحث فى كيفية خلق السموات والأرض، وكيف نشأ الإنسان على سطح هذه الأرض،

قال تعالى ﴿مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف: ٥١].

- وكما سبق أن ذكرنا، أن الأرض قد ولدت وأخواتها من كواكب المجموعة الشمسية نتيجة لتكاثف غازات وسحب ملتهبة لكثير من العناصر التى تكونت داخل النجم البراق الذى كان يتبع الشمس قبل انفجاره، ومعنى ذلك أن الأم الحقيقية للأرض ليست الشمس، وإنما هى نجم متفجر منذ القدم، ولم نره ولم نعرف عنه شيئا.

وليست عملية تفجير الأيدروجين إلى هيليوم التى تتم داخل الشمس والتى هى مصدر الطاقات فيها إلى اليوم بذات أهمية تذكر فى النجوم المتفجرة، فبدلا من أن تكون الهليوم، تتكون عناصر ذات تركيبات أكثر تعقيداً، وأثقل وزنا من حيث الذرة مثل عناصر الماغنسيوم والالمونيوم والسليكون والحديد واليورانيوم ونحوها، وتوجد هذه العناصر فى السحب المختلفة من انفجار هذا النجم بوفرة.

ولهذه الظاهرة أهميتها العظمى، إذا كانت لكثافتها تكون النويات التى تتولد

فيها الكواكب، كما أنها تحتوى على أغلب المواد التى تتكون منها هذه الكواكب السيارة كما نعرفها.

يقول رب العزة: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥].

ويقول جل شأنه: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلا تَنتَصِرَانِ﴾ [الرحمن: ٣٥].

وهذا يعنى أن الحديد من مكونات السماء قبل أن يكون من مكونات الأرض، وأن الحديد والنحاس وغيرها من المعادن هى من مكونات الشهب والنيازك التى تسبح فى الفضاء، وكذلك الكويكبات والنجميات.

وأن هذه المكونات المعدنية داخلة أيضا فى تركيب القشرة الأرضية، وإنها للفتة كريمة رحيمة من خالق كريم رحيم بخلقه أن يلفت نظر الإنسان إلى خيرات الأرض وكنوزها، وما بها من مختلف المعادن والخيرات حيث يقول سبحانه: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ . وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (فاطر: ٢٧، ٢٨)

الجدد: الخطط: الطرائق: الطبقات.

غرابيب سود: أى حالكة السواد.

فالله تبارك وتعالى يلفت نظر عبده إلى خيرات الأرض التى يعيش عليها والتى يجب أن يستثمرها، فإن هذه الألوان المختلفة فى صخور الجبال والهضاب والوديان ما هى إلا معادن متخلفة، من الحجر الجيرى إلى أكاسيد النحاس والحديد والألمونيوم وغيرها، وكذلك كربونات الكالسيوم والفوسفات، والبترول، وكلها مختلفة الألوان والصور، من صور صلبة إلى صور سائلة إلى صور غازية، وكلها منافع للناس والحيوان والنبات.

وعلى هذا فإن الأرض التى نعيش عليها، ليست بنتا للشمس، حيث تدل القرائن على أن الشمس لم تكن أمًّا للأرض أو الكواكب السيارة من أخواتها فى

المجموعة الشمسية، وذلك لأن السواد الأعظم لهذه الكواكب، كما هو الحال فى الأرض لا يغلب فى تركيبها مادة الأيدروجين المتحد مع الأكسجين فى تكوين الماء، يتكون الجزء الأكبر من الأرض من المعادن الثقيلة والخفيفة وبديهى أن تكون مثل هذه الكواكب ليس من نتاج انفجارات الشمس، أو بتبلور المواد الشمسية، فالأرض وأمثالها إذن حادثات فى الكون تدخل إليه نوع فريد من المادة التى تختلف كثيراً عن مادة الكون أو الشموس أو النجوم.

وقد استغرق ظهور الأرض، واكتمال كيانها من مخلفات الانفجار (الغاز والسحب التى غلفت الشمس)، نحو ألف مليون سنة.

وفى المتوسط ينفجر فى طريق التبانة نجم واحد من النجوم فوق البراقة كل ٢٠٠ ـ ٣٠٠ سنة، وعلى ذلك فلابد أنه تم انفجار نحو عشرة ملايين من النجوم فوق البراقة فى مجرتنا منذ ظهور أقدم نجومها بها، أى منذ حوالى أربعة آلاف مليون سنة.

ى ـ ما هو عنوان الإنسان على كوكب هذه الأرض؟

وعلى هذا فإن الإنسان الذى يعيش على ظهر هذا الكوكب الأرضى يستطيع أن يقرر بوضوح أنه يعيش فى بلد كذا الواقعة بين خطى طول كذا وخطى عرض كذا، وعلى كوكب يتبع مجموعة كواكب مكونة من عدد تسعة كواكب تدور حول الشمس، وهذه المجموعة الشمسية كلها تدور بسرعة هائلة فى طرف من أطراف أحد مجرات السماء الدنيا، يعرف هذا الطريق بطريق التبانة أو طريق اللبانة، حيث تنتشر فيه النجوم والكواكب، كما ينتشر التبن على الأرض أو كما يسيل اللبن على الأرض، وهذا هو عنوان الإنسان فى هذا الكون الفسيح.

الفصل السادس

ما هو مصير هذا الكون

- ماذا بعد السموات والأرض؟

سبق أن قلنا أن الكون يسير فى سلسلة من الخطوات، أو فى سلم من الدرجات رويدًا رويدًا، بفصل قوانين الكون التى سبق ذكرها وهى الجاذبية - الحرارة - الدوران - الإشعاع - قبل أن يظهر فى صورة مادة الكواكب السيارة، وتتلخص هذه الخطوات فى الآتى:

الغاز الكونى ← مجرات ← نجوم ← نجوم عادية شموس
نجوم ← نجوم براقة (تنفجر لتعطى) الكواكب السيارة حول النجوم (الشموس)

وبديهى أن نجد درجة تضاغط الغاز الكونى ليكون المجرات أقل بكثير من درجة تضاغطه لتكوين النجوم، وتتباعد المجرات عن بعضها بسرعة فائقة ويزاد بذلك حجم الكون أو يتمدد، كما أنه يظهر فى صورة حركة مستمرة، وكلما تباعدت المجرات عن بعضها ازدادت سرعتها،فقد شوهدت مثلا أن المجرات القريبة من مجراتنا تتباعد بسرعة تقدر بحوالى ٢٠٠ مليون ميل فى الساعة، وتصل سرعة تباعد المجرات الواقعة على أضعاف هذه المسافات إلى سرعة الضوء نفسه، وفيما بعد ذلك أو فيما وراء ذلك، وأبعد من تلك الحدود تزيد سرعة تباعد المجرات عنا على سرعة الضوء، فلا يمكن بذلك للأضواء، أو الإشعاعات الأثيرية المنبعثة منها أن تصل إلينا، ولن نستطيع إذن أن نعرف شيئا عنها أو نراها فى مجرتنا. إنها فى الكون الغير مرئى.

﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ . وَمَا لا تُبْصِرُونَ﴾ [الحاقة: ٣٨، ٣٩].

إن مسألة اتساع الكون - السموات وآفاقها - هى أهم وأعظم نتيجة تمخضت

عنها نظرية النسبية المشهورة، وليس هذا بالخيال فقد حقق أيضا بالمشاهدة والرصد، ولم يعد هناك مجال للشك.

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (الذاريات: ٤٧).

إنها ملخص علوم الفلك والطبيعيات والرياضيات وسائر العلوم، إنها غاية الإعجاز.

والحد الفاصل بين ما يمكن أن نراه وما لا يمكن أن نراه، هو المجرة التى تبعد عنا بسرعة الضوء، وتبعد عنا هذه المجرة عنا بنحو ألفى مليون سنة ضوئية، وهذه هى ضعف المسافة التى يرجى أن يكشف أرجاءها منظار جبل بالومار الذى نستطيع استخدامه فى رؤية نصف المسافة التى يمكن أن نراها من الكون المرئى، ومعنى الكون المرئى إذن هو ذلك الكون الذى يرجى أن نراه باستخدام أدق وأضخم المناظير المكبرة على الأرض، أو التى تجوب السماء، أى أن هناك حد سوف تقف عنده رؤيانا وهو الكون المرئى.

ويحوى هذا الكون نحوًا من مائة مليون مجرة، كلها آخذة فى التباعد، ولذلك فإنه من الممكن أن تختفى كلها وراء حدود الكون المرئى رويدًا رويدًا بمضى الوقت، وازدياد سرعة تباعدها عنا فى فترة قدرت بنحو عشرة آلاف مليون سنة، أى فى فترة ($١٠^{١٠}$) سنة، أى خلال فترة من الزمان تبلغ نحو خمس عمر الشمس، المقدر لها، وعندها نجد أنفسنا، فى كون فارغ من كل المجرات إلا مجرتنا، وما قد يتبعها من نجوم وكواكب، وتصبح هذه المجرات فى حكم العدم بالنسبة لنا.

ولكن هل هذا يحدث حقا؟؟

والحقيقة أن هذا الكون لا يمكن أن يصبح فارغات بل سيظل كما هو عليه على وجه التقريب، تتوالد فيه مجرات جديدة من الغاز الكونى، كما تولدت المجرات السابقة.

حيث أن الغاز الكونى، وهو مادة الكون الأولى أو أساسه الأصلى، وهو لا يفنى أبد الدهر، ولا تقل كمياته، فهل هو يقدم إلينا من الفضاء اللانهائى فى

تتابع مستمر، ليعوض تتابع اختفاء المجرات، وتباعدها وراء الحدود المرئية.

ونرى من ذلك أن مادة الكون الأولى هى غاز الأيدروجين تقبل إلى كوننا متتابعة فى سلسلة منتظمة، وستستمر الحال هكذا أبد الدهر، فهل هى تأتى من مكان خفى؟ أم من اللانهاية؟ أو أنها تخلق خلقنا؟

ويلوح أنها تخلق خلقنا، فأحيانا لا توجد ذرات هذه المادة ثم تظهر فى الكون فجأة، وبرغم أن العلم الطبيعى لا يعرف معنى الخلق من العدم، إلا أن فكرة الخلق نفسها، لا يمكن أن نتجنبها عن هذه المرحلة، بل يجب أن نعترف بها.

﴿الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون﴾ (الروم: ١١)

فنرى أن خلق المادة الجديدة، والمجرات فى كوننا المرئى واختفاء المجرات المتباعدة، وراء حدود غير مرئية، مازالت عملية مستمرة تشبه إلى حد ما ما يجرى فى عالم الأحياء من ظهور أحياء جديدة، واندثار أخرى بالموت.

ومن ناحية أخرى، إذا افترضنا جدلا أن خلق المادة الكونية توقف منذ القدم كما يظن البعض فمعنى هذا أنه سيأتى وقت تنفذ فيه هذه المادة فى تكوين المجرات والنجوم والكواكب ولكن رغم ذلك نجد أن متوسط كثافة الغاز ثابتة فى الفضاء، وأن معدل خلق مادته بطىء جداً، بحيث لا يلاحظ علميا، ويمكن أن يقدر معدل ظهوره بنحو خلق ذرة من فراغ يعادل بهواً كبيراً، إن مثل هذا المعدل يمكن حسابته رياضيا إذا طبقناه على فراغ (الكون المرئى) كله تمخضت قيمة المادة المخلوقة عن كميات تفوق حد الخيال، فهى تبلغ نحو مائة مليون طن، أى حوالى (١٠^٣٢) طن فى الثانية الواحدة، وتسبب هذه المادة الجديدة من الضغط والحركة فى الكون ما يجعله يتمدد وما يجعل المجرات فيه تتباعد.

الأرض التى نعيش عليها ما هو مصيرها؟

ونعود مرة أخرى إلى الأرض، ذلك الكوكب الذى نعيش عليه، لنلقى الضوء عليه فى ثوبه الجديد، وتناول نشأته بشىء من التفصل.

فقد سبق أن ذكرنا أن الكواكب السيارة تكونت نتيجة انفجار نجم فوق براق، كان تابعا للشمس أو يكون معها زوجا، يدور كل منهما حول الآخر فلما أخذ

الغاز أو القرص المتخلف من الانفجار حول الشمس، لما أخذ هذا الغاز فى البرودة، انقسم إلى مجموعات لا حصر لها من جزئيات المواد المختلفة، وسحب من المواد الصلبة الذى أخذ بعضها يتصادم مع البعض الاخر، فارتفعت درجات حرارتها من جديد بفعل التصادم والتضاغط بالجاذبية، كلما تجمعت كتلتها مرة أخرى، فعندما يتصلب جسم مادى يتبلور ويكبر حجمه نوعًا، يبدأ فى جذب ما جاوره من غازات وأجسام أخرى.

وتحتاج عملية التكاثف هذه إلى زمن طويل، ولهذا استغرقت الأرض نحو ألف مليون سنة لتجمع شتات مادتها الخاصة التى قدر لها أن تجمعها حسب ظروفها حتى وصلت إلى حجمها المعروف الآن، لنرى أن الأرض قد مرت خلال هذه الفترة الطويلة السحيقة بأجزاء من بقايا القرص المتخلف من كثب من الشمس، احتوت هذه الأجزاء إلى جانب المعادن الثقيلة الداخلة فى تركيبها على كميات وفيرة من أبخرة الماء، ومن غازى الأزوت، وثانى أكسيد الكربون، وكلها ظهرت فيما بعد فى جو الأرض.

يقول الحق تبارك وتعالى: **﴿وأنزل من السماء ماءً فأخرجنا به أزواجًا من نباتٍ شتّى﴾**.

ويقول جل شأنه: **﴿وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج﴾**.

﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدرٍ فأسكناه فى الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون﴾ [المؤمنون: ١٨].

ولقد جاء الماء الذى انساب إلى البحار والمحيطات، وملأها بعد ذلك، من تكاثف الأبخرة التى تملأ جو الأرض، وتنساب بين الصخور وتختلط بمكوناتها، فقد احتوى ذلك الجزء من القرص الغازى الذى وجد حول الشمس وتبلورت منه الأرض، وأخواتها من الكواكب السيارة على مقادير عظيمة من بخار الماء، وثانى أكسيد وأول أكسيد الكربون، ولم يكن هناك أكسجين خالص فى جو الأرض كما هو كائن الآن.

وأثار ذلك الجو الأول للأرض سحبا ركامية سميكة من نقط الماء التى كانت

تنعقد وتكبر حول أبخرة المياه الكثيفة، وكانت تلك السحب تعلو إلى عنان السماء، ولم يكن يبدو فى ظلمات ذلك الجو القاتم سوى وميض البرق، وانقضاض فى الصواعق فى سلسلة متواصلة من التفريغات الهوائية بين السحاب وبعضه، واستمرار الرعد وانهمار المطر بوفرة وغزارة لا مثيل لها اليوم.

﴿ وَمِنْ آيَاتِه أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (فصلت: ٣٩).

هذا ولم تتمكن مياه تلك الأمطار من الاستقرار على سطح الأرض فى بادئ الأمر، إذ كانت هناك سرعان ما تتبخر بمجرد ملامستها صخور القشرة الأرضية الملتهبة، أو حتى الساخنة، وتعود إلى مرة أخرى هكذا كان الحال عقب النشأة الأولى، إلا أنه بمرور الأجيال واستمرار التبريد بالإشعاع ونحوه أمكن لمياه الأمطار أن تستقر فى بعض أرجاء سطح الأرض المنخفضة، وكان ذلك هو بدء ظهور المحيطات والبحار.

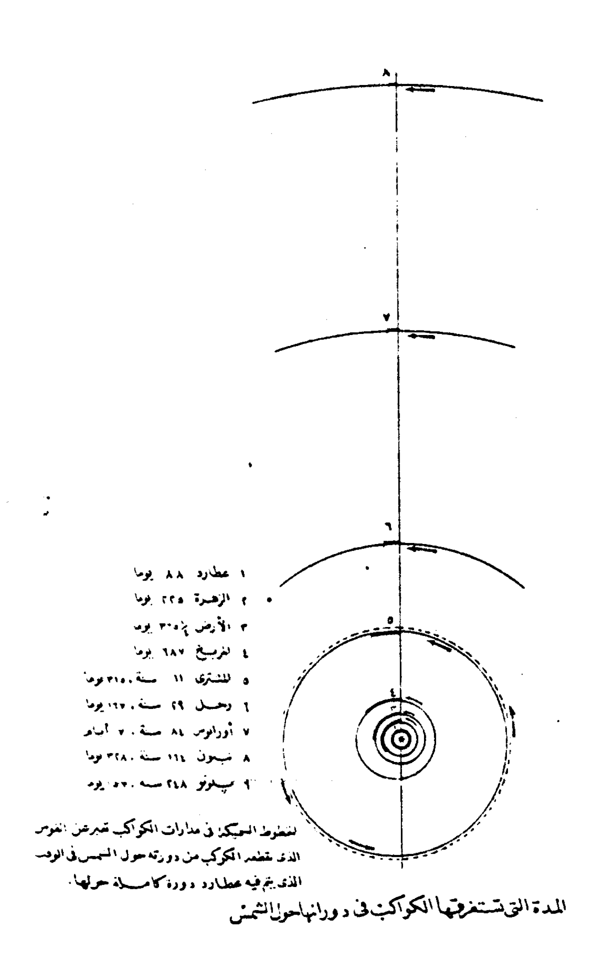
ولم يكن مقدار الماء على سطح الأرض جزافا، ولكن بقدر معلوم لغرض خاص ورسالة يؤديها على سطح الأرض بظهور مخلوقات الله عليها وخليفته وهو الإنسان.

وقد ظن بعض الناس خطأ أن تغطيه سطح الأرض بالمحيطات فى عصر ظهور الإنسان كثيرا من الإسراف، أما الحقيقة فهى على نقيض ذلك.

فالمحيط هو منظم درجات الحرارة الرئيسى على الأرض، لأنه الوسط الأساسى العامل على توزيع الحرارة التى يكتسبها سطح الأرض من الإشعاع الشمسى توزيعا عادلا على بقاع الأرض المختلفة.

ويمكن أن نتصور المحيطات فى صورة خزانات حرارية عظمى تخزن طاقة الشمس، ومن غير المحيطات والبحار تصبح الأرض عالما تسوده فروق ونهايات عظمى وأخرى صغرى من درجات الحرارة التى لا تتحملها أجسامنا فى مناطقه الحارة والباردة على السواء. ولكن البحار والمحيطات التى غطت ثلاثة أرباع الأرض لها من الخواص الطبيعية ما يجعلها تحول دون ذلك.

يتحدد مركز القطب السماوي السمت في بنلاق في الخط الواصل بين النجم العناق والنجم القطبي مع امتداد الخط الواصل بين الدليلين ويبعد عن النجم القطبي ٠٠ ١٥ ١



المدة التي تستغرقها الكواكب في دورانها حول الشمس

الحارة والباردة على السواء. ولكن البحار والمحيطات التى غطت ثلاثة أرباع الأرض لها من الخواص الطبيعية ما يجعلها تحول دون ذلك.

وأبخرة المياه التى تتصاعد من البحار والمحيطات هى أيضا أصل المياه العذبة على الأرض، فهى عندما تتكاثف تتحول إلى سحب أو مطر معنى التكاثف تجمع عدد كبير من جزئيات بخار الماء مع بعضها البعض، وعندما تنمو هذه النقط يزداد حجمها تتساقط على هيئة مطر، ومع اتساع رقعة السطح المائى بالنسبة لليابس، ومع وفرة عمليات البخر من الأسطح المائية، وكثرة الأمطار فى كثير من بقاع الأرض، فإن جزءًا عظيما من اليابس لا يزال قفرا صحراويا لا تعبره السحب إلا نادرًا، ولا تصيبه الأمطار إلا يسيرًا، ولا ترويه الأنهار إلا قليلا.

وقد يستطيع الإنسان فيما بعد أن يستغل هذه الأرجاء الواسعة وذلك باستغلال بخار الماء العالق فى الجو، أو عن طريق الأمطار أو الأنهار الصناعية، ومصدرها كلها أو مصدر أبخرتها مياه المحيط، هذا ولم يجمع كوكب الزهرة أبخرة المياه كما جمعتها الأرض وإنما جمع كميات كبيرة من الأزوت، وثانى أكسيد الكربون وذلك تبعا لظروف تكوينه.

أما المريخ، فلم يجمع من بخار الماء القدر الذى جمعته الأرض وكان ذلك بسبب ظروفه الخاصة وعلى ذلك فالزهرة والمريخ، لا يصلح الأول للحياة أما المريخ فيحتمل وجود حياة فى صورة نباتية ومهما يكن من شىء، فإننا نستطيع أن نجزم بأن بخار الماء أو الماء نفسه كان من مخلفات المكونات الأساسية التى توفر وجودها منذ القدم فى ذلك القرص الغازى الذى تخلف عن كثب من الشمس بعد انفجار قرينها فوق البرّاق.

﴿والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع﴾ [الطارق: ١١، ١٢].

ومعنى الرجع: فى لسان العرب: هو المطر، وهو لا يبعد عن المعنى العلمى لذلك حيث أن الماء فى حلقة متصلة ما بين الأرض والسماء، فهو يخرج من الأرض فى صورة بخار ثم يتكثف فى السماء ويرجع إلى الأرض فى صورة ماء المطر.

والأرض ذات الصدع: أى ذات النباتات التى تشق الأرض أو تصدع لأمر الله

بسبب نزول المطر عليها: كما فى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وربتْ﴾ [فصلت: ٣٩] أى ظهر فيها الحياة ونمت وازدهرت.

القمر ابن الأرض:

ظلت القشرة الأرضية الأولى فى مستهل عمر الأرض غلالة رقيقة من الصخور الجراتينية الرهيفة تطفو فوق طبقة من الصخور البازلتية الثقيلة نسبيا، فى حالة هى ما بين السيولة والصلابة إذ لم يكن قد تم تبلورها.

وقد لازم هذه الغلالة وما عليها سلسلة متقاربة الدورات من المد والجزر العظيمتين تحت تأثير جاذبية الشمس التى كانت الأرض عن كثب منها يومئذ لدرجة أن اليوم الكامل كان قصيراً جداً على الأرض، حيث من الثابت أن طول اليوم. على الأرض أخذ يتزايد كلما بعدت الأرض فى فلكها عن الشمس حتى أصبح الآن ٢٤ ساعة. ولما كان طول اليوم فى مرحلة بعينها ٤ ساعات فقط، حدث توافق كبير جداً بين هذه المدة والفترة التى يفصل بين مدتين متتاليتين. وكان من شأن هذا التوافق لمدة طويلة أن تزايد مدى المد والجزر لدرجة أن جزءاً كبيراً من موجة المد انفصل عن الأرض، ودار فى فلك له على قرب منها فى ذلك الحين، وقد أخذ هذا الفلك فى الاتساع تدريجيا بمضى الوقت حتى وصل إلى ما هو عليه الآن.

ولم يكن هذا الجزء المنفصل سوى القمر الذى سلبته الأرض فيما بعد كل ما عليه من ماء وهواء، فبقى عالما خرابا لا يصلح للحياة ولكن ليعكس على الأرض أضواءه الفضية التى تنير لأهلها السبيل، وليتخذوا من دروته التقويم القمرى ومن ضيائه الإلهام، والإحساس الجميل.

الكسوف والخسوف:

هما من ظواهر السماء الطبيعية التى لاحظها البشر منذ القدم. وكان الكهنة والسحرة يتخذون منها وسيلة لإرهاب الناس وللاحتفاظ بجلال مراكزهم، إذ تعلموا رصدها وأمكنهم التكهن أو التنبؤ بها قبل حدوثها، واحتفظوا بهذا السر لأنفسهم ليرهبوا الناس.

وكانوا أيضا يستغلون مثل هذه الظواهر ليوهموا الناس فى أن إمكانهم التوسط لدى الآلهة لإطلاق سراج القمر أو الشمس لكى تزيد الجبايات من الناس، وتكثر النذور، وتدق الطبول، فدق الطبول فى هذه الحالات لا يعدو كونه عادة قديمة لإرضاء تلك الكواكب!!. فماذا قال الدين؟

وماذا قال لهم العلم فى هذه الظاهرة!.

- روى عن السيدة عائشة رضى الله عنها، أنه خسفت الشمس فى عهد النبى ﷺ، فخرج إلى المسجد، فقام وكبر وصف الناس وراءه فقرأ قراءة طويلة ثم كبر فركع ركوعًا طويلا أدنى من القراءة الأولى ثم رفع وقال سمع الله لمن حمده، ربنا لك الحمد، ثم قرأ قراءة طويلة هى أدنى من الأولى ثم كبر فركع ركوعًا وهو أدنى من الركوع الأول ثم قال سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد، ثم سجد وفعل فى الركعة الأخرى كذلك، حتى استكمل أربع ركعات وأربع سجدات.

ثم قام فخطب الناس، فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: **«إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله عز وجل، لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتموهما فافزعوا إلى الصلاة»**.

ووقت هذه الصلاة حين الخسوف إلى التجلى وصلاة خسوف القمر مثل خسوف الشمس، ويستحب التكبير والدعاء والتصدق والاستغفار.

ذكر الحديث فى باب صلاة الكسوفين، فقه السنة - سيد سابق).

أما العلم الحديث:

يلخص التفسير العلمى لخسوف القمر فى أبسط صورة فى أنه كلما اتخذت الأرض مكانا وسطا على خط مستقيم فى السماء بين الشمس (مصدر الضياء) وبين القمر، وقع ظل الأرض على القمر كدائرة أو جزء من دائرة معتمة تحجب إضاءته تدريجيا حتى يختفى، ثم تنقشع عنه بالتدريج حتى يعود منيرا كما كان.

وكما فى الرسم، يحتجب الضوء عن القمر هكذا نتيجة لمروره فى مخروط ظل الأرض عند اعتراضها.

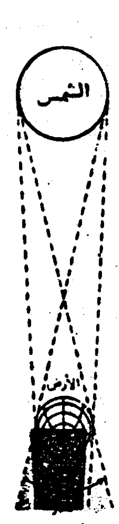
القمر



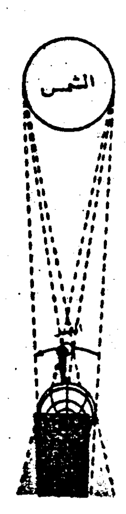
يبعد القمر عن الأرض بمقدار ٣٨٠,٠٠٠ كيلومتر وحجمه $\frac{1}{50}$ من حجم الأرض وكتلته $\frac{1}{80}$ من كتلتها، ويتكون سطحه من صحارى واسعة وسلاسل جبال ومرتفعات دائرية تبدو كفوهات براكين خامدة، ويكاد يخلو جو القمر من الهواء ولذا لم يكشف أى أثر للحياة النباتية أو الحيوانية على سطحه.

يواجه القمر الأرض بوجه واحد دائما لأنه يدور حول نفسه مرة فى الوقت الذى يتم فيه دورة حول الأرض لذلك لم يكن يعرف شئ عن الوجه الآخر حتى أمكن تصويره فى ٣ أكتوبر سنة ١٩٥٩ بمحطة الفضاء الروسية "لونك ٣"

وتم هبوط أول إنسان على سطح القمر بواسطة السفينة الأمريكية "أبوللو ١١" خلال عام ١٩٦٩

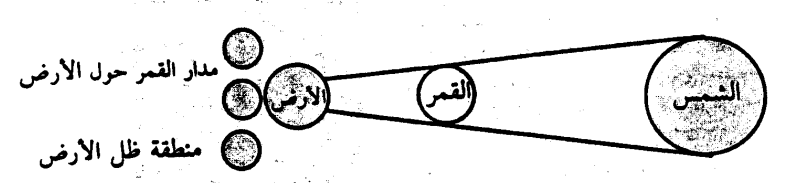


خسوف القمر



كسوف الشمس

ويبنى نفس الشكل كيفية حدوث كسوف الشمس عندما يعترض القمر طريق أشعتها إلى الأرض باتخاذه مكانا وسطا بينهما، وعندما تنكسف الشمس تعتم الدنيا وسط النهار! وهناك دورة متكررة خاصة عرفها الأقدمون قوامها ١٨ سنة، ١١ يومًا وثلث يوم تقريبا.



أبو المحيطات وأم القارات:

ومن الدلائل على انفصال القمر عن الأرض، وجود تلك الحفرة الضخمة العميقة المعروفة باسم المحيط الهادى، الذى يتكون قاعه من صخور الطبقة السفلى للأرض فى ذلك الحين وهى الطبقة البازلتية، ومعنى هذا أن موجة المد التى انفصلت إنما تمت حيث المحيط الهادى الذى تدفقت إليه المياه مكونة أقدم المحيطات، ومنحسرة بذلك عن أجزاء من الأرض ظهرت فيها قارة يابسة عظيمة هى القارة الأولى أو «أم القارات».

كيف ولدت القارات؟

لقد لازم انفصال القمر هذا إحداث مناطق ضعف وتكسر شديدين امتدت فى أرجاء تلك القارة الأولى، التى تداولتها منذ ذلك الحين معاول طبقات الحمل فى الطبقة البازلتية السفلى، وكانت النتيجة أن تجزأت أم القارات إلى كتل ضخمة أخذت تتباعد عن بعضها، وتنجرف بمضى الزمن، وهذه فى ذلك أشبه شىء بجبال الجليد التى ـ عندما تنكسر فى مناطق القطب ـ تنجرف أجزاؤها وتتباعد فوق المحيط.

والدليل على ذلك أنك لو طابقت بين سواحل القارات الحديثة لوجدت تطابقا كبيرا بينهما.

وقد تكونت المحيطات الحديثة مثل الأطلسى والهندى فى الهوات التى نشأت بين تلك القارات المنجرفة وغمرتها المياه واتسعت بمضى الوقت، وثمة دليل على حداثة عهد هذين المحيطين بالنسبة للمحيط الهادى، أن قاعيها تسود فيها الصخور الجرانيتية التى كانت تكسر قشرة الأرض فى أول عهدها، وليست الصخور البازلتية التى تكون قاع المحيط الهادى (أو المحيطات).

وقد غطت المحيطات نحو ثلاثة أرباع سطح الأرض، وصار ماؤها مالحًا نظرًا لما أضيف إليها بعد ذلك على مر العصور من مقادير هائلة من أملاح القشرة الأرضية المتقلبة،وأبت على حملها الأنهار ،والسيول ونحوها إلى البحار التى تصب فيها، وتقدر ملوحة مياه المحيطات الآن بنحو عشر ما يلزم لتشبع مياهها بالملح.

ولقد قدر الجيولوجيون (أو علماء الأرض)، أن الأنهار، ونحوها تنزح إلى البحار من الأملاح كل عام ما يبلغ وزنه فى هذا العصر نحو ٤٠٠ مليون طن، ولهذا فإن عمر الأنهار أو المحيطات يكون فى ١٠٠ مليون سنة.

وقد قدر عمر المحيطات الحقيقى هو عشرة أمثال الرقم المبين سابقا أى حوالى ألف مليون سنة.

ما هو تقدير عمر الأرض؟

وثمة طريقة أخرى أقرب إلى الدقة استخدمت فى تقدير عمر الأرض من عمر أقدم الصخور الأولى على سطحها وذلك أن بعض الصخور به نوع من ساعات التوقيت التى لا تقدَّر بها الأزمنة السحيقة أوجدتها (الطبيعية) من تلقاء نفسها ـ بما وضع الله بها من أسباب ـ ويمكن بواسطتها أن نحسب الوقت الذى مضى على تبلورها بعد النشأة، ومن ميزة هذه الصخور هو ما فيها من مواد نادرة مشعة، أى ذات إشعاعات ذرية ـ مثل اليورانيوم والراديوم، وقد كثر الحديث والبحث عنها اليوم فى عصر الذرة.

وقد قدر بهذه الطريقة عمر أقدم الصخور التى عثر عليها حتى الآن تم تبلورها منذ ١,٨٥٠ مليون نسمة، وقد وجدت هذه الصخور فى كاريليا بفنلندا،

كما وجد صخر عمره ١٤٦٠ مليون سنة فى التلال السوداء فى داكوتا، وكلها تبين بجلاء أن قشرة الأرض الصلبة تبلورت من مادة كانت سائلة منذ نحو ألفى مليون سنة كما قدمنا.

ولما اكتمل ظهور القارات على الأرض، وكذلك المحيطات، بدأت الأنهار تحفر مجاريها عليها وتحمل أملاحها وغرينها إلى المحيطات، وكانت الأرض فى هذه المرحلة قد اكتمل نضجها إلى حد كبير، فلها جو ملائم للحياة بما يحوى من ثانى أكسيد الكربون والأكسجين، وبحارها وأنهارها تفيض بالمياه التى نشأ منها كل شيء، وهكذا أخذت الأرض تستعد لاستقبال الحياة.

نترك الآن كيف نشأت الحياة على الأرض وكيف تطورت، وكيف وجد الإنسان على سطحها لبحث آخر. إن شاء الله.

والآن:

ماهو مصير هذا الكون؟

لقد صور لنا كل من العلم والدين هذه النهاية وهذا المصير أحسن تصوير:

ماذا يقول العلم؟

أما العلم فقد أوضح كيف أننا ندين بالحياة لذلك القسط المتزن الذى يصلنا من الإشعاع الشمسى، وهو فى حالتى الشح والطغيان يصيب الحياة على الأرض بأضرار فادحة، أما إذا وصل إلى نهاية قاسية فذلك بسبب انعدام الحياة تماما.

ولا ينتظر أن يتغير الإشعاع الشمسى تغيرا ملموسا إذا ظلت الشمس على توازنها الطبيعى القائم فيها الآن، كما أنها لن تستهلك ما ادخر فيها من ايدروجين قبل مرور ٤٥ ألف مليون سنة.

فلو تذكرنا أن عمر الأرض نفسها حوالى ٣ آلاف مليون سنة، نجد أن الحياة على الأرض لا تزال فى مقتبل عمرها.

ولكن العلم يعود لينقض هذا الافتراض، فيضيف إلى ما قدمنا أن هناك فئة من النجوم أو الشموس، لم نذكرها فى سياق حديثنا، يعتريها تغير فجائى كبير

فى درجة لمعانها أو إشعاعها وتوهجها، وقد يصل إلى عدة آلاف درجة لمعانيها الأصلية، فتبدو فجأة كأنها نجوم عظيمة وجديدة، وكأنها لم تكن معروفة من قبل.

وبديهى أن السبب في ازدياد لمعانيها هو ما يطرأ عليها من زيادة مساحة السطح المشع نفسه، أو فى زيادة معدل كمية الطاقة التى تشعها، أو فيهما معًا، ويحدث ذلك بدرجة لا يكاد يصدقها العقل.

ويؤكد الفلكيون أن كل نجم لابد أن تعتريه هذه الحالة المفاجئة، ولو مرة واحدة أثناء حياته الطويلة، وذلك عندما يفقد توازنه الطبيعى الأصلى ليستعيض عنه بتوازن جديد.

وليس هناك ما يبرر الاعتقاد بأن شمسنا قد مرت بهذا الدور المحتوم لكل شمس للآن، فهى ما زالت فى توازنها الأول وقد لا يواتيها هذا الدور إلا بعد آلاف الملايين من السنين، وقد يحدث فجأة بين عشية وضحاها، وعندها يتمدد جسمها وتكبر، ويمتد سطحها المشع، وقد يغمر الأرض وسائر مجموعة الكواكب السيارة فتحترق ثم تتبخر فى خلال يوم أو بعض يوم.

ماذا يقول الدين؟

تتفق الأديان على أن الحياة الأرضية بما فيها الإنسان ستصل إلى درجة عظيمة من الكمال، وإن الإنسان سيسخر كل ما على الأرض لمنفعته، وسيفتح أمامه آفاقا عظيمة فى عوالم أخرى ليرى ويلمس ويشهد بنفسه آيات الخالق العظيم فى كل مكان، تحقيقها لقول الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٤].

وفى قوله تعالى: ﴿حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارًا فجعلناها حصيدًا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون﴾[يونس: ٢٤].

ذلك أنه عندما يكون نصف الكرة الأرضية فى الليل سيكون نصفها الآخر فى النهار وعلى ذلك يأتى أمر الله فى الليل بالنسبة لجزء من الأرض، وفى النهار

بالنسبة للجزء الآخر..

أما كيف تنتهى الدنيا، فإن ذلك غالبا يكون بتمدد الشمس فجأة، وازدياد وهجها، وبتمدد سطحها حتى يصل إلى الأرض، كما يقول تعالى فى سورة الدخان: **﴿فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين﴾** [الدخان: ١٠]، وفى سورة الحاقة: **﴿وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة. فيومئذ وقعت الواقعة﴾** [الواقعة: ١٤، ١٥].

وفى سورة القيامة: **﴿فإذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر﴾** [القيامة: ٧-٩].

هكذا نرى أن لهذه السموات وهذه الأرض نهاية كما كانت لها بداية أكيدة بعد أن يرى الناس آيات الخالق فى كل أفق ولكن ما مضمون البداية والنهاية.

يمكن أن نخلص من هذه الدراسة إلى عدة حقائق هامة أهمها:

١ - أن الدين متمثل فى الكتب المقدسة وخاتمها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة تشير إلى ما أثبته العلم الحديث وما توصل إليه الفلاسفة والمفكرون فى الإجابة على ما طرحناه من أسئلة: وهى: ماذا قبل السموات والأرض؟

٢ - كيف نشأ هذا الكون بسمواته وأراضيه؟

٣ - ما هى السموات السبع والأرضون السبع؟

٤ - مجموعتنا الشمسية. ما هى وكيف نشأت.

الشمس - الأرض - القمر؟

٥ - ما هى المجرة (وحدة الكون)؟

٦ - أين نحن من هذا الكون المترامى؟

٧ - ما هو مصير الكون؟

ما هو مصير المجموعة الشمسية - (الشمس وتوابعها بما فيها الأرض والقمر)؟

- وقد خلصنا من الإجابة على هذه الأسئلة، إلى أن رأى الدين - أى الوحى ورأى العلم الطبيعى وآراء الفلاسفة والمفكرين، إنما هى متقاربة، والاختلافات

بينهما غير جوهرية.

٢ ـ وحيث أن الوحى أسبق من العلم الطبيعى والتفكير العقلى؛ لأن الوحى بدأ بأن علم الله آدم الأسماء كلها وختم الوحى بأمره محمد ﷺ: ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق﴾ وبين بدء الوحى من لدن آدم عليه السلام، وبين ختمه بالقرآن الذى أنزل على محمد ﷺ كان البحث العلمى والاكتشافات العلمية، ونشأت أقوال الفلاسفة، والمناطقة، آخذة من المشكاة الأصلية للنبوة، منجذبة إليها مؤمنة بها ومؤيدة لها أو ناكرة للنبوة بدرجة ما، منحرفة عنها مبتعدة إلى طريق الغواية والضلال.

والمعنى الوحيد لذلك هو أن الفلسفة والعلم الطبيعى والدين (الوحى) تلتقى جميعها على أن الأمر كله مظهر من مظاهر الألوهية، وأن (الله تعالى) هو الغاية وهو الأصل من كل هذه المخلوقات، فكل شىء فى هذا الكون يصبو إلى معنى الألوهية، ومعنى التوحيد، ومعنى الجلال، ومعنى العظمة، ومعنى الكمال، ومعنى الجمال، ومعنى الحكمة فى أسمى آيات هذه الصفات.

ونقرر أن فكرة الألوهية والتوحيد، لا تستطيع الفلسفة أن تقول فقط أن الله تعالى هو سبب أو علة هذا الوجود، وخالقه ومصوره، وواضع أسسه ونظمه، وإنما نقول أيضا أنه هو الذى يشهد على الأسماء كلها، وليست الأشياء هى الدليل عليه، فالله جل وعلا هو الذى يعطى هذا الوجود المعنى والمغزى.

نعم إنه الله هو الذى وضع قصة السموات والأرض، وأخبرنا عن بدايتها، كيف بدأت، وأخبرنا عن نهايتها وكيف ستنتهى، لنستوعب المعنى والمغزى.

وهو أننا إذا ما آمنا بما جاء فى القرآن الكريم عن عالم المشاهدة، فلابد أن نؤمن كذلك بعالم الغيب، فنؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

ذلك لأننا إذا نظرنا، وراء هذا الكون، فيما وراء عالم المشاهدة، عالم المادة، وجدنا الحق سبحانه وتعالى، وجدنا الله.

وكل ما علينا أن نخرج من هذا العالم لنجد: أن الله تعالى هو الذى يعطى

الأشياء معناها، وهو الذى سيتم ما بدأ فى عالم المشاهدة بخلقة لهذا الكون بحياة فى عالم آخر، أثبت وأرقى وأبقى من الحياة الفانية، المتغيرة فى هذا الوجود.

وصدق الحق إذ يقول: ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٤]

ومعنى هذا أن عالم الغيب هو الذى يفسر هذا الوجود، وأن فلسفة هذا الوجود هى فلسفة العالم الآخر، عالم الألوهية المحضة.

فهناك فى عالم آخر، عالم الغيب تكون النهاية كما يريدها الله تعالى.

لهذا ولمثل هذا وغيره من الحقائق، لابد أن ينتهى الأمر بعلماء الطبيعيات أن ينقلبوا فى دراستهم إلى فلاسفة وينقلب الجميع إلى مؤمنين، يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

ومن أجل هذا نطرح سؤالاً هاما على كل من يهمه الأمر فى بلاد العرب والمسلمين، لماذا لا نتناول قضايا التعليم فى بلادنا بهذا الأسلوب الذى يجمع فى كل ناحية من نواحى الحياة بين رأى الدين والعلم والفلسفة، حتى لا نوجد حواجز بين الدين والعلم والفلسفة، أو بالأحرى بين الوحى الإلهى، وبين العقل ونترك هذه الحواجز تعلو وتعلو حتى يتجه كلٌ فى طريق بعيد عن الآخر لا يلتقيان أبدًا، ثم نرمى أتباع الوحى بالتخلف وما أطلق عليه الغرب «الأصولية» ونرمى أتباع العقل بالمروق عن الدين وإطلاق لفظ «العلمانية» عليهم أى الدنيوية المادية التى لا تعترف بالوحى.

إذن لابد لمن يهمه الأمر أن يعيد النظر فى المواد العلمية والفلسفية والدينية، حيث تدرس هذه المواد متباعدة متنافرة متناحرة، والحق وضحناه أن الله هو الأول، والوحى هو الأسبق والجهد العلمى والعقلى قد ينطفئ منه المشعل وقد يزداد نورا فيزداد يقينًا.

الفصل السابع
الحضارة الإنسانية
أين بدأت وإلى أين وصلت؟

ذكرت جريدة الأهرام القاهرية بتاريخ ٢٥/٣/١٩٩٦، رأنه يدور حاليا جدال حول أصل الحضارة فى أمريكا بين البيض والسود:

- هل أصل الحضارة أفريقى أم مصرى؟
- هل أرسطو أبيض أم أسود؟
- هل نفرتيتى بيضاء أم سوداء؟

الشيخ أنتا ديوب السنغالى يخرج نظرية جديدة بأن الحضارة المصرية زنجية، وأن الشعب المصرى القديم كان زنجيا، ثم اختلط مع العناصر الأسيوية والأوربية ويرى أن (كمت) بمعنى الأرض السوداء، أى التى يسكنها السود وليس بمعنى الأرض الخصبة والبيض الأوربيون يرون أن الجنس المصرى القديم، كان أبيض.

وقد كتب الدكتور مصطفى محمود فى مقاله بالأهرام ٢٠/١/١٩٩٦:

حلقة العلم والإيمان عن قدم اللغة العربية وأصالتها، وأنها اللغة الأم لكل اللغات، أصابت المشاهدين بالدهشة، لأن الشائع فى الأذهان، بسبب الدعايات الصهوينة المكثفة، أن اللغة العبرية أقدم اللغات، وأن الثقافة اليونانية أقدم الثقافات.

إن جلاء الحقيقة لا يحتاج إلى جهد، وأن الذى يقرأ الأبجدية اليونانية فى السفرين الأولين من التوراة التى بين أيدينا اليوم، فسوف يكتشف بلا عناء، أن الأبجدية اليونانية هى نفس الأبجدية العربية، بحروفها ومعانيها وأشكالها، وهم ينسبون هذه الحروف إلى (قدموس) الفينيقى، وهو فى كتاب مؤرخهم هيرودوت (القرن الخامس . ق. م) أول من علمهم الصناعات.

والفينيقيون عرب نشأوا فى الخليج العربى بلاد النخيل، ثم تحولوا إلى

فلسطين، وكانت مدينتهم القديمة تعرف باسم قرطاجة ـ أو قرتاشة ـ وهى تحريف (قارة حداثة) كما سمى اليونانيون مصر، جبتوس أو قفط أو قبط ـ والقبط لا تعنى النصارى، فالاسم سابق على مجىء المسيحية إلى مصر ـ فهو ينسب إلى (قبط بن حام بن نوح).

ونظرا لقدم التوراة بالنسبة للأناجيل، اختلط الأمر على الأوربيين فتصوروا أن أسلافهم اليونانيين سبقوا الأمم إلى العلم والحكمة، وتوهموا أن العبرانيين سبقوا العرب،ونسوا أن توراة اليهود نفسها صريحة فى القول بحداثة إسرائيل،وأن إسرائيل هو سبط يعقوب،وأبناؤه يأتون فى الترتيب بعد إسحاق وبعد إبراهيم. . ، فالعبرية عمرها أقل من أربع آلاف سنة من حيث التاريخ، وهى سلالة من الأرامية، (العربية القديمة)، التى كان يتكلم بها إبراهيم.

ـ وقد سكن العرب الجزيرة العربية من قبل أن يسموا عربا، وأرجح الأقوال أنهم جاءوا إلى الجزيرة العربية مهاجرين من الحبشة، وبادية الشام، وأعالى العراق. والحبشة بإجماع الآراء كانت منزل الإنسان الأول، وفيها وجدت أقدم الهياكل، والجماجم البشرية، منذ ثلاثمائة ألف سنة، ومنها خرجت أفواج الإنسان الأول التى تفرقت فى القارات؟؟. . وإذا كانت كهوف تسيلى التى اكتشفت فيها الرسوم الجدارية العجيبة التى رسمتها ريشة هذا الإنسان فى أوروبا، وفى شمال أفريقيا وتاريخها ونشأت معها بالضرورة لغة التفاهم والتخاطب.

فإن اللسان العربى كان ولاشك أقدم الألسنة، وأقدم تشريع مكتوب هو تشريع حمورابى من ٤٤٣٠ سنة، وهو مكتوب باللغة الأرامية، وهى العربية القديمة، وقد غلبت الأرامية على العبرية فى المعابد، فترجمت الكتب الدينية إليها مثل التوراة والتلمود وكتبت بها بعض الأسفار أصلا فى عهد عزرا ودينال، فلما كان عهد المسيح كانت الأرامية هى اللغة التى تكلم بها السيد المسيح، وأجرى بها الخطاب بينه وبين تلاميذه، وفى الإصحاح الخامس عشر، صرح المسيح (يسوع) بصوت عظيم . . إلوى . . . لما سبقتنى . . (إلهى . . إلهى . . لم تركتنى) . .

إن الأرامية بالعقل، كانت عربية تلك الأيام.

وقد تعلم اليونان الكتابة وأخذوا رسم الحروف من (قدموس الفينيقى العربى) ولا حاجة بنا إلى برهان، فأسماء الحروف اليونانية وأشكالها ومعانيها، شاهدة على أصلها العربى، سواء كانت فينيقية أو أرامية أو يمنية من الجنوب.

فالأبجدية يسمونها عند اليونان «الفابيتا»، وهكذا ينطقونها (ألفا .. بيتا) والمعنى واضح .. ألف وباء وتاء.

ألف: الله .. ب - بيت ... الجيم ... الجمل - والعين: العين.

وقد حولوا أسماء الأيام إلى الترتيب العددى أسوة باللغة العربية.

والفيلسوف اليونانى القديم (طاليس) كان تلميذا للمصريين فى العلوم الرياضية، كما درس أفلاطون الفلسفة فى جامعة (أون) بعين شمس بمصر، وما لبثت الفلسفة اليونانية الوليدة بعد جيل أو جيلين أن اصطدمت بالكهنوت، فقتل سقراط وتشرد أفلاطون، وقضى أرسطو بقية حياته فى عزلة وإهمال، وحدث نفس الشىء فى أوروبا فى القرون الوسطى حينما اصطدم العلماء والفلاسفة بالكهنوت الكنسى، فأحرق برونو وسجن جاليليو.. ولم يظهر فى القرون الوسطى فيلسوف أوروبى واحد فى الوقت الذى تألق الفلاسفة والعلماء والأطباء العرب فى الأندلس وبغداد، وظهر فيهم ابن سيناء، وابن رشد، والرازى وابن الهيثم، وابن النفيس وجابر بن حيان وغيرهم.

وظل موقف اليونان وأوربا من الحضارة العربية موقف التلمذة والنقل إلى بدايات عصر النهضة.

وكان دخول اليونان فى المسيحية مرحلة أخرى من مراحل التلمذة الروحية على تراث الشرق العربى، وأوشكت الفتوحات العثمانية أن تفتح بلاد اليونان لولا أن مؤشر التاريخ بدأ ينعكس إلى الغرب.

كان هذا حظ اليونان وأوروبا من التلمذة على الحضارة العربية القديمة، أما حظ مصر الفرعونية فيبدوا من هذه الكلمات العربية التى ظهرت بنطقها فى الهيروغليفية القديمة..

هيروغلوفية	عربية
ورتا	وردة
زت	زيت
كمل	جمل
بكة	مكة

ـ إن اللغة العربية تركت طابعها على العالم القديم، فكيف نقرأ، ونسمع من يقول فى اسرائيل، إن اللغة العبرية هى اللغة الأم التى انحدرت منها كل من اللغات، حيث أن اللغة العبرية حديثة عمرها أقل من أربعة آلاف سنة.

أول الموحدين: أهرام (١٠/٦/٩٥ د. مصطفى محمود)

روجت اليهودية بأن الحضارة المصرية القديمة كانت حضارة وثنية، تعبد الأصنام والآلهة المتعددة، ولا تعرف التوحيد، وأن النبى موسى عليه السلام أول من دعا إلى التوحيد بين الوثنيين، وأن فرعون الخروج هو رمسيس الثانى الملك المصرى الوثنى.

وقد أصدر الدكتور نديم السيار كتابا يرد فيه على هذه المزاعم بعنوان «قدماء المصريين أول الموحدين».

والكتاب يثبت بالدليل القاطع أن فرعون الخروج لم يكن رمسيس الثانى، ولا منفتاح، ولم يكن مصريا بالمرة، وإنما كان سادس ملوك الرعاة، الهكسوس، وأن الأنبياء، إبراهيم وإسماعيل ويعقوب ويوسف كلهم نزلوا مصر فى عصر الهكسوس، وقبل عهد الأسرات، وكانت دعوتهم إلى التوحيد إلى هؤلاء الهكسوس الوثنيين وليس إلى المصريين[1].

والعكس هو الصحيح، فالحضارة المصرية الموحدة كانت نبع الحكمة، الذى

(١) المؤلف: وهذا يتعارض مع نص القرآن الكريم: الذى ذكر لفظ الملك فى سورة يوسف ولفظ فرعون فى سورة القرآن الأخرى مع موسى عليه السلام وما وصف به القرآن الكريم ملك الرعاة، وما وصف فرعون موسى. كما أن عصر الأسرات يبدأ من القرن الخمسين قبل الميلاد بينهما إبراهيم إلى يوسف فيما بين القرنين التاسع عشر والسابع عشر قبل الميلاد، وأن موسى بعث فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد ١٣٥٠ ق.م . بعد خروج ملوك الرعاة من مصر. (دائرة معارف القرن العشرين).

استقى منه إبراهيم أبو الأنبياء وأبناؤه والديانة الإدريسية الحنيفية الصافية، فقد درس إبراهيم وهو فى قصر الفرعون الهكسوسى، أصول الحضارة المصرية فى جامعة «أون» بعين شمس، وقرأ صحف النبى إدريس عليه السلام .. ولم تنزل عليه الرسالة إلا بعد ذلك، وهو فى سن الخامسة والثمانين، وقد دخل التوحيد مصر على يد النبى إدريس، قبل أن يدخل الجزيرة العربية على يدم النبى الخاتم محمد ﷺ بخمسة آلاف سنة، وما أسماء الآلهة آمون - رع - حورس - بتاح - أنوبيس. إلا أسماء لشخوص ملائكة وأسماء ملائكة وكائنات فى الملأ الأعلى، وكلهم يدين بالخضوع لرب واحد لا إله إلا هو.. وهذا كله نجده فى كتاب الموتى وفى متون الأهرام واضحا لا لبس فيه.

والكتاب (كما يقول الدكتور مصطفى محمود) - دعوة إلى كل مثقف للقراءة والتفكير وهو فى مكتبات الأهرام.

تعلموا فى مصر!

كتب دكتور مينا بديع عبد الملك - (هندسة إسكندرية - بأهرام ٣/١/٩٦، تعليقا على مقال للدكتور ميخائيل إبراهيم - (كلية آداب - جامعة الإسكندرية) (فى بريد الأهرام):

إذا كان العالم الغربى اليوم يقر بأن الإغريق (اليونان القديمة)، هم مصدر حكمته وعلومه وفلسفته، فإن الإغريق أنفسهم أقروا من قبل بأن مصر كانت المورد الذى اغترفوا من نبعه، فالذى يقرأ (الأوديسة) اليونانية يجد أنها تتحدث عن مصر كأنما هى بلد الأطباء - أحكم أهل العالم - والمشروع اليونانى (سولون)، يشير إلى أن مصر، كانت بفضل تشريعاتها ملهمة لها فيما قدمه للإنسانية، والمهندس اليونانى العظيم (طاليس) يشير إلى أنه درس مبادئ الهندسة عن المصريين وأنه نصح تلميذه القدير (بيتا جوارس) أن يدرس فى مصر، فقضى هذا بها اثنتين وعشرين عامًا يدرس الفلك والهندسة والحكيم (أفلاطون) جاء إلى مصر لينهل من المعرفة، التى اشتهر بها حكماؤها، ثم أوفد بعد عودته أحد تلاميذه ليدرس الفلك بها. (عن دراسة للدكتور نجيب ميخائيل بعنوان أن مصر والشرق الأدنى - صدرت ١٩٥٧).

أثينا السوداء ـ الحضارة المصرية أصل الحضارات، للمؤرخ الشهير مارتن برنال صاحب كتاب (أثينا السوداء)، وهو بريطانى الجنسية

يناقش الكتاب الصلاة الوثيقة بين اللغات القديمة. . والنتيجة النهائية له تقول: إن اللغة اليونانية القديمة وثيقة الصلة، باللغة المصرية القديمة، وأن الحضارة المصرية هى أصل الحضارات. ولكن كيف؟.

يقول برنال: لقد اخترت اليونان كبداية للحضارة، فالفكر اليونانى هو المسيطر على الحضارة الأوربية بشكل عام، فلكى تؤرخ للحضارة لابد أن تبدأ فى البحث عن الجذور، فقد عشت الحضارة المصرية منذ البداية لالتصاقى بجدى الذى كان عالما للمصريات، فمن تجربة اقترابى منه وجدت أن مهمتى لابد أن تكون التقريب بين الحضارتين، فقبل هذا هناك اعتقاد أوربى خاص يقول: إن اليونان هى أصل الحضارة، وأن الحضارة فى حقيقتها بيضاء، فحاولت من خلال أربعة مجلدات تحمل اسم «أثينا السوداء» أن أصحح هذا المفهوم، فهذا التفوق الأبيض يعود إلى حضارة مصر القديمة وبلا شك فمصر هى الأصل.

وقد ذكر برنال سبب اختياره لهذا العنوان فقال: ورغم أن بعض الناشرين رأوا تغيير اسم الكتاب، ولكننى التزمت بهذا العنوان (أثينا السوداء)، رغم أن كلمة أثينا تعنى ربة الحكمة عند اليونانيين وهى امرأة بيضاء.

وإن صح المفهوم ـ كما يقول برنال ـ فإن هذا التفوق الأبيض يعود فى حقيقته إلى حضارة مصر القديمة، وبلا شك فمصر هى الأصل وفى اختياره لهذا العنوان: قال: أحاول أن أحكى فى التاريخ وكتابة التاريخ، فالحضارة جاءت من مصر، والحضارة المصرية تعنى الديانة والكتابة والتفوق الذهنى والمعمارى، ولا يختلف عما يعنيه الفينيقيون فى حضارتهم التى تعتنى بتنظيم المدن وإعداد نظام سياسى، ولهذا فإن الحضارة أقرب إلى المصريين، فالكثير من مفردات اللغة اليونانية ليست من مفردات العائلة الإندو أوروبية، فتاريخ اللغات يقوم بهذا الدليل، إن الحضارة اليونانية أصلها مصرى.

وقال: إن اللغة جزء لا يتجزأ فى دراسة التاريخ، فهى توضح صلة مصر باليونان. . فمصر الحضارة بلا شك.

(من مقال: الحضارة مصرية الأصل - هالة أحمد زكى - أهرام ٢٤ ديسمبر ١٩٩٥).

(طب مصر القديمة) - كتاب للعالم البريطانى جون نان

أهرام ٢ يونيو ١٩٩٦ - تحت عنوان: المرأة اقتحمت

عالم الطب فى مصر القديمة وبرعت فى أمراض النساء.

يقول المقال: كانت فى مصر سيدات فى العصر الفرعونى مثل بنزيشات التى كانت تتولى الإشراف على عمل فريق كامل من الطبيبات، ويدلل ذلك على أن الطب فى مصر القديمة، كان يعتمد على التجربة العلمية، وأن الأطباء توصلوا إلى معرفة أعراض الكثير من الأمراض الطفيلية - البكترية - الفيروسية - فضلا عن أمراض السرطان والكبد والفتق والصداع النصفى.

وقد تعلم الباحث (جون نان) مؤلف الكتاب اللغة الهيروغليفية حتى يتمكن من إثبات أن الأطباء الفراعنة عرفوا علوما متخصصة مثل علم وظائف الأعضاء والفسيولوجيا وعلم الأمراض الباثولوجيا، وعلم التشريح، وأفرد فصلا للأدوية التى كانت فى مجملها من مستخلصات الخضروات والفواكه والأعشاب، واشتمل على قوائم بأسماء العقاقير، وعلاج الجروح وتطهيرها، ولمحة عن أعمال أشهر أطباء مصر القديمة.

وفى أهرام ١٩٩٥/٩/٢٠ - بالصفحة الأولى

- أكد الدكتور أحمس لبيب باهور - أخصائى الجراحة فى مستشفى برمنجهام الجامعى أن الأبحاث العلمية الحديثة فى مجال الطب القديم، ما زالت تكتشف أساليب وطرقا علاجية ووضعا للأمراض لدى قدماء المصريين لم يتوصل لها العالم إلا بعد آلاف السنين، وبعضها ما زال صالحًا حتى الآن، وأن بحثا أجراه على مومياء فرعونية موجودة فى متحف برمنهجام، تسمى «مومياء المحارب» يؤكد هذه الحقائق، وأن هذه المومياء تعود إلى ٣٠٠ بعد الميلاد.

وقد وصف هيميروس الأغريقى (٩٠٠. ق.م) فى ملحمة «الأوديسا» الشهيرة، وصف الأطباء المصريين بأن معرفتهم الطبية، تتجاوز بقية أطباء العالم،

وأن الإغريق اعتادوا الذهاب إلى مصر لدراسة الطب وأن أبقراط الذى يعتبره الأطباء حاليا «أبو الطب فى العالم»، قد تأثروا كثيراً بالأطباء المصريين عندما كان يصف الأمراض، وطرق علاجها، وتشير النقوش إلى أن ملوك الدول المحيطة بمصر كانوا يطلبون من ملك مصر إرسال أطباء مصريين لمعالجتهم نظراً للتقدم الكبير فى الطب عند المصريين، بحيث أطلق على مصر فى ذلك الوقت (ارض الطب).

ويقول (باهور): أنه أعد بحثا عن الأنف والأذن والحنجرة عند قدماء المصريين، أثبت فيه مدى تقدمهم فى هذا المجال، وأثبت أن المصريين هم أول من وضعوا التركيب الداخلى للأذن، وليس أبقراط، كما يعتقد كثير من العلماء، وأدرك المصريون العلاقة بين السمع والنطق، ففى إحدى البرديات المصرية نص يقول: عندما يكون الشخص أصم أبكم فلن يستطيع أن يفتح فمه ـ أى يتكلم، وقد قدم الأطباء المصريون طرقا علاجية لبعض أمراض الأذن واستخدموا فيها، الزيوت وبعض أنواع العصائر، أما بالنسبة للأنف فإن الأطباء المصريين شرحوا وظائفه كما توصلوا إلى علاج بعض أمراض الأنف وقدموا الوصفات المفيدة فى هذا المجال.

وفى جريدة الأهرام بتاريخ ١٢ مايو ١٩٩٦

كتبت الدكتورة نعمات أحمد فؤاد ـ تعليقات على ما كتبه الأستاذ أنيس منصور فى عموده اليومى بجريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩٦/٣/٢٣.

١ ـ عاش يوسف (عليه السلام) فيما بين ١٩٠٠ ـ ١٣٥٠ ق.م فى عصر الملك خبان ـ أقوى ملوك الهكسوس، والذى اتسع نفوذه من كريت حتى بغداد.

ـ وتعلق الدكتورة نعمات على هذا القول:

الثابت أن الهكسوس قبائل من الرعاة خرجوا وراء الرزق من جنوب آسيا الصغرى، وهذه القبائل ذهب بعضها إلى مصر والآخر إلى العراق، والبعض منهم إلى الهند أو بلاد الوديان (آسيا الوسطى).

أما الذين جاءوا إلى مصر فقد طردهم بعد هذا وقضى عليهم البطل أحمس

الذى أسس بعد عودته ظافراً الأسرة الثامنة عشر سنة ١٥٨٠ ق.م

٢ - ويقول الأستاذ أنيس منصور: خروج موسى (عليه السلام) ومعه اليهود كان سنة ١٢٨٠ ق. م - أى فى نفس الوقت الذى أقام فيه رمسيس الثانى «معبد أبو سمبل».

وتعلق الدكتورة نعمات:

الثابت تاريخيا أن عهد رمسيس الثانى من ١٣٠٠ - ١٢٢٤ قبل الميلاد. ومع هذا ولعدة أسباب، ليس رمسيس الثانى هو فرعون الخروج كما يقول اليهود، وليرسخوا باطلا أنهم انتصروا على أقوى ملوكنا!! وهو مالم يحدث، ودليلى، مؤتمر رمسيس الثانى الذى عقد فى أمريكا ١٩٨٧، وحضره علماء المصريات من مختلف الجنسيات ولم يقرر أحد أن رمسيس الثانى هو فرعون الخروج.

وتتابع د. نعمات: حتى الملك. مرنبتاح، ابن رمسيس الثانى والذى حكم من (١٢٢٤ - ١٢١٤ ق.م)، وأثرت عنه (لوحة الأربعمائة) وتسمى أحيانا لوحة اسرائيل نسبة إلى النص الذى كتبه عليها (مرنبتاح) ويسجل فيه أنه حارب إسرائيل ولم يترك لهم أثراً، وأورد النص (ول ديورانت) فى المجلد الأول من كتابه (قصة الحضارة) ص ٣٠١، وترجمة النص «خرجت إسرائيل ولم يعد لأبنائها وجود».

ويعقب ديورانت: إن هذا النص ليس بالضرورة علامة على أن مرنبتاح هو فرعون الخروج، وأن النص لا يبرهن إلا قليلا على أن الجيوش اجتاحت كنعان، التى سميت فيما بعد فلسطين - مرة أخرى.

إننا لا نستطيع أن نقول متى دخل اليهود مصر أو نحدد ما إذا كانوا جاءوها أحراراً أو عبيداً، «ص٣٠١. من قصة الحضارة» ديوارنت.

وتقول د. نعمات فؤاد: إذن كيف يكون خروج اليهود وقت بناء معبد أبو سمبل؟ وكيف يكون رمسيس الثانى قد بنى المعبد والمسلات وكيف خاض موقعة (قادش) إذا كان هو فرعون الخروج؟

ثم تقول: وكيف يكون رمسيس فرعون الخروج، والقرآن الكريم كتابنا يقول على لسان امرأة فرعون الخروج: ﴿**وقالت امرأة فرعون قرة عين لى ولك لا تقتلوه**

عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً﴾.

أى أن فرعون الخروج لم يكن له أولاد فى توقيت ظهور موسى طفلا على شاطئ النيل حتى قالت الملكة، هذا الرأى، ورمسيس على النقيض كان له عشرات الأولاد والنبات، حتى قال بعض المؤرخين أنهم قاربوا المائة عدداً، وأن أحد هؤلاء هو الملك (مرنبتاح)، وأن مياه رمسيس الثانى ليس لها أثر للغرق ولا تزال علامات الاستفهام تترى. .؟

وتسأل الدكتورة نعمات فؤاد: كيف يقول الأستاذ أنيس منصور: (عندما أقام الفراعنة الأهرامات ٢٥٠٠ ق.م خرج أبونا إبراهيم من العراق مهاجراً إلى أرض كنعان.

وتعلق د. نعمات على هذا القول قائلة: إن الثابت تاريخيا أن الأسرة الثالثة ومنها (زوسر) صاحب الهرم المدرج يرجع تاريخها ما بين ٢٦٧٠ ق.م إلى ٢٦٠٠ ق.م. والأسرة الرابعة من ٢٦٠٠ ـ ٢٤٧٥ ق.م.، وهذا أحدث ما سجله عالم التاريخ المصرى القديم (يورجين فون بيكراد سنة ١٩٩٤)، ويقول (أرنولد توينى) فى كتابة (مختصر لدراسة التاريخ) جـ١ :

لقد أثر عن رمسيس الثانى أنه فى موقعة (قادش) قال: رأيت الله فى المعركة، وكان أقرب إلى من جنودى، هو الذى نصرنى.

ثم تقول. د. نعمات: إن الهكسوس رعاة .. وكيف تكون لهم هوية لقد كانوا معدمين يجرون وراء الرزق حيث تكون الوديان ـ أى الحرب الخفية بين الرمل والطين ـ كما يقول الدكتور جمال حمدان، ومع هذا يتمسح بهم اليهود ليخلقوا لهم وجوداً فى مصر وفى العصور القديمة مع أن الهكسوس ليسوا ساميين بل هنود وأوربيون، ولكنه الحلم الخبيث الذى سوف يفنون دون تحقيقه، وهو قولهم المأثور من النيل إلى الفرات.

ثم تقول د. نعمات: إن فرويد وهو يهودى يقول فى كتابه (موسى مصريا): (إن عقدة اليهود سبق مصر حضاريا).

ثم تقول: كان الأجدر، احترام مقدسات السماء، وحقائق التاريخ المصرى،

ودحض مزاعم وانتحالات، وافتراءات العدو اللدود وتوثيق كل ما يتصل بالدين وأحداث التاريخ الكبرى.

وهنا يجب التصحيح، بل يتحتم، حتى لا تكون البلبلة.

تعليق على تعليق ـ حقائق تاريخية يجب توضيحها

د. أحمد عبد الحميد يوسف ـ أستاذ الآثار المصرية ـ جريدة الأهرام
١٩٩٦/٥/٢٦

تعليقا على مقال د. نعمات فؤاد السابق ـ صفحة قضايا وآراء ـ يقول:

ليس ثابتا قول الدكتورة نعمات فؤاد أن الهكسوس كانوا من قبائل الرعاة، ولا ثبت يقينًا ما نقلت عن موطنهم الأصلى، وما كانت صفتهم هذه إلا خطأ مرفوضا شاع عن تفسير خاطئ خرج به مؤرخ اليهود ـ جوز يفرس فلا فيوس ـ منذ أكثر من ألف وثمانمائة عام، ذلك أن اسمهم فى واقع الأمر إنما يرتد إلى كلمتين مصريتين هما: حقا، خا سوت بمعنى حكام البلاد الأجنبية، وكذلك فلا سبيل إلى القطع بما يفترض من تاريخ محدد وقعت فى أحداث ذلك الزمان البعيد، فإن المؤرخين إذا ما قدروا لحادث ما تاريخيا، فإنما يقدرونه مع الاحتراس على مدى ينحصر فى نطاق معقول من بعد حساب دقيق، وإلا فكيف يقال أن يوسف عليه السلام، عاش مدى ستمائة وخمسين عامًا بين ١٩٠٠ـ١٣٥٠ ق.م، على أن يوسف وإن رجح مجيئه مصر أيام الهكسوس، فكيف بغير سند يقال أنه أقبل تحديدًا على عهد ملكهم (خيان)، وأن خيان هذا بما عثر عليه باسمه من آثار فى مصر وسوريا وفلسطين وكريت وبغداد قد هيمن على امبراطورية واسعة النطاق، غير أن المرجح بحكم قلتها وتفرقها وصغرها ونقوشها الهيروغليفية، وطابعها المصرى الأصيل أنها إنما نقلت عن مصر فى معاملات البيع والشراء ليست غير، وحسبنا فى ذلك تمثال الأسد الصغير الذى كان لدى تاجر من بغداد ونقل إلى المتحف البريطانى.

ولم يكن الهكسوس على الفن والثقافة المصرية، باستثناء العجلة والحصان ـ من تأثير كبير أو صغير، وفاقد الشىء لا يعطيه.

على أننا وإن سلمنا بأن يعقوب عليه السلام وبنيه، قد هبطوا مصر أيام الهكسوس، فقد انبغى نزوح جده إبراهيم عليه السلام إلى كنعان ثم هبوطه إلى مصر أيام الأسرة المصرية الثانية عشر على عهد امنمحات الأول أو سنوسرت الثانى وذلك حوالى ١٩٩١ ق.م

أما خروج بنى اسرائيل من مصر، فلم يقع من غير شك فى عهد رمسيس الثانى، وإن كان ـ كما يستخلص من سفر الخروج، ومن بردية هيراطية بمتحف ليون الآن، هو الذى تصدى لهم بالسخرة والعذاب يذبح أبناءهم ويستحى نساءهم، حتى كانت شفاعة ابنته آسية، أو آسيا كما سماها رسول الله ﷺ فى ذلك الطفل الذى سمته بمصريتها (موسى) بمعنى الوليد[1]، واتخذته ولدًا حتى بلغ أشده واستوى، ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها، ولعل الغفلة كانت بموت رمسيس وانشغال الناس بجنازته والحداد عليه، وتنصب خليفته مرنبتاح ملكا حيث داخلت بنى إسرائيل الجرأة بما توهموا من خلاص شجعهم على الشغب، وإقلاق الأمن، وها هو ذا أحدهم يصفه موسى بأنه ﴿غوى مبين﴾ يشتبك مع مصرى بعد مصرى. «فوكزه موسى فقضى عليه»، ويخرج موسى لاجئا إلى مدين حيث لبث فيها حتى سمع بموت مرنبتاح فتكون العودة حيث يلقى الملك الجديد ستى الثانى، وكان له تربًا ونشأ معه.

ولم يكن رمسيس الثانى صاحب الخروج فما كان له وقد جاوز الثمانين عامًا أن يتعقب بجنوده بنى اسرائيل فى عجلته الحربية طوال الليل حتى مشرق الشمس، ولا كذلك كان مرنبتاح بمستطيع، إذ بدا من فحص مومياته تصلب الغضاريف من حنجرته بما يدل فى رأى الطب والأطباء مع صلعه، وما تبقى به ـ وقد قعد ـ عن حملات الحرب والقتال، وإن كان صاحب نشيد النصر على ما سمى لوح إسرائيل ـ غير أن اللوح لم يعرف ـ على خلاف قول الدكتورة باسم (لوحة الأربعمائة)، وهى الأثر المستقل الذى يرتد إلى أيام رمسيس الثانى، إذ نصبها فى (صوعن)، وهى صان، احتفالا لا بزيادة أبيه وجده فى ذكرى انقضاء أربعمائة عام على ابتداء عبادة (ست) هناك، فسميت من ثم (لوحة الأعوام

(١) وقيل أن: موسى: تعنى ماء وشجر ـ مو: ماء، سى: شجر بالقبطية القديمة (ذكره ابن كثير فى تفسير سورة القصص).

الأربعمائة).

وقد عمدت الدكتورة فيما ورد من ذكر إسرائيل، فى نشيد النصر، ولا لوم عليها - إلى اقتباس ترجمة عربية لترجمة إنجليزية - نقلها عن سواه.. (ول ديورانت) .﴿وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا﴾، فلننقل الجملة الهيروغليفية هنا ولنترجمها بغير وسيط، إذ جاء نصها: «أون يسيثر فكت بن يرقف». أى «كان اسرائيل بورًا (عقيما)، لا بذرة له»، وهى جملة لا تدل بالضرورة مع ما توحى به من انقطاع النسل - على حرب ولا قتال بل لقد رسم لفظ اسرائيل فى الهيروغليفية بما لا يدل إلا على جمع من الناس دون أرض لهم، وصفهم القرآن الكريم على كل حال بأنهم «شرذمة قليلون»، وقد كان ذلك حقا بحكم عبورهم فى سويعات قصار.

- كان فرعون الخروج إذًا شابا أو رجلاً مكتمل الصحة موفور النشاط، وذلك ما يتبين من جثمان سيتى الثانى، بمتحف القاهرة عند فحص الأطباء، أما أعراض الغرق، فكيف لنا بها اليوم بعد نيف وثلاثة آلاف عام، بعد الذى تعهد المصريون به الجثمان من التحنيط من بعد الغسل الغامر بالماء الطهور.

(هنا ينتهى مقال: د. أحمد عبد الحميد يوسف - أستاذ الآثار المصرية)

الأهرامات وأبو الهول على سطح المريخ أيضا!!

نشرت جريدة الأهرام بتاريخ ١٨ أغسطس ١٩٩٦

لندن: من عبد الله بن السلام:

فى معلومات غاية فى الإثارة، ذكر كتاب جديد: أن هناك أدلة ليس فقط على قيام حياة أولية على كوكب المريخ، كما كشف العلماء الأمريكيون قبل أسبوع - بل على وجود حضارة متقدمة أهم سماتها الأهرامات وأبو الهول!!.

وأوضح الكتاب - وعنوانه - (بصمات الآلهة) الذى تعرضه صحيفة (الديلى ميل) البريطانية على حلقات، إن هذه المعلومات ليست محض خيال، بل أن صور الفيديو التى التقطتها المركبة الفضائية (غايكنج) التى أرسلتها وكالة الفضاء الأمريكية للمريخ عام ١٩٧٦، كشفت عن وجود العديد من الأهرامات الضخمة

فى المريخ، ووجه ضخم يشبه وجه أبى الهول. وفسر بعض العلماء ذلك أنه يعكس وجود حضارة متقدمة تمتع أصحابها بالذكاء والقدرة التكنولوجية التى ساعدتهم على بناء تلك الآثار!

إلا أن العلماء الآخرين عارضوا هذه النظرية قائلين إن تلك الهياكل الضخمة ليست نوعا من البناء، بل هى على الأرجح تكوينات جيلوجية.

لكن الكتاب الذى ألفه (روبرت بوفال)، (جراهام هانكوك) بدأ فى التراجع، وأصبح العلماء، غير متأكدين من ذلك.

وأوضح الكتاب أن المهام الفضائية المقبلة التى يعتزم الأمريكيون والروس، القيام بها للمريخ، يجب أن تعطى مزيدا من الاهتمام، لمعرفة سر هذه الأهرامات ووجه أبى الهول.

ويشير الكتاب كذلك إلى أن هناك هرما ضخما فى المريخ فى منطقة أطلق عليها العلماء (سيدونيا) وهو ذو خمسة جوانب، ويقف على بعد عشرة أميال من وجه أبى الهول تماما مثل الهرم الأكبر فى الجيزة.

* وكتب عزت السعدنى فى تحقيقه بجريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩٦/٨/٢٤ ثلاث كتب صدرت ضمن حملة منظمة ضد مصر والحضارة المصرية يقدم بها علماء وكتاب التاريخ، ومؤرخون ومزورون فى الغرب، بادعاء غريب، وهو أن الذى بنى الأهرامات ليسوا هم قدماء المصريين، ولكن أقواما أخرى إما نزلت من السماء من عوالم لا نعرفها، أو من علماء قارة الأطلنطيس المفقودة، طاروا إلى مصر بعد تدمير قارتهم وغرقها فى المحيط الأطلسى، وبنوا الأهرامات وأبو الهول، وأمامى الآن ـ كما يقول كاتب المقال. ثلاثة كتب كلها تتحدث عن هذه الفرية الكبرى، ضد حضارة مصر والمصريين:

الأول: كتاب اسمه (آخر أيام قارة أتلانتا) ـ راندال ستيفتر.

الثانى: كتاب اسمه (تراث المصريين) ـ ادجار كيس.

الثالث: كتاب اسمه: (قوة الأهرامات) ماكس توز ـ جريج نيلسون

والكتب الثلاثة تحكى حكاية الأقوام الذين أتوا من الفضاء فى مركبات طائرة

وبنوا الأهرامات وأبو الهول . . . ثم عادوا إلى بلادهم، وبعضهم بقى فى مصر ليعلم أهلها القراءة والكتابة، والعمارة والأدب والعلم والحكمة والموسيقى، ويتحدث كتاب «قارة الأتلانتيس» المفقودة، عن الأهرامات وأبو الهول التى بناها علماء الأطلنطيس الذين هربوا بمركباتهم الطائرة، إلى مصر بعد أن شعروا بقرب نهاية أجل قارتهم، غرقها فى المحيط الأطلنطى، وبنوا الأهرامات وشيدوا أبا الهول، ثم وضعوا كل أسرار حضارتهم المفقودة تحت أقدام أبى الهول داخل غرفة على هيئة معبد.

ـ وقال زاهى حواس مدير عام الآثار: لقد حفرت بنفسى أمام وخلف وتحت أبى الهول، ولم أجد حجرات، ولا وثائق القارة المفقودة ولا يحزنون؟

ولن يتوقف الغرب عن التشكيك فى سر حضارة المصريين، وتقوم شركات صناعة الملابس ولعب الأطفال لتصنع (تى شيرت) عليها صورة أبى الهول.

تقرير علمى: قدماء المصريين أول من وضع التقويم السنوى:

أهرام الجمعة ١٩٩٦ الصفحة الأولى

لندن من عاطف الغمرى:

أوضح تقرير علمى بريطانى أن جذور التقويم الميلادى ترجع إلى قدماء المصريين الذين كانوا أول من وضع تقويما يحدد الوقت بالسنة والشهر واليوم منذ ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد، ثم خضع هذا التقويم بعد ذلك لعدة تعديلات قبل أن يستقر على شكله الحالى.

ويوضح التقرير الذى نشرته مجلة (فوكاس) البريطانية المتخصصة فى الظواهر والدراسات العلمية، وذلك بمناسبة اقتراب العام الجديد، أن العالم القديم الذى يعتقد أن اسمه (ثوت) هو الذى وضع هذا التقويم، وكانت السنة المصرية الفرعونية تتكون من ١٢ شهراً كل منها ٣٠ يومًا، ويبقى خمسة أيام أو ستة من كل عام.

وأضاف أن الشهور الفرعونية كانت تحمل أرقاما، وأن الأيام المتبقية من السنة أطلقت عليها أسماء الآلهة القديمة (أوزوريس وحورس وست وإيزيس ونفتيس

على التوالى، وقد اعتمد هذا التقويم على حدثين سنويين كبيرين كان يشهدهما المجتمع المصرى: أولهما فيضان النيل، والثانى ظهور نجم ساطع فى السماء.

وذكر التقرير أن السنة المصرية القديمة كانت تبدأ يوم ٢٣ سبتمبر بتقويمنا الحالى، وهو اليوم الذى يكون فيه فيضان النيل قد بلغ ذروته، ويبدأ يترك وراءه الطمى الخصب ليبدأ موسم الزراعة، واستشراف الخير الوفير، وأكد أن المصريين كانوا يعلمون أن السنة ليست ٣٦٥ يومًا بالضبط لأن النجم الساطع كان يظهر متأخرًا عن موعده يومًا كل أربع سنوات، ورغم أنهم لم يضيفوا يوما إلى توقيتهم السنوى على مراحل منتظمة لتخلفت السنوات عن حركة الوقت لوجدوا صعوبة بالغة فى توقع موسم الفيضان وانحساره.

كما أضاف التقرير البريطانى: أن الشهور المصرية كان كل منها يتألف من ثلاثة أسابيع، وكل منها يتكون من عشرة أيام، وكل منها من عشر ساعات، وكل ساعة من مائة دقيقة، وكل دقيقة من مائة ثانية.

ولما ورث الرومان التقويم المصرى حاولوا تعديله لأنه لا يتناسب مع مواسم الزرع والحصاد عندهم، وعهد يوليوس قيصر إلى علماء روما بحل المشكلة فأضافوا ٩٠ يوما إلى السنة المصرية لتصبح معروفة بعد ذلك بالسنة المضطربة.

وبعد ذلك اضطر الرومان إلى إجراء تغييرات لتبدأ الشهور من ظهور الهلال للقمر ليستمد الشهر اسمه من كلمة (شهر) أى قمر باللغة اللاتينية، فجعل الشهر ٣٠ يومًا، ٢٩ يومًا بالتناوب مع حذف يوم كل٣٢ شهرًا ليتمشى مع حركة القمر، وبعد ذلك ألغى التقويم المصرى القمرى، وقسم الأيام الستة الزائدة فى التقويم المصرى على شهور مارس، مايو، يوليو، سبتمبر، نوفمبر، يناير، وجعل فبراير ٢٩ يوما، ٣٠ يومًا بالتناوب.

وقد ظل هذا التقويم معمولا به حتى تبنى الامبراطور قسطنطين فى عام ٣٢١ ميلادية فكرة جعل الأسبوع سبعة أيام وظل العالم المسيحى يتبع هذا التقويم ويدخل عليه تعديلات إلى وقتنا هذا.

ونلخص رأينا فى الإجابة على هذا السؤال:

أين بدأت الحضارة وما مصدرها وإلى أين انتهت؟

فنقول وبالله التوفيق:

بعد أن رجعنا إلى قصص الأنبياء، وكتب السيرة وكتب التفاسير وما جاء فى دائرة المعارف للقرن العشرين، وكتاب موجز تاريخ العالم للعالم (هـ . ج ـ ولز) ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ـ وما جاء فى كتاب (اسرائيل فى الكتاب المقدس) للأستاذ سعد زغلول نصار، وكتاب «عروبة بيت المقدس» لمجموعة من العلماء . . وغيرها من المصادر التاريخية تخلص إلى الرأى الآتى:

١ ـ إن جغرافية العالم قد أخذت شكلها الحالى قبل عشرة آلاف سنة قبل الميلاد، وقد انتشر فى طول المناطق الدفيئة المعتدلة، أسلاف سكان دول البحر المتوسط.

٢ ـ ظهرت حضارات العالم القديم فى سومر (العراق)، حضارة بين النهرين، وحضارة وادى النيل بمصر فيما بين ٦٠٠٠ ـ ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد.

وقد سبق ذلك تاريخ مجهول.

٣ ـ العرب هم أرومة الجنس السامى الذى ينتمى إلى سام بن نوح عليه السلام وينقسمون إلى:

أ: عرب بائدة: قبائل عاد، وقبائل ثمود.

الأولى بالأحقاف جنوب شرق الجزيرة العربية ـ والثانية بالحجر بين الحجاز والشام. . وهم على الأرجح حسب ما ذكره القرآن الكريم أسبق من الفراعنة فى مصر أى قبل ستة آلاف سنة قبل الميلاد. حيث يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ . إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ . الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ . وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ . وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ . الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ . فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ . فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ .إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾[الفجر: ٦ـ١٤].

يقول الإمام الشيخ محمد عبده فى تفسيره لهذه الآيات ـ ضمن تفسير جزء عم.

عاد: جيل من العرب العاربة أو البائدة، يقول النسابون أنهم من ولد عوص ابن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، وسواء صح النسب أم لم يصح، فقد كان هذا الجيل معروف باسم عاد، ويلقب أيضا بإرم، وبقى مشهورًا عند العرب بذلك، وذات العماد: أى الخيام العظيمة أو العماد الرفيعة، والقوة المنيعة والعلو والشرف وكانت منازلهم بالأحقاف إلى حضر موت، بلغت في القوة والشدة مبلغا لم يصله أحد فى عهدها ولذلك قال تعالى: ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ﴾ والاستفهام فى ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ للتذكير والتقرير.

وقد أهلكهم الله بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسومًا كما وضح القرآن فى سورة أخرى.

والصرصر: الباردة - والعاتية: الشديدة الهبوب، لا بركة فيها والسموم: المتتابعات المشائيم.

وثمود قبيلة من العرب البائدة أيضا، من ولد كاثر (وهو المسمى فى التوراة جاثر) بن إرم بن سام، وإرم هو المعروف فى التوراة بأرام، ومنزلها بالحجر بين الشام والحجاز، وقد قطعوا الصخر ونحتوه حيث أنعم الله عليهم بالقوة والعقل حتى صنعوا لأنفسهم بيوتا من الصخر بذلك الوادى الذين كانوا يقيمون فيه، وقطعوا الصخر، واتخذوا منه واديت يخزنون فيه الماء لمنافعهم.

(وفرعون): هو حاكم مصر الذى كان فى عهد موسى عليه السلام، وللمفسرين اختلاف كبير فى الأوتار، وأظهر أقوالهم أنها المبانى العظيمة الثابتة، ومنها الأهرام، ومنظرها فى عين الرائى كمنظر الوتد الضخم المغروز فى الأرض وهذه هى الأوتاد التى يصح أن تنسب إلى فرعون على أنها معهودة للمخاطبين.

﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ﴾، وهى صفة للمذكورين جميعا من عاد وما بعدها وكل قوم طغوا فى أوطانهم[1] والطغيان تجاوز الحد وهو هنا سوء استخدام السلطان والقوة، والإسراف فى هضم الحقوق اغترارًا بعظم القدرة. فحق عليهم أن يصب الله عليهم سوط العذاب على الجميع فأغرق فرعون وأعوانه كما أهلك

---

(١) «أقول: أن الحق تبارك وتعالى ذكر قوم عاد وقوم ثمود... ثم ذكر شخص الفرعون وأعوانه فى مصر ولم يذكر القوم. والله أعلم.

عاداً وثمود. (انتهى تفسير الإمام عبده).

ـ فالعرب البائدة هم عاد وثمود.

ب ـ العرب العاربة: هم: قحطان وطسم وجديس وجرهم والعماليق.

جـ ـ العرب المستعربة: وهم عرب الحجاز الذين ينتمون إلى إسماعيل قريش التى ينتمى إليها الرسول الأعظم محمد ﷺ.

٤ـ فى عام ٢٧٥٠ ق.م. يوحد القائد العظيم سرجون. بلاد سومر (العراق) بأكملها ما بين الخليج إلى البحر المتوسط وأسس عاصمة جديدة سماها أكاد.

٥ ـ قامت الدولة البابلية الأولى حوالى ٢٢٥٠ ق.م وبلغت أوج قوتها حوالى عام ٢١٠٠ ق.م فى عهد حمورابى الذى سن مجموعة من القوانين يعرفها التاريخ إلى اليوم.

ـ وفى عهوده نجح قوم من الساميين فى غزو مصر وأقاموا مملكة الرعاة (الهكسوس)، الذين دام ملكهم قرونا طويلة، ولم يندمج الساميون (الهكسوس) قط بالمصريين، حتى طردوا منها حوالى عام ١٦٠٠ ق.م

واتخذت الدولة البابلية الأولى عاصمة لها هى مدينة بابل.

٦ ـ الدولة الأشورية أسسها الأشوريون وهم من أصل سامى سكنوا شمال العراق واستولوا على العراق كلها حوالى ١١٠٠ ق. م.

وبقيت السيادة لهم عدة قرون، وضموا مصر وسوريا.

ثم ضم الفرس العراق ٦١٧ ق.م.

ـ بابل الثانية (الكلدانيون): بعد ما قضى الفرس على الأشوريين عام ٦١٧ ق.م. أقام البابليون دولة قوية تعرف بالدولة البابلية الأخيرة ـ حيث زال بعدها ملكهم إلى الأبد.

وأشهر ملوكها (نبوخذ نضر الثانى): الذى ثار فى عهده يهود فلسطين فأسرع إلى عاصمتهم أورشليم (القدس) ودمرها وأخذ جانبا من أهلها أسرى، وعادوا إلى الثورة بعد عشر سنين فدمرها ٥٨٦ ق.م وأخذ إلى العراق أربعين ألف يهودى سخرهم عبيداً فى بابل.

- غزاها كورش ملك الفرس واستولى عليها ٥٣٨ ق.م وبذلك انتهى الحكم الوطنى فى العراق القديم، وأصبح العراق جزءاً من الامبراطورية الفارسية إلى أن غزاه الإسكندر الأكبر ٣٣٠ ق.م، وبعد وفاة الإسكندر - وقع العراق مع سورية تحت حكم السليوقيين (الفينيقيون).

ثم دخل الفرس العراق مرة ثانية وأصبح ميدانا للقتال بين الفرس والرومان إلى أن فتحه العرب ٦٣٢م.

ودخل العراق فى عهد جديد - وهو العهد الإسلامى..

٧ - بينما بدأت حضارة وادى النيل فى مصر،نلخصه من (دائرة معارف القرن العشرين - للأستاذ محمد فريد دجوى - طبعة عام ١٩٧١) بتصرف:

ينقسم تاريخ مصر القديم إلى أدوار ثلاثة:

أ - دور الجاهلية: مجهول وينتهى إلى ٦٠٠٤ ق.م.

ب - دور الملكية المصرية ٦٠٠٤ - ٣٤٨٠ ق.م.

جـ - الدور الثالث ٣٤٨٠ ق.م - ٣٠ ق.م.

تاريخ مصر الحديث: أ - من سنة ٣٠ ق.م - ٦٤٠م حكم الرومان.

ب - ٦٤٠م إلى ما شاء الله. حكم المسلمين.

أولا: الدور الأول:

تاريخ الأمة المصرية فى عهد الجاهلية غامض لا يعرف عنه شىء كبير، وغاية ما يعرف عنه، أن هذه الأمة منقسمة إلى قبائل على كل منها رئيس مستقل توحدت هذه القبائل وأوجدت مملكتين إحداهما فى الوجه البحرى والأخرى فى الوجه القبلى.

وفى هذا الدور كان للكهنة نفوذ قوى فرتبوا للأمة ديانتها، ووضعوا لها أسماء آلهتها، وكان مقرهم مدينة طيبة، وتسمى بالقبطية (أبيدوس)، وهى الآن العرابة المدفونة، الخربة قبلى جرجا بينها وبين البلينا ساعتان.

الدور الثانى:

عهد التمدن المصرى من سنة ٥٠٠٤ - ٣٣٢ ق.م:

حيث بدأ المصريون يلبسون جلود الحيوانات، ويستعملون النحاس والفخار ويتخذون السيوف والمدى ـ وينسجون التيل، ويصنعون الآجر (الطوب) ويشيدون المبانى ويستخرجون الذهب والفضة ويبنون السفن ويتجرون عليها.

وهذا الدور هو دور الأسر المالكة أو دور الفراعنة، بلغ عدد هذه الأسر واحد وثلاثين أسرة ملكت البلاد من سنة ٥٠٠٤ ـ ٣٣٢ ق.م.

أ ـ فى عهد الأسرة الأولى والثانية: من ٥٠٠٤ ـ ٤٧٥١. ق.م:

زعيمها الملك مينا أو (مينيس)، تزوج أبوه من أميرة بالوجه البحرى فصار مينا حاكما بالوراثة على الوجهين.. أضعف سلطة الكهنة وقوى سلطة الملكية وبنى هيكلا للمعبود (بتاخ)، قرب الجيزة، وبنى مدينة منف وهى الآن ميت رهينة والبدرشين، وخلفه ابنه (تيتا) فأسس فى منفيش القصور واشتغل بعلم الطب وعمل مجمعا للوصفات الطبية توجد الآن بمكتبة برلين.

ب ـ فى عهد الأسرة الثالثة بين ٤٤٤٩ ـ ٤٣٣٥ ق.م كانت منف قد تقدم على عهدها فن النقش والبناء وجر الأثقال، وبنى فى مدتها الهرم المدرج بسقارة قرب البدرشين، بناه الملك (زوسر) وفى أشهر أعمال هذه الأسرة أبو الهول الباقى بقرم أهرام الجيزة.

جـ ـ الأسرة الرابعة ٤٢٣٥ ـ ٣٩٥١. ق.م: بمنف:

بنى فى عهدها الأهرامات الثلاثة الموجودة بالجيزة، فبنى الهرم الأكبر (خوفو) فى ثلاثين سنة، وبنى الهرم الثانى (خافرع) ابنه ـ أما الهرم الثالث فبنى جزء منه (منقرع) ـ من كادرع ـ وأتمت بناءه الملكة (نيتوخريس) من الأسرة السادسة.

وقد ذكر فالبوس المؤرخ عن الطبقة الأولى (أنه فى زمنها كثر على الآثار اسم (أوزوريس) والتوسل إليه، وأتقنت صناعة التصوير وامتازت الصور باعتدال القامة واستدارة الوجه وإشراقه.

وكان القوم فى ذلك العهد يعنون بالكتب فجعلوا لها دوراً ومراقبين واهتموا بعمل التقاويم السنوية فبينوا فيها وقت شروق الكواكب وغروبها.

ولا سيما الشعرى اليمانية التى كان ظهورها علامة على زمن الفيضان ورأس السنة.

* وعلى هذا فالإله «أوزوريس: كانوا يتوسلون إليه منذ أكثر من أربعة آلاف سنة قبل الميلاد.

وإن صح الاعتقاد كما ذكر فى أكثر من مصدر تاريخى ومصدر دينى على أن أوزوريس: هو النبى إدريس عليه السلام، وهو أول من خط بقلم ونظر فى النجوم، فإن مشكاة الحضارة المصرية فى بدايتها كانت من مشكاة النبى، ثم انحرفت عقيدة التوحيد وضل الناس عنها إلى عبادة آلهة أخرى.

حيث أن إدريس النبى عليه السلام هو جد أبى نوح عليه السلام، وقد عاش فى هذه الفترة من الطبقة الأولى، فى الأسر المصرية القديمة.

٢ - الطبقة الثانية: من سنة ٣٠٦٤ ق.م - ١٧٠٣ ق.م.

وتشمل سبع أسر ومدة حكمها ١٣٦١ سنة:

أ - الأسرة الحادية عشرة الطيبية: ٣٠٦٤ - ٢٨٥١. ق.م:

وحتى الأسر الرابعة عشر (السخوية): من عام ٢٣٩٨ - ٢٣١٤ ق.م:

قال ماسبيرو فى هذه الأسرة الأخيرة: إن انقراض هذه الأسرة نشأ عن فتنة ضد آخر ملوكها.

وقد كانت مصر فى عهد هذه الأسر كانت سائرة فى طريق الرقى فانتظم فيضان النيل. وازدهرت المدارس وانتشرت المسلات، والمعابد والهياكل والأهرامات والمبانى العظيمة.

ب - الأسرة الخامسة عشر (طيبية عربية) امتدت من ٢٣١٤ - ٢٠٠٥ ق.م:

ينقسم تاريخ هذه الأسرة إلى قسمين: أسرة وطنية وتاريخها مجهول حكموا الوجه القبلى وجعلوا عاصمتهم طيبة.

وأسرة من الأجانب وهم العرب الرعاة المعروفون بالهكسوس، حكموا الوجه البحرى، واتخذوا مدينة (أواريس) قاعدة لهم، ثم جعلوا عاصمتهم صان. حيث أغار العرب على هذه البلاد، وانتشروا فى أنحائها وأخذوا يحرقون المعابد والقرى وينهبونها، وعلى أثر ذلك هاجر الأمراء الوطنيون إلى الوجه القبلى، وحكموا هناك من طيبة.

وأصبح الوجه البحرى فى قبضة العرب الرعاة، فعينوا ملكا لهم اسمه (سلاطين)، واتخذوا منف مقرا لهم ثم قام بعد (سلاطين)، خمسة ملوك خافوا من الأمراء الوطنيين، فاتخذوا مدينة (أواريس) قاعدة لهم، وكان المصريون يمقتون العرب ويضمرون لهم العداء.

ب ـ الأسر السادسة عشر العربية (٢٠٠٥ ـ ١٧٥٠. ق.م):

أثار ملوك هذه الأسر حربا عوانا على المصريين فأخذوا منهم الجزء الشمالى من الوجه القبلى، وأعقب ذلك وفود الكثير من السوريين إلى مصر، وقد جلبت هذه الأسرة الخيل إلى مصر ومن ملوكها (رع ـ كانن)، وهو المعروف عند العرب (بالريان بن الوليد)، قال بعض المؤرخين: إنه فى مدة هذا الملك، وفد على مصر جماعة من الإسماعيليين الذى شروا يوسف الصديق من إخوته، وباعوه إلى فوطيفار رئيس شرطة مصر، فأتى بيوسف إلى منزله، فبهر حسن يوسف زوجة فوطيفار، فراودته عن نفسه فأبى، فتسببت فى سجنه، وكان السجن يومئذ فى الجهة الشمالية لسقارة بالقرب من هرم (ببى)، وتعرف الآن بسجن يوسف، ويقول بعض المؤرخين، أن مجيء يوسف وبنى اسرائيل من أرض كنعان إلى مصر كان بعد طرد العرب منها، أى فى مدة الأسرة الثامنة عشر الوطنية، حيث أقام يوسف بمدينة منف، وتسلط على سائر البلاد فى أيام الملك (توتمس) الذى تولى بعد طرد العرب.

نقول وبالله التوفيق، وهذا الرأى الأخير لا يتفق ما جاء بالقرآن الكريم فى سورة يوسف من ذكر ملك البلاد بلفظ (الملك) فى قوله تعالى: **﴿وقال الملك إنى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ...﴾** الآية، وقوله تعالى: **﴿وقال الملك ائتونى به﴾**

وقوله تعالى: **﴿وقال الملك أتونى به استخلصه لنفسى﴾**

ولم يذكر لفظ(الفرعون) إلا عندما بدأ القصص القرآنى فى سرد قصة موسى عليه السلام، فى سور متفرقة من القرآن الكريم، كما فى قوله تعالى **﴿اذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ ﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى﴾ ﴿ونادى فرعون فى قومه يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى﴾** إلى آخر الآيات التى وردت فى سور كثيرة، فى مواطن متفرقة، تتحدث عن قصة موسى عليه السلام.

وهذا دليل قوى وإعجاز قرآنى، على أن ملوك العرب دخل فى زمانهم يوسف، كما سبقه فى وقتهم إبراهيم عليه السلام، كما دخل فى وقتهم يعقوب وأبناؤه.

أما موسى عليه السلام فقد بعث فى بنى إسرائيل الذين تكاثروا فى مصر كما سنوضح آنفا، وذلك بعد خروج الرعاة (الهكسوس) من مصر هذا للتنويه).

وقد انقرضت هذه الأسرة العربية بسبب الحرب التى أثارها المناقشات الدينية بين ملوكها، وبين الوطنيين، من أمراء الوجه القبلى، وجلس (تا ـ آ) الأول على سرير الملك، وأسس فى الصعيد الأسرة السابعة عشرة.

الأسرة السابعة عشر: طيبية ـ عربية. من سنة ١٧٥٠ ـ ١٧٠٣ ق.م:

كانت مصر فى هذه الفترة تحت حكم حكومتين:

أ ـ وطنية: وقاعدتها طيبة: فى الوجه القبلى.

ب ـ عربية: وقاعدتها (أواريس) فى الوجه البحرى.

ولما تولى الملك (تا ـ آ) الحكم فى طيبة أشهر الحرب على العرب وطردهم، تدريجيا، وقام خلفاؤه بعده فوجدوا فى حربهم طلبا لاستقلال مصر فلم يبق إلا النذر اليسير منهم ولم تزل ذريتهم (البشامرة) تقطن شواطئ المنزلة محترفة حرفة الصيد وقنص الطيور، وهكذا انتهت الطبقة الثانية على أحسن حال:

والطبقة الثالثة: من سنة ١٧٠٣ ـ ١٤٦٢. ق.م:

ويهمنا من أمر هذه الطبقةم

الأسرات: التاسعة عشر (الطيبية) ١٤٦٢ ـ ١٢٨٨ ق.م.

الأسرة العشرون (الطيبية) ١٢٨٨ ـ ١١١٠ ق.م

الأسرة الحادية والعشرين الطيبية الثانية: ١١١٠ ـ ٨٩٠ ق.م.

الأسرة الثانية والعشرين: (البسيطة) أشورية ٩٥٠ ـ ٨١٠ ق.م.

وسنذكر أهم ملوك كل أسرة وأهم الأحداث التى تخدم بحثنا عن أصل الحضارة، بإيجاز شديد:

أ ـ الأسرة التاسعة عشر (الطيبية):

اجتهد ملوكها فى إخضاع إمارات آسيا، أهم ملوكها (سيتى الأول)، أبو

الملك رمسيس الأول:

ومن أعظم ملوك هذه الأسر: رمسيس الثانى (الأكبر): ويسميه الرومان سيزوستريس حكم ما بين (١٤٠٠ ـ ١٣٣٩. ق.م):

(ونتحدث عنه بشىء من التفصيل، لعلاقته بالبحث الذى نحن بصدده):

كان أكبر ملوك مصر ثروة وجاها وأعظمهم قوة وبأسا، وضعه أبوه وهو فى سن الطفولة على حجره فأدى له الشعب التحية والإكرام... تمرد عليه سكان شمال سورية فهزمهم فى أرض الأموريين، ونقش حوادث انتصاره فى مسلة منصوبة على شاطئ (نهر القلب) شمال بيروت، وقد عصاه قبائل الخيتاس، وبرز لمحاربتهم بالقرب من قادش وانقض على أعدائه بعد أن فر معظم جيشه وتضرع إلى الإله آمون، فهزم أعدائه شر هزيمة ـ وعقد معهم الصلح بعد حرب لمدة ستة عشر عامًا بينه وبين الخيتاس، بنى أسطولا كان له السيطرة على البحر الأحمر والأبيض، وبحر الهند وجزائره حتى أعالى أفريقيا، وبنى هيكل الرمسيوم بطيبة وهيكل أبى ـ سمبل ومعبد الكرنك والأقصر وأبيدوس ومنف وتل بسطة ونصب مسلتى الأقصر، ونشر العلوم والفنون والزراعة حتى يلفت مصر فى الحضارة شأوًا بعيدًا. وقد جعل بعد ذلك إقامته فى مدينة تانيس (صان).

وسخر الملك رمسيس الثانى بنى إسرائيل فى بناء مدينتى رمسيس (رعميس) وبيوتكم (هيروبوليس) بأرض جاشان (صان) بالشرقية، وأمر بأن تقاس أراضى مصر، فقيست بالسهم والقيراط والفدان. وشجع العلوم والأدب والفن، وحكم ٦٧ سنة.

خلفه ابنه (مَنَفطا): وهو الثالث عشر بين أبنائه:

تولى وعنده ستون سنة من عمره، وفى أيامه أغار الليبيون على مصر من الغرب والخيتاس من الشرق قاصدين فتح الوجه البحرى، واستطاع أن يتغلب عليهم، وقصة ذلك منقوشة على معبد الكرنك، وله عمارات وآثار بطيبة.

* قال بعض المؤرخين: إن خروج بنى إسرائيل من مصر على يد موسى عليه السلام كان فى حكم (منفطا الأول) هذا، وقال غيرهم بل كان ذلك فى حكم ابنه (ستى الثانى):

ابن منفطا الأول: نذر لثالوث طيبة (آمون، وزوجته حوت وابنهما خنسو)، فبنى محرابا فى معبد الكرنك، وفى آخر أيامه نازعه الملك رجل اسمه (سيتاه أو منحيس)، فاختل الأمن، ومات بعد أن حكم سنتين، وعثر على جثته فى قبر امنهوتب الثانى بطيبة وكثر فى عهده وفود الأجانب إلى مصر.

ب ـ الأسرة الحادية والعشرون الطيبية التانسية: من ١١١٠ ـ ٨٩٠ ق.م ضعفت شوكة الرمسيسيين ملوك الأسرة التاسعة عشرة والأسرة العشرين، فانتزع (هير ـ هيرو) رئيس الكهنة (لآمون) السلطة من رمسيس الرابع عشر، وجعلها فى قبضته، ولما مات تولى ابنه الكاهن بيانجن، وفى أيامه هجم نمرود ملك آشور على مصر وانتزعها منه، وأدخلها تحت حكمه سنة ٩٨٠ ق.م.

ولما مات نمرود خلفه ابنه (ششنق) فى حكم مصر وآشور.

* يذكر التاريخ أن بنى إسرائيل بعد خروجهم من مصر مع موسى عليه السلام فى عام ١٣٣٥ ق.م: ظلوا فى الشتات ومات موسى، فى أرض سيناء ولحق به أخوه هارون، ولم يدخلوا إلى بيت المقدس إلا عام ٩٩٦ ق.م

فى الوقت الذى حدث فيه اضطرابات بين الأشوريين والمصريين.

جـ ـ الأسرة الثانية والعشرون: البسيطة: (أشورية): (٩٥٠ ـ ٨١٠ ق.م) قاعدتها مدينة تل بسطة المعروفة جنوبى الزقازيق وأول ملوكها، ولد فى مصر، واحترم معبوداتهم وغزا أرض أورشليم بألف ومئة عربة وستين ألف فارس، وقاتل رحيعام بن سليمان عليه السلام ـ ، ونهب الأموال الفضية الملكية وسلب التروس السلمانية الذهبية، وقد رسمت هذه الحادثة على السور القبلى من معبد الكرنك، كما رسمت عليه سورة ملك يهود موثق اليدين، ثم مات بعد أن حكم ٢١ سنة.

وخلفه (أورسوركون، أسرجان)، الذى حارب مملكة يهود، ولما التقى بملكها فى وادى صفد، وقع الرعب فى قلبه فمات، وخلفه ابنه (تاكلوت) الذى لم يقف له التاريخ على أثر، (بتصرف من دائرة المعارف للقرن العشرين: الأستاذ محمد فريد وجدى طبعة ١٩٧١م) المؤلف:

العلاقة بين الحضارة المصرية القديمة وحضارات العراق:

(من كتاب مصر وحضارات العالم القديم): د. محمد جمال الدين مختار أستاذ بجامعة الإسكندرية (طبعة ١٩٩٤ـ ١٩٩٥)

اتصلت مصر بالعراق منذ أقدم العصور، عن طريق سوريا، مما أدى إلى تبادل بعض المظاهر الحضارية، وقد عثر بمصر القديمة والعراق أيضا على آثار تدل على تأثر الطرفين ببعضهما البعض.

حيث تأثرالدين والأدب وكافة الناحية الفكرية فى كل من البلدين بالبلد الآخر، ولقد اعتقد البابليون مثل قدماء المصريين فى البعث والحياة الأخرى وعمدوا إلى تزويد المتوفى بكل ما يعينه ويساعده على الحياة فى العالم الآخر.

وعندما ضعفت مصر وتفككت فى أواخر الأسرة الحادية والعشرين وتطلعت آشور إلى الاستيلاء على مصر، خاصة بعد أن استولوا على سوريا هجم الملك الآشورى (أسر حادون) على مصر، ولم تخضع مصر للآشوريين إلا لفترة قصيرة وسرعان ما نالت استقلالها من جديد على يد (ابسماتيك) مؤسس الأسرة السادسة حوالى ٦٦٤ق.م.

وعندما حاول الملك نخاو بن (ابسماتيك) إعادة النفوذ المصرى إلى فلسطين وسوريا، اصطدم بدولة بابل التى كانت قد مضت على منافسها القوية آشور (بابل الثانية)، وقد انتهى هذا الصدام بهزيمة (نخاو) وانسحابه من فلسطين:

ثم غزا الفرس العراق ثم غزاه الإسكندر الأكبر ٣٣٠ ق.م ثم الرومان حتى العرب المسلمين.

فهناك علاقات ثقافية واتصالات حضارية بين مصر والعراق القديم منذ أقدم العصور .

حضارة فينيقيا:

امتازت سورية القديمة (بلاد الشام) بموقعها المتوسط بين مصر وبلاد العراق القديم، وعلى الطرق الرئيسية للتجارة بين الشرق والغرب، ولذا قامت سورية إلى جانب إنشاء حضارتها بدور الوسيط فى نقل الحضارات بين الشعوب المجاورة.

وفضلا عما تقدم كان جنوب سورية (فلسطين) مهبط ديانتين سماويتين هما

اليهودية والمسيحية، وقبلها أقام إبراهيم عليه السلام فيها بعد هجرته من أور ببابل بالعراق حوالى ١٨٠٥ ق.م كما أقام فيها يعقوب، وهو إسرائيل قبل ذهابه إلى مصر هو وأولاده للإقامة بها مع ابنه يوسف عليه السلام حوالى ١٦٦٠ ق.م، وإلى جانب هذا لعبت هذه البلاد دورًا هامًا فى نشر الدين الإسلامى.

من أوائل الشعوب التى سكنت هذه المنطقة الكنعانيون (الفينيقيون) الذين استقروا على الشريط الساحلى لسورية مكان لبنان وساحل فلسطين الشمالى الآن.

وقد أطلق على الكنعانيين هذا الاسم ومعناه الأرض الحمراء اللون، ثم أطلق عليهم الإغريق اسم (فينكس) أى الشعب الأحمر اللون نسبة إلى الصبغة الحمراء التى استخرجوها من الحيوانات البحرية التى تعيش قرب سواحلهم والتى اشتهروا بمهارتهم فى استخدامها فى صبغ المنسوجات ومن كلمة(فينكس)اشتق لفظ فينيقيا.

ولم تكن فينيقيا دولة موحدة، وإنما أسسوا على الساحل مدنًا ذات حكومات منفصلة تحميها أبراج وأسوار عالية، وقد تعذر على الفينيقيين إقامة دولة لأن بلادهم كانت بمثابة قنطرة تمر عليها الجيوش القادمة من كل مكان.

ومن أشهر تلك المدن صيدا وصور وجبيل وبعلبك وأوغاريت وبيروت وعكا وحيفا، وقد ضرب الساحل الفينيقى رقما قياسيا فى صغر حجم إماراته التى لم يتجاوز كل منها مدينة تحيط بها قرى قليلة.

وقد أقام الفينيقيون مستعمرات في حوض البحر الأبيض المتوسط، فى بلاد اليونان، وعلى الساحل الغربى لآسيا الصغرى (تركيا الآن)، وجزيرتى صقلية وسردينيا وإيطاليا وأسبانيا، وشمال أفريقية، وبلغ نشاط الفينيقيين أقصاه فى تأسيس المستعمرات بين القرنين العاشر والثامن قبل الميلاد وأصبحت فينيقيا بهذا النشاط سيدة التجارة فى البحر المتوسط.

* ويلاحظ أن خلال هذه الفترة دخل الإسرائيليون بيت المقدس بقيادة ملكهم طالوت: وأنشأوا دولتهم ٩٩٦ قبل الميلاد وخلفه داود عليه السلام ثم سليمان عليه السلام. وأغلب الظن أن دولتهم كانت إمارة مثل بقية إمارات الفينيقيين عبارة عن مدينة بيت المقدس وعدد قليل من المدن المجاورة والقرى (المؤلف).

وقد قام الدين فى فينيقيا القديمة على عبادة الظواهر الطبيعية، وعلى تقدس

قوى الخصب والنماء، ونشر الرخاء وأسقط المطر، فى هيئة معبودات ذات صفات بشرية.

وأهم الآلهة عند الفينيقيين الإله «بعل» رب الخصب والإنماء وكانت زوجته (عشتار) تشاركه جميع أعماله، وهى قصة تشبه قصة أوزوريس وإيزيس المصرية.

وأقام الفينيقيون الكثير من المعابد للآلهة

*فضل الفينيقيون على الكتابة:

دعت الحاجة للفينيقيين إلى ابتكار وسيلة سريعة لتسجيل ما يبيعونه وما يشترونه فى سجلاتهم فاخترعوا حروفا أبجدية مكونة من اثنين وعشرين حرفا اقتبسوها من الكتابة المصرية القديمة وكانت أول أبجدية عرفها العالم.

وأخذ الإغريق الأبجدية عن الفينيقيين بعد أن عدلوا فيها ثم أورثوها للرومان الذين نشروها فى بقية الأقطار الأوروبية، ومنها خرجت الأبجدية الأوروبية الحديثة.

وكان لذلك الفضل الأكبر فى نشر الوعى والثقافة والحضارة فى شتى أرجاء العالم.

* العلاقة بين الحضارة المصرية وحضارة فينيقيا:

قامت الاتصالات بين مصر وفينيقيا منذ فجر التاريخ، كما تدل على ذلك قصة أوزوريس وإيزيس، فقد ذكرت القصة: كيف أن مياه البحر حملت تابوت أوزوريس من مصر إلى فينيقيا، وكيف أعادته زوجته إيزيس إلى أرض الوطن.

وقد قويت العلاقة بين مصر وفينيقيا فى عهد الدولة القديمة والتبادل التجارى بينهما منذ عهد الملك (سنفرو) والدخوفو)، ووجدت حضارة كل من البلدين طريقها إلى الأخرى وتأثر الفينيقيون بأفكار المصرين ومعتقداتهم.

وتدل عادات الدفن عند الفينيقيين على وجود الاعتقاد فى البعث والحياة بعد الموت

(كتاب المدن الفينيقية: د. محمد أبو المحاسن عصفور. بيروت ١٩٨١ صـ١٨٥ ـ ١٨٦).

* عبور الحضارة من الشاطئ العربي إلى شاطئ اليونان والأرمان:

الإغريق والرومان ينقلون حضارة الشرق القديم: (مصر- بلاد الشام - العراق) والآن وقد عرفنا كيف بدأت الحضارة في مصر القديمة منذ آلاف السنين، وكيف تمت وارتقت على مر الأعوام، وكيف قامت حضارات أخرى ظهرت في الوطن العربي العراق وسورية وسواحل لبنان، وجنوب الجزيرة العربية زاملت الحضارة المصرية القديمة، وأسهمت معها في نشر تلك الحضارات ونقلها إلى شعوب العالم التي اتصلت بها وأخذت عنها الكثير ومنها شعوب في الركن الجنوبي الشرقي من أوروبا، وفي الجزر المحيطة به وخاصة جزيرة كريت وتمكنت بفضل تلك الاتصالات من خلق حضارة نشأت في بادئ الأمر في جزيرة كريت وجزر بحر إيجة، القريبة منها، ثم ما لبثت بلاد الإغريق أن أصبحت مركز الإشعاع الحضاري في المنطقة، وأنشأ الإغريق (اليونان) حضارة أخذت عنها أوروبا أصول حضارتها الحالية.

وكانت جزيرتا كريت وقبرص بمثابة المعبر الرئيسي للاتصال الحضاري والتجاري بتلك الجهات وبآسيا الصغرى وساحل أفريقيا الشمالي، كذلك كان ساحل بلاد الإغريق الغربي والجزر القريبة منه بمثابة البوابة الغربية لبلاد الإغريق، ومنها حمل التجار والمهاجرون الحضارة إلى شبه الجزيرة الإيطالية، وبذلك نشأت حضارة الرومان، وهكذا ساعد الموقع الجغرافي لبلاد الإغريق على القيام بدور المستورد لحضارات الشرق والموزع لها في باقي أنحاء القارة الأوروبية.

* أثر الحضارة المصرية على الإغريق:

غزا الإغريق جزيرة كريت وأخذوا الكثير من مظاهر حضارتها المتأثرة بالحضارة المصرية، وكذلك نقل الفينيقيون الحضارة المصرية إلى البلاد التي تاجروا معها ومنها بلاد الإغريق.

وهكذا انتقلت حضارة أجدادنا إلى بلاد الإغريق بطريق غير مباشر وذلك قبل أن يتصلوا بمصر اتصالا مباشراً.

وبعد ذلك بدأ التجار الإغريق يفدون إلى مصر منذ القرن الثامن قبل الميلاد، حيث أنشأوا مدنا خاصة بهم سارت على النظام الإغريقي كما التحق الكثير منهم بالجيش المصري كجنود مرتزقة، وهكذا بدأ الاتصال المباشر بمصر وأذهلتهم

حضارتها العظيمة، فتوافد عليها العشرات من علمائها وكتابها وطلاب العلم والمعرفة ونقلوا الكثير من مظاهر التقدم فى الطب والفلك والرياضة والكيمياء والفنون والعمارة والصناعات المختلفة، وقد أخذت علاقات الإغريق بمصر تزداد على مر السنين حتى وقت مجىء الإسكندر إلى مصر ٣٣٢ ق.م.

وقد برزت فى بلاد الإغريق بعض المدن وعلى رأسها مدينتا أسبرطة وأثينا أسهمتا فى بناء الحضارة الإغريقية القديمة. وقد وصلت أثينا إلى زعامة المدن الإغريقية فى القرن الخامس قبل الميلاد، وبلغت مبلغا عظيما من الرقى والحضارة، ويعتبر المؤرخون تلك الفترة من تاريخها هى أزهى الفترات لا فى تاريخ أثينا فقط بل فى ما قبل تاريخ الإغريق كله:

* يواكب ذلك بالإضافة إلى حضارة الفينيقيين بالشام قيام الدولة اليهودية، وملك داود وسليمان عليهما السلام، بداية من القرن الثامن قبل الميلاد، واختلاف مفكرى اليونان إلى أرض فلسطين، كما سبق الذكر فى الفصل الأول، وأنهم نهلوا من مشكاة النبوة).

- وكان عصر أثينا الذهبى ٤٨٠ - ٣٩٩ ف.م:

حيث انتصر جيش أسبرطة البرى وأسطول أثينا الكبير على الفرس، وتفوقت أثينا على أسبرطة فى النزاع المسلح الذى قام بينهما بعد ذلك، وأصبحت أثينا زعيمة المدن الإغريقية فى القرن الخامس ق.م:

وقد برع الإغريق فى شتى الفنون والعمارة والأدب والعلوم والفلسفة والتاريخ والألعاب الأولمبية، على قمة جبل أولمب جيت حيث أقاموا معبدًا كبيرًا للمعبود (زيوس) فوق قمة هذا الجبل، ومن ثم فقد سميت تلك المباريات بالألعاب الأولمبية.

وظلت الدورات الأولمبية تقام منذ القرن الثامن ق.م لمدة تزيد على ألف عام حتى أبطلها أحد أباطرة الرومان فى القرن الرابع بعد الميلاد، ثم ما لبث أن بعثت من جديد فى نهاية القرن الماضى ليشترك فيها كافة دول العالم.

*** مقدونيا توحد بلاد الإغريق وتتزعم مدنها.**

انتقلت الزعامة إلى مقدونيا بعد أثينا حيث كان فيليب المقدونى على جانب

كبير من الفطنة فعمل على النهوض بالحضارة الإغريقية فى بلاده وكون جيشًا كبيرًا أخضع به المدن والولايات الإغريقية الأخرى واتحد الإغريق تحت زعامته وبعد مقتله خلفه ابنه الإسكندر الذى تتلمذ على يد الفيلسوف أرسطو وجلس على العرش ولم يتجاوز العشرين من عمره.

وغزا بلاد الفرس وهزمهم، وأعلن أنه خرج من بلاد الإغريق لينشر حضارتهم وفتح بلاد آسيا الصغرى وبلاد الشام ومصر ٣٣٢. ق.م:

* وفى كتاب (هيرودوت الذى يتحدث فيه عن مصر):

للدكتور: محمد صقر خفاجة ـ تعليق د. أحمد بدوى ـ القاهرة ١٩٦٦: نتقل هذا النص التاريخى:

أما بخصوص المسائل الإنسانية، فالكهنة (المصريون) متفقون فيما بينهم على أن المصريين كانوا بين سائر البشر أول من عرف السنة الشمسية، أى المعتمدة على دورة الأرض حول الشمس، وأنهم قسموا فصولها اثنى عشر قسما، ويقول الكهنة. أنهم اعتمدوا إلى معرفة هذا التقسيم بمراقبة النجوم، وهم فى نظرى يتفوقون بتقويمهم هذا على اليونان؛ لأن هؤلاء يضيفون كل ثلاثة أعوام شهرًا نسبيا (صغيرا) إلى السنة حتى تستقيم الفصول، أما المصريون فيعدون اثنى عشر شهرًا ولكل منها ثلاثين يومًا، ويزيدون على هذا العدد خمسة أيام كل سنة، وبذلك تنتهى دورة الفصول عندهم بنفس التاريخ الذى بدأ به التقويم، ويقول الكهنة أن المصريين كانوا أول من سمى الآلهة الاثنى عشر بألقابها، وأن اليونانيين نقلوا عنهم ذلك، وأن المصريين كانوا أول من وقف الهياكل والتماثيل والمعابد، وأنهم أول من حفر الصور على الأحجار وقد برهنوا لى أن أغلب ما قالوا قد حدث فعلا، وقالوا أيضا أن «مينا» أول ملك لمصر من البشر، وأن مصر فى عهده كانت كلها مستنقعا عدا ولاية طيبة فيما لم يظهر فوقها جزء واحد من الأرض التى توجد الآن شمال بحيرة موريس (مكان بحيرة قارون الحالية، بمنخفض الفيوم).

وقد جاءت أسماء الآلهة كلها تقريبا من مصر إلى بلاد اليونان...

ولقد سبق المصريون الشعوب إلى إقامة الأعياد العامة والمواكب العظيمة، وعنها تعلمها اليونان، ودليل ذلك أنها تقام عند المصريين منذ زمن بعيد، بينما لم يحتفل بها اليونان إلا منذ وقت قريب.

والمصريون هم أولئك الذين يعيشون فى الأراضى الزراعية، المعتمدة على الرى، يهتمون دون سائر الناس، اهتماما كبيرا بتمرين الذاكرة، وهم فى العلم يتفوقون كثيرًا على كل الشعوب التى خبرتها، وهذه هى طريقة الحياة التى يتبعونها.

ويقال: أن مصر كانت تحت حكم أمازيس(أحد ملوك الأسرة السادسة والعشرين) على درجة عظيمة جدًا، وذلك لما جاء به النيل من طمى، وما جاءت به الأرض على الناس من خير، وكان بمصر على الجملة فى ذلك العهد ألف مدينة آهلة بالسكان، كما كان أمازيس واسع القانون الذى يفرض على كل مصرى أن يبين سنويا مورد عيشه لحاكم الولاية، ومن لا يفعل ذلك ولم يثبت أنه يعيش عيشة مشروعة كان عقابه الموت، ولقد نقل (صولون، الأثينى هذا القانون عن المصريين ووضعه لأهل أثينا، وهؤلاء يطبقونه إلى الأبد.

وكان (أمازيس) محبا لليونان وشعبها، وعبر لهم عن عاطفته تلك بأنه وهب الذين جاءوا منهم إلى مصر مدينة نوقراطيس (بمحافظة البحيرة حاليا) ليسكنوها. (انتهى هيرودوت)

* سعى الإسكندر لمزج الحضارات الإغريقية بالحضارات الشرقية: كان استيلاء الإسكندر على سوريا ومصر والعراق وغيرها من بلاد الشرق القديم أكثر من مجرد سيطرة حربية وتوسع عسكرى، إذ أن هذه الأقاليم كانت صاحبة حضارات عريقة نمت وازدهرت على مر العصور وأفاد منها الإغريق هذا بالإضافة إلى أن الإسكندر نفسه أظهر إعجابه بها، واحترامه لها، وبدا ذلك واضحا فى مصر على وجه الخصوص.

وقد فكر الإسكندر فى تكوين حضارة جديدة تجمع بين مزايا الحضارات الشرقية العريقة والحضارات الإغريقية الناشئة، ولتحقيق ذلك عمل على فتح أبواب الشرق على مصراعيها أمام الإغريق للإقامة بها، كما أقام بعض المدن الجديدة كالإسكندرية فى مصر وغيرها لتصبح مراكز لنمو تلك الحضارة الجديدة، ولتعمل على نشرها فى كل مكان وقد سميت تلك الحضارة الجديدة باسم (الحضارة الهلينستية).

وقد ازدهرت الحضارة الهلينستية فى مصر إذ وجدت فيها تربة خصبة للنمو

على نحو لم تشهده فى بلاد الإغريق نفسها، وذلك لأنها أفادت من حضارات بلادنا العريقة، كما وجدت فيها أنظمة راسخة، وثروة بشرية ومادية عظيمة، فضلا عن موقعها الفريد بين مدن العالم المتمدين فى ذلك الوقت، فكانت بلادنا بمثابة المصنع الذى صنعت فيه الحضارة الجديدة وأصبحت مدينة الإسكندرية النموذج الأمثل لها، ومنها شعت تلك الحضارة على باقى أجزاء العالم، وفيها احتفظ أجدادنا بعناصرها مئات السنين.

ولكن لم يعش الإسكندر طويلا لتحقق آماله فى بناء تلك الحضارة وترك لخلفائه فى مصر تحقيق ذلك الأمل.

* دولة البطالمة:

قسمت إمبراطورية الإسكندر بعد وفاته أثر إصابته بالحمى بمدينة بابل بين قواده الإغريق، فكانت مصر من نصيب القائد بطليموس وسورية والعراق من نصيب القائد سليوقس، أما مقدونيا فكانت من نصيب القائد انتيجوس، وقد نجح بطليموس وسليوقس فى تأسيس دولتين مستقلتين هما دولة البطالمة فى مصر الدولة السليوقية فى سورية، حكمتها سلالاتهما من بعدهما قرابة ثلاثة قرون، وقد اتخذت دولة البطالمة مدينة الإسكندرية عاصمة ومقرًا لحكمهم، واتخذت الدولة السليوقية مدينة أنطاكية فى شمال سورية عاصمة لها.

قامت الحروب بين الدولتين لمحاولة كل منهما السيطرة على الدولة الأخرى، وقد أضعفت تلك الحروب كلا البلدين مما ساعد دولة الرومان الناشئة فى القضاء على الدولة السليوقية أولا ثم القضاء بعد ذلك على دولة البطالمة والاستيلاء على مصر عام ٣٢. ق.م فى نهاية حكم الملكة كليوبترا السابعة آخر حكام البطالمة.

وقد نجح البطالمة فى نشر الحضارة الإغريقية ومزجها بحضارة مصر القديمة، وضموا بلاد النوبة وليبيا وفلسطين إلى مصر، ووضعوا سيطرتهم على كثير من جزر البحر الأبيض المتوسط الشرقى وقد تأثرت اللغة المصرية القديمة باللغة اليونانية الإغريقية وزيوع ألفاظ متبادلة بين اللغتين.

وقد عثر أحد رجال الحملة الفرنسية على مصر فى أواخر القرن الثامن عشر على حجر دون عليه نص من عهد البطالمة بثلاث خطوط الخط الهيروغليفى، والخط اليونانى، والخط الديموطيفى، وقد ساعد هذا الحجر المعروف باسم (حجر

رشيد)، المعروض حاليا بالمتحف البريطانى على حل رموز الكتابة الهيروغليفية.

وقد احترم البطالمة عادات المصريين ومعبوداتهم، وبلغ من تأثر الإغريق فى ذلك العصر بالديانة المصرية أن أصبحت عقيدة الإله (إيزيس) عبادة شائعة فى بلاد الإغريق نفسها، كما مزجوا الديانة المصرية القديمة بالديانة الإغريقية من خلال معبود جديد أسموه سرابيس أقاموا له معبد السرابيوم فى مدينة الإسكندرية.

وتعد معابد جزيرة فيلة أشهر المبانى الدينية التى ترجع إلى عهد البطالمة، ولقد احتلت عبادة إيزيس مكان الصدارة هناك ومن حولها طائفة من المعبودات المصرية القديمة، وقد ظل تقديس إيزيس قائما إلى وقت غير قصير فى تلك البقعة بعد دخول المسيحية إلى مصر كما تميزت معابد فيلة بجمال الطبيعة حولها.

وقد اشتهرت الإسكندرية بالحركة الثقافية والعلمية بدار البحث العلمى التى قام بإنشائها بطليموس الأول ٢٩٠ ق.م. ودعوا إليها أعظم العلماء والأدباء والفلاسفة والفنانين الإغريق وغيرهم،وكانت دراسة الطب من أهم الدراسات بتلك الدار لم يبلغ فرع من فروع العلم ما بلغه الطب من تقدم وكان يكفى أن يذكر الطبيب أنه درس الطب فى الإسكندرية ليكون موضع الثقة والتقدير، وشجع البطالمة الترجمة من اللغات الأخرى، وترجمة (التوراة) العهد القديم من اللغة العبرية إلى اللغة الإغريقية بمعرفة لجنة من سبعين عالما فى عهد بطليموس الثانى:

ومن أشهر تلك الدار أقليدس العالم الرياض الذى ألف كتاب (الأصول الهندسية)،وأرشميدس عالم الطبيعة وبطليموس الجغرافى الذى رسم خريطة للعالم،وإيراتستيس الفلكى والجغرافى الذى قدر محيط الكرة الأرضية تقديراً يقرب جدًا من التقدير الحقيقى. والمؤرخ المصرى مانيتون وكان كاهنا من سمنود ومن أصحاب الثقافات الممتازة، وكلفه بطليموس الثانى ٢٧٠ ق.م. بوضع كتاب عن تاريخ مصر الفرعونية باللغة الإغريقية التى كان ملما بها، فقام بتقسيم تاريخ مصر الفرعونية إلى ثلاثين أسرة لا يزال يؤخذ به حتى اليوم.

* مكتبة الإسكندرية:

إذا كان بطليموس الأول هو أول من أنشأ دار البحث العلمى، فيرجح أنه هو أيضا الذى وضع نواة المكتبة الكبرى بجوار دار الحكمة لييسر للعلماء والباحثين، الاطلاع بمهمتهم، وجمع البطالمة فى تلك المكتبة كل ما وصلت إليه أيديهم من

مؤلفات الأمم القديمة بل فرض على البطالمة كل باحث أو دارس بالإسكندرية أن يزودها بنسخة من كل ما ألف أو كتب أو نسخ من مؤلفات.

وقد بقيت مكتبة الإسكندرية تؤدى مهمتها على أكمل وجه حتى أواخر العصر البطلمى حين أحرق يوليوس قيصر أسطول مصر بالقرب من الإسكندرية سنة ٤٧ . ق.م.

فامتدت أسنة اللهب إلى المكتبة وأحرقتها مما دعى القائد أنطنيوس إلى تقديم التعويض اللازم بعد بضع سنوات إلى كيلوباترا باترل بإهدائها . . .و٢٠٠ مجلد من مكتبة برجامون بآسيا الصغرى.

وقد أدت الحروب المستمرة بين البطالمة فى مصر والسلوقيين فى سوريا إلى ضعف الدولتين مما أدى لإتاحة الفرصة أمام الرومانيين (روما) للتدخل فى شئون مصر، وأصبحت مصر ولاية رومانية فى سنة ٣٢ ق.م.

* الرومان يأخذون التقويم المصرى بدلا من التقويم الرومانى:

وقد عنى المؤرخ الرومانى بلوتارخ (٥٠ ـ ١٢٠م) بالكتابة عن العقائد المصرية القديمة، وهو من أصدق المؤرخين القدماء وأكثرهم أمانة فى النقل وقد خلد أسطورة (ريزيس وأوزوريس) المصرية.

ومما هو جدير بالذكر أن الدولة الرومانية قد أخذت تقويمها عن المصريين فالغى يوليوس قيصر سنة ٤٦ ق.م استعمال التقويم الرومانى القديم مستبدلا التقويم المصرى الذى يعتمد على السنة الشمسية التى تتكون من $\frac{١}{٤}$ ٣٦٥ يوم وقد استعان يوليوس قيصر فى هذا الشأن بأحد الفلكيين المقيمين بالإسكندرية فى إدخال نظام السنة الكبيسة التى تحوى ٣٦٦ يومًا كل أربعة سنوات وهذا هو التقويم الذى يسير عليه العالم فى وقتنا الحاضر، وسمى شهر يوليو باسم يوليوس قيصر، وشهر أغسطس باسم الامبراطور أغسطس.

من المصادر: تاريخ مصر فى عهد البطالمة / إبراهيم نصحى

التاريخ الرومانى/ د. عبد اللطيف أحمد على

* انتصار الرومان على الوثنية:

أخذ الرومان عن الإغريق الكثير من معتقداتهم الدينية، كما تعددت

معبوداتهم التى كان على رأسها المعبود جوبتر رب السماء وكبير الآلهة، وقد انتقلت عبادة بعض المعبودات المصرية القديمة فإيزيس وسرابيس (معبود مصرى إغريقى) إلى روما وبعض أجزاء الدولة الرومانية.

وقد وقع حدث جليل فى بيت لحم بفلسطين وهو مولد السيد المسيح بعد أقل من ثلاثين سنة من إعلان أغسطس إمبراطورًا للدولة الرومانية، وفى السنة الأولى من التقويم الإفرنجى (الذى يبدأ بيوم ميلاد السيد المسيح)حيث بدأ المسيح يدعو إلى التسامح والتواضع والمحبة والإخاء، ويحض على نبذ عبادة الأصنام وعلى عبادة وطاعة رب السموات والأرض، ويبشر بدين جديد هو الدين المسيحى.

صادفت هذه الدعوة قبولاً وانتشارًا بين الناس خاصة ما أبداه المسيح من معجزات وذاع صيته، وانتشرت دعوته فى فلسطين وخارجها على يد رسل آمنوا وأخلصوا للعقيدة الجديدة فقد تنقل القديس بطرس بين ربوع أوربا حتى وصل روما داعيا للمسيحين، كما أخذ القديس مرقص فى نشرها فى مصر.

وقد لاقى معتنقوا الدين الجديد الاضطهاد الرهيب من أباطرة الرومان.

وقد استمر اضطهاد المسيحيين قرنين من الزمان تعرضوا خلالها للذبح والإحراق أحياء وللإلقاء بهم إلى الوحوش حتى اعترف الامبراطور قسطنطين (٣٢٤ ـ ٣٣٧م) بالمسيحية وأصبحت دينا رسميا للدولة فى عهد الامبراطور ثيود وسيوس (٣٧٩ ـ ٣٩٥م) وحرم الوثنية تحريما قاطعا فى كافة أنحاء الامبراطورية.

ثم خضعت مصر والبلاد العربية للدولةالبيزنطية الشرقية منذ عام ٣٩٥ ـ ٦٤١م. حيت فتحها المسلمون وسائر البلاد العربية.

* فضل مصر على حضارة العالم[1]:

عرفنا من هذه الدراسة الموجزة ما كان لمصر وسائر الوطن العربى من بناة الحضارة ورواد الثقافة، وكيف أنهم اخترعوا الكتابة، ووضعوا تقاليد للعبادة وأرسوا أساسًا للتعامل الإنسانى، ومبادئ الأخلاق الكريمة، وكيف أن المصريين ومن جاورهم من الإغريق والبابليين قد فرضوا شخصيتهم على المجتمع الدولى منذ كان التاريخ طفلا.

---

(١) (كتاب الأسرة القديمة فى العراق) د. أحمد أمين سليم
مصادر: الحضارة من أين: بيروت ١٩٨٥ ـ المدن الفينيقية د. محمد أبو المحاسن عصفور بيروت ١٩٨١
الإغريق: تاريخهم وحضارتهم د. سيد أحمد الناصرى.

وكيف أن الإغريق (اليونانيون القدماء) قد أخذوا عن المصريين حضارتهم حتى نمت وازدهرت، ثم كيف أنهم نقلوا حضارتهم الجديدة إلى مصر فازدادت نمواً وازدهاراً وأصبحت مصر مركز إشعاع لحضارة جديدة جمعت بين حضارة مصر القديمة وحضارة الإغريق الفتية.

كما ساعدت تلك الحضارات جميعا على بناء الرومان للحضارة الرومانية التى أخذ الأوربيون الكثير عنها عند رسائلهم أسس الحضارة الأوروبية الحديثة وهى الحضارة التى تسود العالم الآن.

ورأينا كيف أن قدماء المصريين والبابليين والفينيقيين منذ قديم الزمان، متمسكين بالعقيدة الدينية والحياة الأخروية.

ولكن هل هذه الحضارة وليدة العقل فقط أم هى من نتاج الوحى الإلهى والتوحيد الخالص، أم هى منهما معًا؟

هذا ما سنحاول الإجابة عليه فى هذه السطور من القرآن الكريم:

١ ـ يقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ . أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٢، ١٧٣].

يقول ابن كثير فى قصص الأنبياء وفى تفسيره لهذه الآيات أن الله قد مسح على ظهر آدم يوم عرفة، وكان يوم جمعة وأخرج من ظهره ذريته فى عالم الذر وأشهدهم على أنفسهم، وأخذ عليهم العهد والميثاق بأنه خالقهم وأنه رب السموات، وأعاد هذا الذر إلى صلب آدم عليه السلام، وذلك قول رسول الله ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يمجسانه أو يهودانه أو ينصرانه**»، ففطره الله التى فطرة الناس عليها هى ما غرسها فيهم بهذا العهد والميثاق فى عالم الذر وقبل أن يخرجوا من أرحام أمهاتهم إلى هذه الحياة الدنيا.

٢ ـ وكان الحق تبارك وتعالى قد خلق آدم بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له

ملائكته وعلمه الأسماء كلها، حيث يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ . وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ . قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقر: ٣٠-٣٣].

* وهكذا نرى أن مصدر العلم هو الله تعالى علمه لآدم عليه السلام وعلمه لابنه شيث عليه السلام بما أنزله عليه من صحائف، وعلمه الله تعالى لسائر الأنبياء والرسل حتى نبينا محمد ﷺ، فهم قناديل الهدى، وهم مصابيح الهداية، وبهذا يتضح لنا أن الوحى الإلهى، أسبق بكثير من عمل العقل وأسبق بكثير من التفكير العلمى، حيث واكب الوحى وجود الإنسان على سطح هذه الأرض.

يقول النبى ﷺ: «**مثل ما بعثنى الله تعالى به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا، فكان منها طائفة طيبة، قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها طائفة أجادبُ، أمسكت الماء، فسقى الناس وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هى قيعان، لا تمسك ماءً، ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه دين الله تعالى، ونفعه بما بعثنى الله به، فعلم وعلم، ومثلُ من لَم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به**».

رواه البخارى فى باب فضل من علم وعلم - ورواه مسلم فى الفضائل.

وإذا ذكرت لنا قصص الأنبياء، وكتب التفاسير، أن أدم عليه السلام قد هبط على هذه الأرض بأرض الهند، وهبطت حواء بجدة على ساحل البحر الأحمر بالجزيرة العربية، وتقابلا بصعيد عرفات، وأخذ الله العهد والميثاق على ذريته كما سبق أن وضحنا، وأنه أول من بنى البيت الحرام بمكة وحج هذا البيت مراراً، ثم قام على أمر هذا البيت العتيق ولده شيث (هبة الله)، ويقال أنه نزل إلى مكان بيت المقدس فبنى أيضا المسجد الأقصى.

علمنا أن الحضارة خرجت أولا فى البداية من جزيرة العرب وأن أول اتصال بين السماء والأرض عن طريق الوحى تم فى رحاب البيت العتيق بمكة المكرمة. فمكة أم القرى وأصلها، منها انتشرت البشرية، ومنها خرج نور الهداية ونور العلم، وأضاءت للبشرية طريق التوحيد، يقول الله تعالى: ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ [الحجرات: ١٣].

وقد نقل هذه العقيدة على أرجح الأقوال إدريس عليه السلام إلى أرض مصر القديمة حيث هناك الكثير من الأقوال تؤكد أن التوحيد قد جاء إلى مصر منذ فجر التاريخ، وإدريس عليه السلام هو جد أبى نوح عليه السلام، وترجح هذه الأقوال أنه بعد وفاته، عظم الناس قبره وعبدوه وأقاموا له الهياكل والمعابد، وسمى الإله أوزوريس، وجعلو له زوجة هى إيزيس.

وإذا ذكرت لنا كتب التاريخ والتفاسير بأن إدريس عليه السلام، قد رفعه الله إلى السماء ﴿**ورفعناه مكانا عليه**﴾، وهو فى السماء الرابعة كما جاء فى حديث الإسراء، كما رفع المسيح عليه السلام كان لابد أن تحكى عنه الأساطير والخرافات حتى يعبده الناس، وكان إدريس عليه السلام أول من خط بقلم ونظر فى النجوم، كما فعل بعض المسيحيين مع المسيح عليه السلام.

علمنا بوضوح من أين جاءت الحضارة المصرية مع فجر التاريخ، إنها من مشكاة النبوة، من مشكاة التوحيد.

﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [النور: ٣٥]

وعلى هذا فالنور نور الله تعالى، والعلم علم الله، والدين دين الله، والتقدم باتباع المنهج فى استعمار الأرض، فى دائرة الشرع، وهكذا أخذ المصريون الأوائل بذور النور وأصل الحضارة، ومشكاة التوحيد، ثم غفلوا وانحرفوا، واستخدموا

العقل وبدلوا وابتدعوا وأحدثوا فى دينهم حتى أشركوا مع الله تعالى الأنبياء الذين أرسلوا إليهم وأولهم إدريس عليه السلام حيث أقاموا له التماثيل والهياكل والمعابد، ثم انتشرت عبادة الأصنام والطواغيت كما حدث فى عهد نوح عليه السلام، حيث أقاموا صوراً لخمسة من الصالحين هم ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، ثم أقاموا تماثيل لها وعبدوها، وكذلك أهل بابل بالعراق على زمن إبراهيم عليه السلام.

وما حدث في كل مكان وزمان، يبدأ الانحراف بعبادة النبى المرسل أو الصالحين من الناس ثم إقامة التماثيل لهم أو محاولة تشبيه الخالق جل وعلا بصور وتماثيل يتخلونها ويتصورونها ثم يشركونها مع الله تعالى.

فهذا ما حدث للمصريين القدماء، أخذوا علمهم وحضارتهم وحكمتهم من مشكاة النبوة، ثم ضلوا الطريق، بترك تعاليم الوحى والسماء كلية واتباع الهوى، وإن تمكنوا من التقدم الحضارى فى شئون الدنيا.

وعلى ذلك فإن الحضارة بدأت فى مصر كما سبق أن وضحنا ولكن أساس هذه الحضارة هى الوحى أولا وأخيراً، ثم استخدام العقل.

وكذلك حضارة بين النهرين التى تحدثنا عنها، إنما بدأت من مشكاة النبوة فى الأصل، حيث هبط نوح عليه السلام وأبناؤه على الجودى فى شمال العراق، وقد ذكرت صحيفة (صنداى تايمز) البريطانية أن العلماء قد عثروا على سفينة نوح عليه السلام بالقرب من جبل أرارات على حدود تركيا وإيران.. وقالت أن طول السفينة يصل إلى ٣٠٠ ذراعاً وعرضها ٥٠ ذراعاً.

فنزل أبناؤه ومن كان معه فى بلاد ما بين النهرين وما حولها، ونشروا تعاليم السماء مرة أخرى، ونزل من أبنائه سام بن نوح عليه السلام إلى الجزيرة العربية مرة أخرى، وأقام من أبنائة حضارات عاد ﴿إرم ذات العماد﴾ ثم ثمود.

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ . إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ . الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ . وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ . وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ . الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ .فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ . فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ .إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾

وقد سبق ذكر تفسير الشيخ محمد عبده لهذه الآيات الكريمات، حيث أهل بابل بعد ذلك فأرسل الله إليهم إبراهيم عليه السلام، ثم خرج إلى أهل الشام الذين ارتدوا إلى عبادة الكواكب والنجوم وغيرها، ثم رحل إلى مصر التى ارتد أهلها عن عقيدة التوحيد الأولى فى عهد إدريس عليه السلام، وكان ذلك فى أواخر القرن التاسع عشر. ق.م، فى زمن ملوك الرعاة الهكسوس الذين تحدثنا عنهم بالتفصيل قبل ذلك، عاد إبراهيم إلى فلسطين وانقسمت ذريته إلى شعبتين: شعبة إسماعيل عليه السلام حيث نشأ فى رحاب البيت الحرام بمكة وتعلم العربية من قبيلة جرهم وتعلم ركوب الخيل، وبنى مع والده لبيت الحرام بمكة بعد أن تهدم وتصدع - وشعبة أخرى من إسحاق وابنه يعقوب عليه السلام وهم بنو إسرائيل الذين أقاموا فى بادية الشام،ثم رحلوا إلى مصر فى عهد الرعاة الهكسوس فى القرن السابع عشر قبل الميلاد كما أوضحنا سابقا، وشارك يوسف عليه السلام فى إحياء الحضارة المصرية ودين التوحيد مرة أخرى،وظل بنو إسرائيل ويتكاثروا حتى جاء الفراعنة مرة أخرى من الجنوب وأخرجوا ملوك الرعاة من الوجه البحرى بمصر، وظل بنو إسرائيل بها إلى عام ١٣٥٠ ق.م وخرجوا مع موسى عليه السلام وقد تشربوا من الحضارة المصرية القديمة وأثروا فيها وتأثروا بها.

ومع بداية الألف الأخيرة قبل الميلاد فى عام ٩٩٦ ق.م، فتح طالوت بيت المقدس، وقتل داؤود جالوت (ملك الكنعانيين).

وأصبحت أرض كنعان، مركزا لحضارة الفينيقيين التى توسطت المماليك القديمة بين مصر والعراق، وكان الإغريق كما سبق الذكر قد بدأوا فى الاتصال بالشرق وعقائده وحضاراته ويقال أنه قد جلس إلى داود،وسليمان عليهما السلام عدد كبير من مفكرى وفلاسفة اليونان القديم وعلى ذلك فقد أخذ اليونان وفلاسفته من مشكاة النبوة مرة أخرى بالإضافة إلى ما تجمع فى أرض الفينيقيين على السواحل الغربية لسوريا وفلسطين من معارف مصرية وعراقية وغيرها، فنقلوا كل ذلك وتعلموا الأبجدية الفينيقية التى أخذت من الهيروغليفية المصرية وكما ذكر الدكتور مصطفى محمود فيما سبق ذكره أنها أخذت من الآرامية وهى العربية

القديمة، فإذا ما ذكرت كتب التفاسير والتاريخ الإسلامى أن آدم عليه السلام كانت لغته العربية، وأن الله تعالى قال: ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾ علمنا أن ألسنة المصريين والبابليين والأشوريين والفرس والفينيقيين كلهم كانت لغاتهم لغة واحدة، وألفيتهم ألفية واحدة، وقد نقل اليونانيون هذه الألفية وكذلك طرق الكتابة ونهلوا من حضارة الشرق التى هى فى الأصل من مشكاة الوحى والنبوات التى هبط على هذه المناطق، وعلمنا أيضا أن السبب فى أن كلام الفلاسفة وكلام علماء الطبيعيات إنما هو على درجة من القرب أو من البعد أو التأثر بطريقة ما، بما جاء فى الكتب المقدسة على أيدى الأنبياء والرسل.

وصدق المصطفى ﷺ: «**إن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار**».

*الأصولية والعلمانية:

إذا علمنا أن جذور الحضارات الأولى كانت فى مصر وسومر (بالعراق) ثم فينيقيا، ثم عبرت منها إلى اليونان، ثم أعادها اليونانيون فى عام ٣٣٢ق.م على يد الإسكندر الأكبر المقدونى إلى مصر وسوريا والعراق مرة أخرى، وانصهرت هذه الحضارات كلها فى ما سمى بالحضارة الهيلينسية، وفى الإسكندرية فى أيام البطالمة كما سبق ذكره، ثم الرومان الذين اعتنقوا المسيحية ونشروها فى الأمم التى حكموها، مشوهة مخلوطة بكثير من العقائد السائدة، ثم بزغ نور الإسلام بمكة ببعثه النبى الخاتم محمد ﷺ وعادت الحضارة إلى المكان الذى بزغت منه منذ عهد آدم عليه السلام وبزغ النور من مكة والمدينة المنورة، وخرج العرب من جزيرتهم مرة ثانية بعد أن انتشرت البشرية فى عصورها الأولى منها وأصبحت دمشق وبغداد والقاهرة، عواصم جديدة تجمع بين نور الهدى والحضارة المادية فى جميع مناحى الحياة ثم عبر بحضارة الإسلام التى انصهرت وتجمعت فى بغداد فى عصر الرشيد والمأمون من الدولة العباسية (١٣٢هـ/ ٦٥٦هـ) حيث أنشأ الرشيد دار الحكمة، وأصبحت بغداد عاصمة الخلافة، وقلعة العلم والحضارة فى الشرق، وكما عبرت

الحضارة القديمة إلى شبه جزيرة البلقان عن طريق جزر اليونان من الشام القديم، عبر العرب هذه المرة من مضيق جبل طارق المدخل الغربى للبحر المتوسط إلى أراضى الفندال (أسبانيا) ونقلوا معهم حضارتهم الجديدة، وأسسوا المساجد والجامعات، ونهل الغرب مرة أخرى من مشكاة النبوة نبوة محمدﷺ بعد صهر العلوم الحديثة، فى بوتقة الإسلام، وكان الغرب المسيحى، قد ترهلت فيه المسيحية وانفصلت عن الحياة العامة للناس، وتسلط عليها الكهنة والمضللين كما سيطر الكهنة فى مصر القديمة، وفصلوا بين تعاليم السماء والحياة العامة وتميزت مجموعة من الكهنة الذين تحجروا على نصوص الدين، واعتقدوا خطأ بأن الدين لا يدعو إلى العلم والتقدم والازدهار فى مناحى الحياة، وحرموا كل شيء بغير علم، كما تميز فى نفس الوقت مجموعة أخرى على النقيض من المجموعة الأولى تدعو إلى قصر تعاليم الدين على العبادات، وفصلها عن الحياة العامة والعلمية والفكرية والسياسية وغيرها، فنشأ بين المجموعتين حرب شعواء انتهت إلى أن هناك من يطلق عليهم اسم الأصوليين وهم أهل الكنيسة ورجال الدين، وأطلق على المجموعة الثانية اسم العلمانيين نسبة إلى العالم بفتح العين، أو الدنيوية، الذين يهتمون بأمور الدنيا، وكأن تعاليم الدين، قد نهت عن الاستمتاع بالدنيا واستعمار ما سخر الله للإنسان فى هذه الحياة فى إطار ما شرع الله تعالى.

والغريب أن الغرب اليوم يريد أن يصدر لنا هذه الأفكار والمعتقدات وأن يخلق فى عالم المسلمين هاتين المجموعتين المتحاربتين المتوازيتين اللتين لا تلتقيان أبد الدهر، ولقد لقى الغرب للأسف الشديد آذانا تسمع وقلوبا تهوى، وأقلاما تتقاتل، ما لبثت أن تحولت هذه الأقلام إلى سيوف وقنابل ودروع ، ثم طائرات ودبابات وصواريخ وغيرها.

ويثيرون بيننا قضايا جدلية، عن القول المشهور: مال قيصر لقيصر، ومالله لله، أو بعبارة أخرى الوحى والنبوات والرسالات، قاصرة على العبادات فى الكنائس والمساجد وغيرها من دور العبادة، أما العقل والعلم والبحث العلمى والحياة الفكرية والسياسية والاقتصادية والسلوكية فهى من اختصاص العقل وما يفرزه من نظريات سواء وافقت شرع الدين أو اختلفت معه.

وقد اختلطت الأوراق، وعميت العيون عن التمييز بين الألوان، وصمت الآذان عن الاستماع إلى الحق.

وفى مقال للأستاذ فهمى هويدى بجريدة الأهرام ٢١/ ٦/ ١٩٩٤

بعنوان ـ انهيار العلمانية والتحدى الإسلامى للغرب

يقول: عقدت ندوة بهذا العنوان، دعا إليها مركز أبحاث الديمقراطية بجامعة «وستمنستر» بالتعاون مع منظمة ليبرتى المختصة بشئون الحريات فى العالم الإسلامى. بلندن.

انصبت حواراتها حول مراجعة، ونقد المشروع العلمانى على المستويين الفلسفى والتطبيقى، ثم موقف الإسلام من الفكرة العلمانية.

الفكرة فى حد ذاتها مثيرة إلا أنها أظهرت أنه فى حين يتعامل البعض فى عالمنا العربى مع العلمانية بحسبانها الحل الأمثل وطوق النجاة، والمفتاح السحرى للدخول إلى آفاق التقدم وعصر النهضة، إذا بالبعض الآخر فى بلاد العلمانية ذاتها يعيدون النظر فى المسألة برمتها، ولا يتعاملون مع قضية العلمانية بذات اليقين المتشنج الذى يعبر عنه ذلك النفر من المثقفين فى أقطارنا العربية، وهذا البعض من الغربيين ليسوا من أعوام الناس ولا أنصاف المثقفين، ولكنهم أهل اختصاص ونظر، ومنهم قمم عالية فى عالم الفكر، وجميعهم مسلحون بقدر معتبر من الشجاعة الموضوعية.

عندما تلقيت الدعوة إلى الندوة وجدت معها تقديما يشرح فكرة اللقاء على النحو التالى: لأزمنة طويلة، استقر فى الإدراك العام أن العلمانية بما أدت إليه من تقليص هيمنة العقيدة على السياسة والمجتمع، قد حققت إنجازات عظيمة، فى أوروبا الحديثة، ذلك أن الفصل بين الدين والدولة، والاحتكام إلى سيادة القانون كان من شأنه تعزيز سلطة الدولة من ناحية وإشاعة التسامح بين أصحاب العقائد المختلفة وقيام المجتمع المدنى المستقل، وتحقيق حرية الأفراد بعيدا عن سلطان الدين ومؤسساته ، ومن ناحية ثانية هذه التجليات العلمانية، مكنت أوروبا أن تعيش فى أجواء صحية أقل تعصبًا وأكثر رشداً.

وهذه الندوة تستهدف إعادة التفكير فيما اعتبر منجزات للعلمانية فى المجتمعات الحديثة، فى المتغيرات والتحديات التى استجدت، وبرزت فى العالم الغربى بوجه خاص، خصوصا أن لدى بعض الباحثين الأوربيين والأمريكيين المعاصرين شكوكا متنامية حول جدوى وكفاية العلمانية كما صاغها علماء الاجتماع دور كهايم وفيبر.

فضلا عن ذلك فإن العالم الغربى يشهد الآن حالة من إحياء السياسات (الروحية) التى ساد الظن بأن علمنة المجتمعات قد تجاوزتها، وانتقلت بتلك المجتمعات إلى طور جديد مغاير تماما لما سبقه، يبدو ذلك الإحياء واضحا فى الجدل المحموم الدائر الآن حول «الإجهاض»، والمعارضة الشديدة له لأسباب دينية، ويبدو أيضا فى المطالبات الراهنة بتعليم الدين فى المدارس الغربية، وفى الدور المتزايد للكنيسة ورموزها فى الحياة العامة، وفضلا عن ذلك فإن شيوع الظاهرة الإسلامية فى العالم العربى والإسلامى يشكل تحديا كبيرا للعلمانية، وتهديداً لمسيرتها هناك على مدى قرن من الزمان.

إن الندوة يهمها أن تطلع عن كثب على اعتراضات المفكرين المسلمين على العلمانية، وتحليلهم لأسباب فشلها فى العالم العربى، وعلاقة ذلك بكونها نموذجا غربيا مسيحيا، خصوصا أن هناك من يعتقد بأن المسيحية هى المسئولة عن ميلاد العلمانية، وانتشارها فى أوروبا.

ومسئوليتها تلك تنهض على حقيقة الفصل فى الكتاب المقدس بين مال الله ومال قيصر، الأمر الذى بعد بين الدينى والدنيوى، وهيأ الفرصة لظهور المشروع الدنيوى المتمثل فى العلمانية.

وعند المسلمين لا مكان لذلك الحاجز بين الدينى والدنيوى المتمثل فى العلمانية، الأمر الذى جعل الإسلام يشجع على حرية البحث والتفكير والتنمية الاجتماعية. ولكى تحقق الندوة أهدافها لابد للإجابة عن هذه الأسئلة:

١ ـ ما هى حقيقة التحدى الإسلامى للعلمانية؟

٢ ـ هل يمكن أن يحقق التحدى الإسلامى انتصاره على العلمانية؟

٣ ـ ما هى دلالة تنامى ظاهرة السياسات الروحية فى العالم العربى؟

٤ ـ هل نحن بصدد الدخول فى طور يمكن أن نطلق عليه مرحلة ما بعد العلمانية!؟

وجدت الأمر جديرًا بالاهتمام والمشاركة، أولا: لمحاولة الوقوف على تعريف أوضح لفكرة العلمانية التى أصبحت بالغة الغموض والاتساع، مباشرة من أفواه رموزها ومبشريها، بدلا من مقلديها ومشجعيها.

ثانيا: الاستماع إلى رؤية المفكرين الغربيين لما انتهت إليه العلمانية فى الوقت الراهن.

ثالثا: لأن الحوار العلمى والجاد حول الموضوع أصبح متعذرا فى الخطاب العربى الراهن، بعد ما تحولت العلمانية لدى بعض المتعصبين إلى «دين» تتسم أركانه وتعاليمه بالقداسة، وأى نموذج لا يقبل النقد.

رابعا: لأنه كان شاغلى، ولا يزال هو البحث عن أرضية مشتركة للفهم والتفاهم، يمكن من خلالها صياغة علاقة إيجابية للتعامل مع العناصر المخلصة الواعية فى الطرف العلمانى، وقد قدرت أن مثل هذه الندوة، قد تتيح تلك الفرصة.

لقد كنت،ومازلت أحد الذين مارسوا النقد منذ السبعينات للحالة الإسلامية، خصوصها شقها المتطرف، وهو ما أثبته فى كتب أربعة على الأقل، هى: «القرآن والسلطان»، «التدوين المنقوص»،«أزمة الوعى الدينى»، «حتى لا تكون فتنة»، غير أننى عندما تحدثت عن معتدلين ومتطرفين بين العلمانيين، ثارت ثائرة البعض، وأعربوا عن احتجاجهم على مجرد الإشارة إلى ثمة تطرفا بين العلمانيين، معتبرين أنها «ملة» متطهرة من كل شائبة ومنزهة عن كل غلط وذهب أحدهم إلى حد اعتبار أن الجمود والشر كامنان فى الثقافة الإسلامية، بينما الخير كل الخير، موروث فى الثقافة العلمانية التى تتسم بالتسامح فضلا عن اللطافة والظرافة، بينما خرج علينا من كتب أن العلمانية فريضة العلم والحرية،وأن بها بدأت عصور النور والإنسانية والكشوف العلمية..

كنت أعلم أن اثنتين من كبار المتخصصين الأمريكيين فى شئون الإسلام والشرق الأوسط، وهما يعملان بأهم مركزين للدراسات فى واشنطن: هما جون اسبوزيتو وجون فول. .ما برحا يتحدثان فى أبحاثهما الأخيرة عن مرحلة ما بعد العلمانية، حيث اعتبرا أن التطورات الراهنة فى العالم قد تجاوزت تلك المرحلة.

جون اسبوزيتو - هو صاحب كتاب «الوهم والحقيقة فى الخطر الإسلامى»، الذى خلص فيه إلى نفى مقولة الخطر واعتباره وهما.

كنت أعلم أيضا أن اثنين من أساتذة جامعة «هافارد» هما رودنى ستارك وبين بريدج، أصدرا كتابا فى منتصف الثمانيات بعنوان «مستقبل العقيدة» قالا فيه: أن العلمانية لن تكون بديلا عن الدين، وقد اعتبر كتابهما ذلك إرهاصات عملية المراجعة الراهنة.

ولكن مسار الرؤية الأوروبية للمسألة لم تكن واضحة بالنسبة لى، وبتعبير أدق، فإن ما كان واضحا بصورة نسبية هو الشق التاريخى الذى تبدو فيه نسمات العلمانية الفرنسية (الكاثوليكية)، مختلفة إلى حد ما عن العلمانية الإنجليزية والألمانية (البروتستانتية)، حيث الأولى محملة بتراث الثورة الفرنسية المعادى للدين، والذى يرى التنوير من هذه الزاوية، وهو موقف كثرة من المتأثرين بالثقافة الفرنسية فى العالم العربى، وذلك العداء من جانب الثورة الفرنسية للدين بمثابة رد فعل معاكس لمدى الهيمنة والجبروت الذى مارسته الكنيسة فى المجتمع الفرنسى القديم، حين تحالفت مع النبلاء، وأيدت امتيازاتهم التى أثارت غضب الجماهير ونقمتها.

بالمقابل فإن العلمانية الإنجليزية والألمانية (البروتستانتية) تتسم بموقف أقل حدة من الدين، حيث الملكة هى رئيسة الكنيسة فى انجلترا، ,والكرادلة يشاركون فى مجلس اللوردات، أما فى ألمانيا فحضور الأحزاب المسيحية شاهد على مانقول.

خارج هذا الإطار، فقد كان الظاهر أن شأن العلمانية قد حسم واستقر، ولم يعد موضوعا للتساؤل والمراجعة، حتى أن الموسوعة البريطانية خلت من أى مدخل للعلمانية، حيث جرت العادة أن يعرف المصطلح ثم يحال قارئه إلى نص المدخل إذا أراد أن يطلع على التفاصيل، والخلفيات الفلسفية والتاريخية، ولكنه بدا أن

مصطلح العلمانية، قد استقر كمقولة نهائية فى الفكر الغربى، فلم يشأ معدو الموسوعة أن يضيفوا ذلك المدخل الذى يخدمه.

لذلك كانت الدعوة لحضور ندوة لندن مفاجأة بالنسبة لى، ومثير للفضول إلى حد كبير، فما بدا لنا أنه مستقر ومحسوم تبين أنه محل نقد ومراجعة، فضلا عن أن الذى تقاتل دونه الآن نفر من المثقفين العرب يفقد بريقه وجاذبيته تدريجيا فى موطنه، حتى يكاد أن يتحول إلى «صرعة» عبرت عن مرحلة تاريخية معينة، ولم تعد تناسب الطور الذى أعقبها.

حيثيات فتح الملف:

سألت من لقيت من المثقفين الغربيين المشاركين فى الندوة:

لماذا يعاد النظر فى ملف العلمانية الآن؟ تعددت الإجابات، التى كانت خلاصتها محصورة فى الأسباب والحيثيات التالية:ـ

أنه ثمة انطباعا ما مؤداه أن العلمانية لم تستجب لمتطلبات المجتمعات الغربية، ولا هى أشبعت أشواق ناسها، فعادوا يحتمون فى الدين مرة أخرى، بعد أن جرفتهم العلمانية بعيدا عنه، آية ذلك أن الأصولية المسيحية فى الولايات المتحدة الأمريكية تحقق تناميًا مستمرًا، وأن الخطاب السياسى الأمريكى اتسم بمسحة دينية فى السنوات الأخيرة، وأن ثمة مطالبات متعددة بتعليم الدين فى المدارس الحكومية، وفى أوروبا، فإنهم يعتبرون ما يجرى فى الولايات المتحدة نموذجًا لما تشهده بلدانهم فى المستقبل القريب باعتبار أن معدل التطور فى أمريكا أسرع منه بكثير فى أوروبا.

٢ ـ إن افرازات علمنة المجتمع أصبحت تؤرق الضمير الغربى، فحين عزل الدين عن الحياة، واعتبر شأنا أخرويا مقطوع الصلة بالواقع، عانت المجتمعات من تفسخات وأمراض أصبحت تهدد تماسكها واستقرارها، وأصبح التشرد والإيدز وإدمان المخدرات واللقطاء والتحلل الأخلاقى،من سمات المجتمعات الغربية المعاصرة، والأمر الذى دعا رئيس الوزراء البريطانى جون ميجور ـ مثلا ـ لأنه ينبه إلى ضرورة العودة إلى الأخلاق والقيم فى المجتمع الإنجليزى، وتعالت أصوات

أخرى عديدة تطالب بإحياء قيم الأسرة والتراحم والفضيلة.

٣ - إن التطورات الحاصلة فى الساحة الأوروبية على الصعيد السياسى تزعج قطاعا غير قليل من المثقفين، من ظهور مؤشرات النازية والفاشية، إلى عمليات الإبادة فى البوسنة التى باركها الساسة الأوربيون، مرورًا بالموقف الإنسانى للحكومات الغربية من قضية المهاجرين أو الوافدين الأجانب وانتهاء بمسلك الحكومة الفرنسية المستغرب من بعض الفتيات المسلمات المحجبات.

هذه المؤشرات السلبية، دلت على أن ثمة شيئا غلطا فى المجتمعات الغربية العلمانية الأوروبية يحتاج إلى مراجعة وتصويب.

وقد قال أحد الأكاديميين البريطانيين ممن يحتفظون بعلاقة حميمة مع الرئيس التشيكى فاتسلاف هافيل، إنه التقى مؤخرًا، واستعرض معه هذه الصورة، فسمعه يقول بصوت محزون؛ إن أوروبا فقدت روحها وهى على مشارف القرن الحادى والعشرين.

٤- إن تجربة الكهنة الكاثوليك فى أمريكا اللاتينية الذين خاضوا غمار النضال السياسى، وانطلاقا من اعتبار الإنجيل «بيانا للتحرر»، هذه التجربة اعتبرت تمردًا، بل انقلابًا على العلمنة تعددت أصداؤه فى اتجاهات عدة، لقد وظف هؤلاء العقيدة سلاحا للمقاومة، ومن ثم فقد انخرط بشدة فى العمل السياسى حتى أصبح أحدهم وزيرًا للخارجية فى نيكارجوا، وانتخب كاهن آخر رئيسا لـ (هايتى فى عام ١٩٩١.

٥ - إن رصيد التجربة العلمانية فى العديد من دول العالم الثالث، والدول العربية فى المقدمة منها، جاء مخيبا للآمال إلى حد كبير، فقد أفرزت تلك التطبيقات أنماطا من الأنظمة الاستبدادية مختلفة الدرجة، ومن ثم فإن العلمنة فى العالم الثالث كانت خطوة إلى الوراء، وليس إلى الأمام الأمر الذى وجد فيه الدارسون دليلا قويا على أن التلازم بين العلمانية والديمقراطية ليس ضروريا، ومن ثم فجدواها بالنسبة لتلك المجتمعات أصبحت محل شك كبير، وعلى حد تعبير أحد الأساتذة الأمريكيين فإن الخوف المفترض من المرجعية الدينية، أتى ببديل لا يقل سوءاً تمثل فى مرجعية الأنظمة المطلقة،وهى ظاهرة فشلت العلمانية فى علاجها.

* علمانية الإسلام: كيف؟

لازال الكلام للأستاذ فهمى هويدى:

أثناء مناقشة البروفيسور جون كين مدير مركز أبحاث الديمقراطية: قال لى: إنه لم يتح له أن يقترب من فهم الإسلام إلا مؤخرًا جدًا ومن أهم الاكتشافات التى وقع عليها فى محاولة فهم الإسلام أنه وجده دينا (علمانيا) كما تبين له أن يسمح أيضا بالتعددية الحزبية السياسية، فضلا عن الدينية، أيدت ملاحظته الثانية، لكننى أبديت دهشتى من الأولى، وعندئذ وجدته يقول بأن العلمانية كما يفهمها تتصرف إلى معنى (الدنيوية)، ومن ثم فكل ما هو دنيوى يصبح علمانيا، فمصطلح علمانية (سيكيولاريزم ـ Seculaism) مشتق من الكلمة اللاتينية (سايكيولوم ـ Seaculum) وهى تعنى فى لا تينية العصور الوسطى، (العالم) أو (الدنيا) فى مقابل الكنيسة.

وفى الماضى كان يشار إلى علمنة ممتلكات الكنيسة بمعنى نقلها إلى سلطات سياسية دنيوية، غير خاضعة لسلطة الكنيسة.

من هذه الزاوية فإن اكتشاف البروفيسور (كين) أن تعاليم الإسلام تغطى مساحة المعاملات، فضلا عن العبادات والأخلاق، أقنعه بأن الإسلام فيه شق دنيوى واسع النطاق، وفى ضوء التعريف الذى أورده فإن الإسلام أصبح فى رأيه دينا علمانيا.

بعد أن شرح وجهة نظره سألنى: هل التعددية فى الإسلام تأويل حديث لنصوصه، للتجاوب مع الخطاب المعاصر، أم أنه موقف سابق على ذلك؟

قلت: إن ثمة نصوصا قرآنية تتحدث عن أن الله لو شاء لجعل الناس أمة واحدة ولكنه أرادهم مختلفين لحكمة قدرتها مشيئة، وأن الاعتراف بالديانات الأخرى وأنبيائها شرط لسلامة اعتقاد المسلم، وثبوت ذلك القبول والاعتراف بالعقيدة المغايرة، يقتضى حتما القبول بالرأى الآخر.. وبتعدد مناهج الإصلاح السياسى، وقد أثبت النبى ﷺ تلك التعددية، ومارسها فى (وثيقة المدينة) قبل أربعة عشر قرنا من الزمان حين نص فيها على أن اليهود أمة مع المؤمنين.

بتواضع شديد قال الرجل: إن جهله بالإسلام يمثل نقصا كبيرا فى معارفه وإنه حريص على تعلم المزيد كلما واتته الفرصة.

كان ذلك قبل أن تبدأ الندوة

إلى هنا انتهى مقال الأستاذ فهمى هويدى.

ونرى أن ما ذكرناه خلال فصول هذا المؤلف، أن الإسلام وما سبقه من شرائع التوحيد منذ عهد قدماء المصريين، فى فطرة الله التى فطر الناس عليها كما سبق ذكره، وإن الله تبارك وتعالى عندما قال ﴿إنى جاعل فى الأرض خليفة﴾ اى يقوم على أمر هذه الأرض بشريعة الله التى تتضمن الاستمتاع بما سخر الله له على الأرض وفى السموات العلى عن طريقين أساسيين هما طريق العلم، وطريق العمل.

أما طريق العلم، فيشمل علوم الدنيا والآخرة، واتخاذ الدنيا مزرعة للآخرة.

وأما العمل فيشمل أيضا العمل المخلص لله ورسوله بإخلاص العبادات لله، وبالعمل على اكتساب الرزق، واستعمار الأرض.

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠]

فجعل فلاح المرء وفلاح المجتمع والأمة بأسرها، فى إقامة العلاقة بين العبد وربه، وفى الانتشار فى الأرض فى طلب الرزق وبناء المجتمع، فهذا الدين له ثوابته التى لا تتغير وأساساته التى هى راسخة رسوخ الجبال هى الأركان الخمسة التى ذكرها المصطفى ﷺ تبدأ بالتوحيد وهى لا إله إلا الله وإخلاص العبودية له من دون خلقه سبحانه، وهى أولى الرواسخ التى بعث بها الأنبياء من لدن آدم إلى إدريس إلى نوح إلى هود إلى صالح إلى إبراهيم إلى إسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وموسى وعيسى والخاتم الحبيب محمد ﷺ، فهى العروة الوثقى، التى بعث بها إدريس عليه السلام إلى القدماء من المصريين وغيرهم ثم إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والصيام والحج، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وكل ما يحب الله ويرضى هى من العبادة، ومن أساسيات هذه العبادة طلب العلم الأخروى

والدنيوى، وبناء المجتمع المتحضر الذى يقبل المتغيرات والمستحدثات بعيدا عن أساسيات الدين، وعلى ذلك فكل جديد فى علوم الفضاء والفلك، والطب والزراعة والعلوم الإنسانية والاجتماعية وغيرها إنما هى من متطلبات الإيمان وما يدعو إليه الإسلام وشرائع التوحيد السابقة عليه،مادامت هذه المتغيرات والمستحدثات فى إطار أساسيات الدين وفى إطار التوحيد الكامل.

لذلك فإن الإسلام لا يعرف الأصولية بالمعنى الذى فهمه الغرب، أى الجمود على النصوص وتأويلها تأويلا بعيدا عن الحياة الدنيا، كما أنه لا يعرف الدنيوية أى العلمانية المنفلتة من إطار الدين وتعاليمه، الطالبة للاستمتاع بكل شهوة، والسير وراء كل هوى، **«فما عبد شىء أبغض عند الله من الهوى»**، **«ولا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به»** كما قال ﷺ.

لذلك نرى أن افتعال حرب على الإسلام باسم العلمانية وباسم التنوير، وافتعال ما يسمى بالأصولية والأصوليين، أى الدينيين فى الطرف المقابل للعقل والفكر والعلم لا وجود لهما فى الإسلام، بل أننى أزعم أنه لا وجود له فى أى شريعة سبقت شريعة محمد ﷺ.

وأنه فى زمن كل نبى من الأنبياء ينقسم الناس إلى مؤمن وكافر ومنافق كما حدث فى زمن رسول الله ﷺ بالمدينة فى بدء هجرته ﷺ، وهو ما حدث على ما اعتقد، عندما جاء إدريس عليه السلام، على الأرجح فى الزمان القديم لقدماء المصريين، وبعد وفاته، انتحلت الطوائف الثلاثة، غالى فيه المؤمنون فعبدوه، أما الكفار والمنافقون وهم أهل الدنيا، فهم الذين ابتدعوا ما نطلق عليه اليوم العلمانية أى الدنيوية، فالتناقض أيها السادة قديم والصراع بين الحق والباطل وبين الخير والشر منذ قتل قابيل هابيل، فهى قضية الخير والشر، وظهر هذا فى زمن نوح وهود وصالح وإبراهيم حتى فى عهد محمد ﷺ، أن يظهر المغالون من هذه الفئات الثلاثة، وهناك المعتدلون الذين يسيرون على الحق أما تعاليم السماء التى جاء بها هؤلاء الأنبياء فلا تعرف ذلك التمايز، فدين الله تعالى فى كل زمان ومكان، هو إعمار الدنيا واتخاذها مزرعة للآخرة فى إطار ما شرع الله وسن الأنبياء، **﴿قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى**

للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾[الأعراف: ٣٢]

فالحق تبارك وتعالى لا يحرم إلا الخبائث فى كل شىء، وأمرنا فى إطار شرعه بالعبادة القائمة على العلم الدنيوى والأخروى والعمل وسيادة هذا الكون، فإن أمة محمد ﷺ هى خاتمة الأمم، الوارثة لشرائع الله وكتبه لأن نبى الإسلام هو خاتم الأنبياء، وكان يقول عن اليهود: «أنا أولى بموسى منهم»، ويقول عن النصارى: «إن المسيح أخى وأنا أحق به منهم فليس بينى وبينه نبى».

والحق تبارك وتعالى يقول لنا ولأهل الكتاب جميعا: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ. فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة١٣٦ـ ١٣٨].

فأساسيات شرائع الأنبياء واحدة، وهى الإسلام، بمعنى إسلام الوجه لله تعالى بالطاعة والخلوص فى كل شرك، وهذه الشريعة ثوابتها معروفة منذ آدم عليه السلام ومنذ إدريس وما تلاهم من أنبياء ورسل لله تعالى، وهذه الثوابت تقبل كل جهد وعمل عقلى وبدنى ومالى، وفكرى وإنسانى، وتقبل حصيلة ما يلزم التطور والتقدم فى مناحى الحياة، ما دامت لا تمس الثوابت فى العقيدة والعبادات. (المؤلف).

وفى مقال آخر للأستاذ فهمى هويدى فى جريدة الأهرام
بتاريخ الثلاثاء ٥ يوليو ١٩٩٤.
بعنوان (حاكمية السوق): يقول:

تابع مقال الأسبوع السابق ـ الذى سبق ذكره ـ عن ندوة لندن بعنوان مراجعة علمانية، وهى الندوة التى دعا إليها مراكز أبحاث الديمقراطية بجامعة (وستمنستر) بلندن بالتعاون من منظمة (ليبرتى) المختصة بشئون الحريات فى العالم الإسلامى .. يقول. ف. هـ:

بين الدين والفلكور:

أثار أحد أساتذة جامعة أوكسفور مسألة وضع العلمانية فى بريطانيا والعديد

من الدول الغربية، وقال ما معناه أنه لا يعرف إن كانت بريطانيا دولة علمانية حقا أم لا، ويعزز شكوكه بقوله لو أن الملكة رئيسة الكنيسة، والأساقفة ممثلون فى مجلس اللوردات، وبصمات الدين واضحة فى الزواج والطلاق وثمة اتجاه لإدخال الدين فى التعليم بعد أن طالب ٨٠٪ من الناس بالتوسع فى تدريس الدين فى المدارس، ولذلك نظير فى دول غربية كثيرة، وفى أمريكا.

وكان الرد: أن العلمانية لا تستأصل الدين بالضرورة، والاتحاد السوفيتى دليل على ذلك، وأصبح إزاء ذلك تهميش الدين بدلا من استئصاله، وجعله نوعًا من الفلكور.

وهذا هو الحاصل فى انجلترا وغيرها، فالدين موجود حقا فى بعض المظاهر والتقاليد، ولكن (الحاكمية) الحقيقية للقيم العلمانية المادية فى نهاية المطاف.

وعقب الدكتور عبد الوهاب المسيرى، بأنه يستحيل علمنة الإنسان بالكامل، وتحويله إلى علاقات مادية لا تعرف التراحم والأخلاق، ذلك أن الإنسان بفطرته الطبيعية أكثر من ذلك، وربما علمنة المجتمع أيسر من علمنة الأفراد.

وفى صدد الصلة الوثيقة بين العلمانية والديمقراطية كان هناك رأيان: أحدهما: أن الصلة، وثيقة بين الاثنين باعتبار أن العلمنة، بمعنى إبعاد المقدس وهو الدين عن الدنيوى، ضرورة لإنجاز الديمقراطية، لأن ظهور الدين فى الساحة من شأنه أن يخل بقواعد الممارسة الديمقراطية من حيث أنه مثلا يقلل من فرص التسامح مع الآخر، ولذلك قرر هؤلاء أن العلمنة هى الخطوة الأولى التى تمهد للديمقراطية.

الرأى الآخر: دعا إلى عدم الربط بين الاثنين، وقال أن التجربة أثبتت عدم ترابطهما، فالتجارب الشيوعية - الفاشية - النازية كلها علمانية، وكذلك الملكيات المطلقة، الأمر الذى يبطل الحجة بأن العلمانية مرتبطة بالديمقراطية، وأن التطبيق الإسلامى الصحيح يعمل على التسامح، وأن التطبيق الإسلامى إذا توافرت له شروطه المعتبرة كفيل بضمان التعددية والديمقراطية ولا مجال فى هذه الحالة للحديث عن العلمانية.

فى هذا السياق قيل إن الدفاع عن قيمة الديمقراطية يشكل أرضية مشتركة

يمكن أن يلتقى عليها الإسلاميون مع غيرهم من أصحاب الاتجاهات الأخرى.

وفى تفصيل هذه النقطة، قال أحد علماء الإسلام: إن ثمة أمورًا لا يجادل فيها مسلم عند الحديث عن الديمقراطية، سواء فيما يتعلق بكفالتها للحرية ولحق التمثيل والانتخاب والتعددية، ومساءلة الحكام، فضلا عن الحق فى المشاركة فى الحكم، فتلك أمور تدخل فى صلب الرؤية الإسلامية غير أن الاختلاف يمكن أن يثور فى حالة واحدة، حين تفرض المرجعية العلمانية كمصدر وحيد لهذه القيم، وأن العلمانية لا تنفى الإسلام.

قال الدكتور المسيرى: إن حصر الإسلام فى كونه مجرد هوية دموية ، قراءة متيسرة له، لأن الإسلام فى حقيقته مشروع حضارى متكامل يخاطب البشر جميعا، ويستهدف إقامة العدل على الأرض، من ثم فهو رسالة كونية لا يجوز ولا يقبل أن تختزل فى نطاق الهوية لتصبح أحد العناصر المكونة للمجتمع.

ومن جانبى ـ كما يقول فهمى هويدى ـ قلت أننا يجب التعامل مع الإسلام باعتباره منظومة مختلفة تماما، ومغايرة للمنظومة العلمانية، وعلى المثقفين الذين ينادون بالتعددية السياسية، أن يعتبروا مبدأ التعددية الحضارية ليس صحيحا أن النموذج الغربى الحضارى هو الوحيد فى هذا الزمان، ولا ينبغى أن يعنى النموذج الأوحد للبشرية الذى لا يحتذى سواه، وهو لا يعنى بذات القدر الغاء النماذج الحضارية الأخرى، ويجب ألا يقلل من شأن انجازات تلك الحضارات الأخرى.

* فى البحث عن المشترك:

تطرق الحكم إلى موضوع (الثيوقراطية) بمعنى حكم رجال الدين الذين يدعون استمداد السلطة من الله.

وكان الدكتور التيجانى عبد القادر ـ أستاذ العلوم السياسية بجامعة الخرطوم ـ قد أشار فى ورقة قدمها للندوة إلى أن الذى صك المصطلح هو أحد علماء اليهود (يوسيفوس فلافيوس) ـ وهو مؤرخ يونانى، وأراد به أن يشرح المفهوم اليهودى للحكم والسلطة، وذكر بأن اتهام الإسلام بالثيوقراطية لا يراد به فقط الادعاء بأن يستصحب حكما يباشره رجال الدين، ولكن يراد به أيضا الإيحاء بأن الإسلام له

طابعه المحلى والقومى المحصور فى الجزيرة العربية أو العالم العربى على أحسن الفروض، مثل اليهودية التى تخاطب أناسا بذواتهم، ودون غيرهم من جنس البشر، وهو توظيف يلغى عالمية الإسلام وخطابه، الموجه إلى البشر جميعا.

أبرز ما قيل فى التعليق فى هذه النقطة هى أنه من الناحية العلمية والواقعية فإن كل الحكومات ثيوقراطية، لأنها جميعا لها مطلقاتها، فإن كان الدين أوالغيب مطلقا عند البعض، فحرية التجارة مطلقة فى الأنظمة الاستبدادية، كما أن النازية مطلقة، والصهيونية مطلقة، جعلت من الشعب اليهودى والدولة اليهودية مطلقة حتى قال أحد أصحاب المشروع الصهيونى، إن الشعب اليهودى المعبد الذى أتعبد فيه.

فى النهاية سار التساؤل: إذا كانت المنظومة العلمانية مغايرة للمنظومة الإسلامية، أو منافية لها، فهل التعارض بينهما لا يسمح بالتفاهم ولا يوفر أية أرضية مشتركة لتلاقى وجهات النظر؟

كان السؤال موجها من المجموعة الغربية إلى المجموعة الإسلامية المشاركة فى الندوة.

وجاء الرد على النحو التالى:

على صعيد المرجعية يتعذر العثور على الأرضية المشتركة المنشودة، إذ كيف يتلاقى طرف إسلامى مع آخر علمانى ينطلق من الإصرار على حذف الدين من الحياة، ومطاردته فى واقع الناس، غير أن قبول الموجودين فى الندوة لفكرة الإله، ومبدأ وجود قيم أخلاقية مطلقة وثابتة يخففان من حدة التعارض بين الاتجاهين.

فالاتفاق ممكن يقينا حول قيم العدل والحرية والديمقراطية والمساواة وكرامة الإنسان وحقوقه بغض النظر عن الأساس المرجعى لتلك القيم، وليترك لكل طرف أن يحدد المرجعية التى يستمد منها دفاعه عن تلك القيم وله أيضا أن يعبر عن التزامه بالقيم بالأسلوب الذى يراه أكثر اتفاقا مع ظروفه الاجتماعية والسياسية، أما إذا أصر الطرف الغربى على فرض منظومته العلمانية وأساليبه التى ارتضاها من واقع خبرته على الطرف الإسلامى، فإن الفراق حاصل لا محالة، لأن الأمر

سيصبح فى هذه الحالة نوعا من الإلحاق والتبعية، وليس فيه شيء من الحوار أو التفاعل الحى بين الحضارات.

إلى هنا انتهى مقال الأستاذ فهمى هويدى...

الذى نراه كما يبق القول أن الإسلام دينًا للدنيا والآخرة له ثوابته وله متغيراته، وثوابت الإسلام والدين عامة معروفة وسبق ذكرها، أما متغيراته، فهو ما يجتهد فيه الناس وما يستحدثونه فى مناحى العلوم والمعرفة والثقافة المختلفة فى سبيل رفعة الإنسان والارتقاء به زمانا ومكانا، والإسلام لا يرفض كل حديث ولا كل ما يفرزه العقل الإنسانى من فكر وخبرة وعلم ومعرفة فى شتى الأزمنة والأمكنة ولا يرد كل ما يفرزه العقل فى أقصى الشرق أو أقصى الغرب.

وإنما يضعه على ميزان الإسلام عقيدة وعملا وسلوكا وقيما وأخلاقا فيما وافق مبادئه، أقرها وأيدها وتفاعل معها حضاريا وثقافيا ومدنيا، أما ما يفرزه العقل الإنسانى والفكر الإنسانى الإباح الفوضوى، الذى يرفض أى ضابط، والذى لا يرضى بأى وازع من دين أو عقيدة سليمة، فهو قبل أن يعارضه الإسلام، تعارضه الفطرة الإنسانية السليمة، والصبغة الربانية، صبغة الله، ومن أحسن من الله صبغة، فالذى ينكر هذه الفطرة، ويرفض هذه الصبغة، فهو إنسان غير سوى، وحيث أن الإنسان هو من طينة هذه الأرض تكون، ومن نفخة من روح الله تحول من الجماد إلى نفس بشرية، فهو مفطور على المادية، مجبول بالروحية القدسية، لذلك فالنفس البشرية السوية، تستمتع بالماديات فى إطار الروحية السامية ولابد لنا أن ندرك أننا فى العالم الإسلامى لسنا على الحق دائما، كما أنهم فى العالم الغربى ليسوا على الخطأ دائما، والحضارات سلسلة متصلة متفاعلة منذ وجود الإنسان على هذه الأرض، تمتزج فيها العقائد الروحية بالماديات المحيطة بالإنسان على كوكب الأرض، وفى الفضاء المحيط به والنفس البشرية تتراوح بين نفس أمارة بالسوء تميل إلى الطينية المادية أكثر مما تميل إلى الروحية السامية، كما ذكر القرآن الكريم فى سورة يوسف: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٣].

ونفس ثانية توازن بين احتياجاتها المادية والأخرى الروحانية، وهى النفس

اللوامة، التي تحاول دائما الانضباط على الطريق السوء، وجاءت في قوله الله تعالى: ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ . وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ (القيامة: ١)، والنفس السامية المطمئنة إلى جناب الله الساعية فى دروب الأرض والسماء بعلم وعمل وإخلاص كل عمل لوجه الله تعالى فهى النفس المطمئنة التي ذكرها الله تعالى فى قوله: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ . ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً . فَادْخُلِي فِي عِبَادِي . وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧].

وهذا التفاوت بين الأنفس البشرية قائم ومستمر منذ بدء الخليقة إلى قيام الساعة، ولكن قبل ذلك وبعده، فهناك قواسم مشتركة للإنسانية التى كرمها الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الإسراء: ٧٠].

وهناك قواسم مشتركة بين أصحاب الكتب السماوية، فى قوله تعالى: ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى ابراهيم...﴾

وهناك قواسم بين أصحاب الملة الواحدة، وقواسم مشتركة بين الأمة العربية وقواسم مشتركة بين أصحاب الوطن الواحد.

وعلى ذلك فعلى الإنسان إذا أراد أن يعيش فى سلام مع النفس وسلام مع الغير من بنى جنسه أن يؤصل الأرضية المشتركة وينميها ويقلل ما استطاع من التناقضات الوطنية والطائفية والعرقية، فى تحاور للحضارات لا يفرض نموذجا حضاريا بعينه على الآخرين كما أن علينا أمة الإسلام، عرض الدين الحنيف ومبادئه من خلال هذه الحوارات عرضا يليق بجلال منزلته عرضا يليق بمقام صاحب الرسالة، ويليق بمكانة الكتاب الذى بين أيدينا حيث جمع ربنا لأمتنا فيه ما أعطاه للأمم السابقة، حيث ورد أن الله تعالى أنزل مائة كتاب وأربعة كتب جمعها فى التوراة والإنجيل والقرآن، وجمع هذه الثلاثة فى القرآن الكريم وجمع القرآن الكريم فى السبع الطوال منه، وجمع السبع الطوال منه فى فاتحة الكتاب وجمع فاتحة الكتاب فى: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾، فعبادة الله تعالى هى مقصد الرسالات: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، والتفويض والاستعانة والتوكل والرضا والمحبة للخالق تعالى هى قمة العبادة: «أن تعبد الله كأنك تراه».

عود على بدء:

إذا كان الإنسان منذ وجد على سطح هذا الكوكب الأرضى، الذى هو بدوره أحد كواكب المجموعة الشمسية، التى تتألف من الشمس وتسعة كواكب أخرى تدور فى فلكها - أحدهم هو كوكب الأرض. ، وإذا كانت هذه المجموعة الشمسية هى إحدى ملايين الملايين من المجموعات السابحة فى طرف صغير من أطراف المجرة التى بدورها هى إحدى ملايين المجرات السابحة فى السماء الدنيا: يقول الله تعالى: ﴿وزينا السماء الدنيا بزينة الكواكب﴾، كما وضح ذلك الحق تبارك وتعالى فى كتابه الخاتم الذى أنزل على أشرف أنبيائه وخاتمهم محمد ﷺ.

أقول: منذ وجد الإنسان على هذه الأرض التى هيأها الله تعالى له بحوله وقوته وبغير حول ولا قوة من جانب هذا الإنسان، والإنسان منذ ذلك التاريخ منجذب بفطرته التى فطره الله عليها. إلى الملأ الأعلى، وإلى عالم الغيب، إلى ما وراء هذا الكون وما وراء الطبيعة، وحيث أن فطرة الله التى فطر الناس عليها، هى فطرة التوحيد، يقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات]، ومنذ أخذ الله العهد على بنى آدم فى عالم الذر حيث أشهدهم على أنفسهم بأنه وحده الذى خلقهم، وأخذ عليهم الميثاق أن يعبدوه على هذه الأرض، إذا ما خرجوا إليها بشراً سويًا.

وعلى هذا فإن الفطرة الدينية، وقضية التوحيد فى الإنسان، تسبق تطوره الفكرى، ونضجه العقلى، وأن التطور الفكرى والعقلى للإنسان فى أى مكان وزمان، مرهون بهذه الفطرة، قد يشذ حينا، ولكنه منضبط بها فى معظم الأحيان، من هذا نجد أن الإنسان بفطرته السليمة يميل إلى الاعتقاد بما جاء به الوحى، وبما صح عن الأنبياء، وخاصة رسول الله محمد ﷺ، فى نشأة الكون التى نعيش فيه، أن هذا الكون بما ظهر فيه من إبداع وروعة وجلال وعظمة، قد نصبه الله تعالى دليلا على وجوده، وشاهداً على عظمته، ووحدانيته.

ومع التطور الفكرى والعقلى، وبعد الإنسان فى القديم والحديث عن مناهل العرفان ومشاعل النور والهدى، ومشكاوات النبوات، التى يرسل بها الله تعالى فى كل وقت حتى ختمها بمحمد ﷺ، بدأت تظهر من وقت لآخر فلسفات

ونظريات تحاول استخدام العقل والفكر للوصول إلى حقيقة نشأة الكون بطريق آخر طريق التسليم والإذعان للكتب المقدسة، وإن كانت معظم هذه الفلسفات وهذه النظريات متأثرة بهذه الكتب وبهذه الرسالات بدرجة ما، على مر الدهور والأزمان.

ونحن فى كتابنا هذا، لا نريد أن نقرر حقيقة أن العلم الحديث يؤكد أو يثبت صحة ما جاء فى الكتب المقدسة عن التوحيد ونشأة الكون، وما خلق الله فيه،

ولكننا نريد أن نقرر حقيقة أن الفطرة الإيمانية الدينية، المغروسة فى الإنسان من نخاعه إلى عظامه، فى قلبه ووجدانه، فى كل جانحة من جوانحه، منذ الخلق الأول، ونؤكد أيضا أن الوحى والنبوة والرسالات، تسبق أعمال العقل والفكر الإنسانى وتطوره وأن الفكر والعقل الإنسانى لم يأت بجديد عما جاء به الرسل والأنبياء عن الوحى المبلغ عن رب العزة جل شأنه، وإنما كل فكر وعمل إنسانى إنما هو محاولة لفهم ما جاء به الوحى من قديم الزمان، سواء كان ذلك عن قصد أو عن غير قصد، سواء كان ذلك لمن يريد أن يؤكد حقيقة الإيمان أو لمن يريد أن يشكك فيها أو ينفيها بالكلية.

وما تردى الإنسان فى مزالق الهلاك، وغياهب الضياع الذى سبب له ما هو فيه من قتال، واستبداد واستعمار لأخيه الإنسان، إلا أنه أراد استخدام عقله وهواه فقط فى مقابلة الوحى والرسالة، فهو قد يبعد حينا عن الوحى فينازله، ويبعد عنه، عن جحود ونكران وشطط، وقد يختلط هذا الفكر الإنسانى بالكثير من المفاهيم الدينية والفطرية، مع الكثير من الشوائب العقلية التى تحجب وضوح الرؤيا لديه لما جاء به الوحى، وهو ما أطلق عليه الغرب «العلمانية»، أى العقل والعلم، أو الدنيوية، فى مواجهة الوحى والرسالة الإلهية، مبتعدًا عن فطرته السوية، متنكرا لميثاقه الذى وثق به العهد مع الله فى عالم الذر.

وقد يكون هذا الفكر قد أحاطت به النورانية الربانية الإلهية، وملأه الله بفيض من نوره، فزاد نورًا على نور، وهذا ما يحاول مفكرو الإسلام فى كل وقت وزمان أن يبثوه إلى الناس كافة.

وفى عصرنا هذا الذى يطلق عليه عصر العلم، تتجلى الحقيقة الإلهية، فى

كل مناحى العلوم والفنون، حيث ما زال العلماء فى كل مكان يرسلون بسفن الفضاء تجوب سماء الأرض وسموات الكواكب فى المجموعة الشمسية حاملة آلات تصوير وآلات تليسكوبية مكبرة، للوصول إلى أغوار الفضاء السحيق، وكلها ترتد كما يرتد البصر خاسئا وهو حسير، فمن هذه الأبحاث ما تطلع به علينا الإذاعات المسموعة والمرئية والمقروءة وما تبثه إلينا محطات الفضاء وأقمارها وسفنها عبر الأثير البعيد، مسافة وزمنا ومكانا، نذكر منها على سبيل المثال:

١ ـ نشر الأهرام فى ١٨ يوليو ١٩٩٤:

كرة من اللهب عرضها ١٢٠٠ ميل، تسقط فوق كوكب المشترى، من حطام المذنب (شوميكر ـ ليفى) التقطها تليسكوب الفضاء، وأضافت أن القوة الانفجارية لهذا الاصطدام تعادل مليون قنبلة ذرية، مثل قنبلة هيروشيما، وأن قوة اصطدام حطام المذنب شوميكر بالمشترى، ستكون معادلة لاصطدام مذنب ضخم بكوكب الأرض منذ ٦٥ مليون سنة، وهو ما أدى إلى انقراض الدنياصورات، وقد رصدت تليسكوبات العالم الانفجار الهائل على كوكب المشترى، فى ظاهرة لا تظهر إلا كل ألف عام.

خلف الارتطام علامة فى حجم الكرة الأرضية على كوكب المشترى، وقد تأكد أنها لن تؤثر على الأرض (عن ـ مكتب الأهرم بلندن).

٢ ـ خبر آخر يقول:

يوم ٧ ديسمبر ١٩٩٥، سوف يقع حدث فلكى عظيم، حيث تقترب سفينة الفضاء الأمريكية جاليليو بعد رحلة استغرقت تسع سنوات من كوكب المشترى، ولقد أطلقت هذه السفينة عام ١٩٨٦ واقتربت من كوكب الزهرة (١٩٩٠) وترسل السفينة فى ذلك اليوم بعد أن تسقط عليها جهازاً فى حجم كرة القدم.، هذا الجهاز سوف يبعث بسرعة للسفينة الأم بصورة للتحليل الضوئى والمائى والغازى والمعدنى فى جو المشترى، وسوف تتفادى السفينة الاصطدام بالأقمار الصناعية التسعة التى تدور حول كوكب المشترى، وسوف تلتقط صوراً لها.

٣ ـ وآخر ما قرأنا عن هذه الاكتشافات العلمية ما نشره الأهرام فى جريدته يوم الجمعة ٢٥ أكتوبر ١٩٩٦، بالصفحة الأولى: أريزونا ـ أ . ب ـ أعلن علماء

الفلك الأمريكيين عن اكتشاف كوكب جديد على بعد (سبعين سنة ضوئية) من الأرض، ويصل حجمه إلى حجم كوكب المشترى نفسه، ويدور حول نجم مزدوج فى مجموعة (سيجانوس) المعروفة باسم الصليب الشمالى.

ويقول عالم الفلك الأمريكى، (وليم كوشران)، من جامعة تكساس أن سلوك الكوكب يكسر جميع القواعد والنظريات التى وضعها العلماء حول كيفية نشأة الكواكب، ومكانها، وأعلن (كوشران)، أن الكوكب المكتشف أخيراً يأخذ مداراً بيضاويا فى شكله حول النجم، ويقترب منه فى إحدى مراحل المدار ثم يبتعد عنه إلى مسافة كبيرة، وهو مدار شاذ، وغير مفهوم، ويعد الكوكب الذى اكتشف أخيراً واحداً من عدة كواكب تم اكتشافها خارج المجموعة الشمسية وقال (كوشران) أنه كوكب غازى يحتمل وجود حياة عليه فهو يشبه كوكب زحل أو المشترى، وليس صخريا مثل الأرض أو المريخ، كما أن مداره الغريب حول النجم (سيجنى - بى) سوف يؤدى إلى فروق هائلة في درجة الحرارة، على سطحه، وأوضحت الحسابات أن عام الكوكب يساوى ٨٠٤ أيام أرضى.

*ماذا يعنى هذا؟

يعنى أن قول الله تعالى: ﴿سنريهم آيتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾، هو الأسبق وهو الأصدق وهو الأحق بالاتباع، ويا ليت هؤلاء قرأوا هذه الآية من كتاب ربنا،وهى الحقيقة التى سبق أن أكدناها فى هذا البحث وهى أن فطرة الله التى فطر الناس عليها، وهي الوحدانية له سبحانه لا زالت هى الأقوى والأسطع نوراً، من كل ما جاء به العلم الحديث أو كل ما جاءت به العلمانية،فهلا أدركنا نحن أولا هذا،وهلا أدرك أصحاب العقول والألباب هذا..

ولقد وجه الله تعالى نظر الإنسان إلى أن اتباع الهوى والعقل والمادية وحدها لن تجدى ولن تجلب على هذا الإنسان إلا الضياع في الدنيا والهلاك في الآخرة: حيث يقول: ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤] فلابد أن نتسلح بإيماننا وتراثنا وحضارتنا وأصالتنا برصيد

كاف من التراث الإيجابى، ومن هذا المنطلق نخوض حواراً صادقا مع أى قوة ترغب فى الحوار مع الإسلام وأهله، فليس من الإسلام فى شىء، ولا من منطق العقل، أن نتخندق باسم الإصالة وراء هويتنا الثقافية المستمدة من الحضارة الإسلامية، وليس من الإسلام فى شىء، ولا من العقل فى شىء أن ننعزل عن العالم من حولنا خوفا من الجديد فى عالم الحداثة اليوم، فإن الإسلام أقوى، وثوابته أصلب من أن ينال منها أحد.

وقد ذكر الأستاذ: سيد ياسين فى مقاله الأسبوعى بجريدة الأهرام ٣ أغسطس ١٩٩٥ أن المفكر الأردنى فهمى جدعان قد استخلص أن حضارة الغرب، تقوم على نظريتين، تذهب الأولى إلى أن الحضارة الغربية، تستند إلى أسس ثقافية وروحية وجمالية ممتدة الجذور فى المسيحية نفسها، والنظرية الثانية ترى أنها تقوم أصلا باسم الحداثة على أساس إحداث قطيعة جذرية مع الدين والوحى المسيحى.

ويعلق المفكر الأردنى بقوله: والواقع أن كلتا النظريتين المتطرفين لهما ما يماثلهما فى المناخ الثقافى العربى الراهن:

١ـ أنصار تيار الإسلام السياسى، وهم فرق شتى، يريدون أن يضعوا الدين فى صدر أى حوار، ثقافى يقيمونه مع غيرهم فى نفس المجتمع العربى والإسلامى أو مع المغرب.

٢ـ فى حين أن أنصار التيار العلمانى فى العالم العربى والإسلامى، يعتمدون مصادرة دور الدين فى الحوار الثقافى مع الأنداد أو مع الغير.

ـ ولابد لإفساح المجال للحواريين الطرفين، والوصول إلى مساحة مشتركة يسمح بها الدين والفطرة والوحى، لإعمال العقل والفكر فى شتى مجالات الحداثة دون الانفراط من عقد الدين والخروج على مرتكزاته الأساسية الثابتة.

وحيث نتوجه إلى الله تعالى بالدعاء والسداد، وإلى خاتم أنبيائه ﷺ، بالصلاة عليه وآله وأصحابه وتابعيه، فإننا نوجه رسالة إلى شباب هذه الأمة الكريمة، أن يسلح نفسه بسلاح الإيمان والعلم والعمل والله من وراء القصد، وهو يهدى إلى سواء السبيل.

عبد الرحيم الرفاعى

انتهيت بحمد الله وقوته وتوفيقه من هذا البحث وهذا الكتاب.

فى صبيحة يوم الخميس ١٨ جمادى الآخرة ١٤١٧هـ.

٣١ أكتوبر ١٩٩٦.

بمقر ديوان مديرية الزراعة بالشرقية

عبد الرحيم الرفاعى

نسأل الله الهدى والنور واليقين، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه
فى قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا
من الراشدين، الهداة المهتدين، إنك أنت السميع
العليم، والله الموفق والمعين وصلى اللهم وسلم
وبارك على سيد الأولين والآخرين محمد
ابن عبد الله وآله وصحبه أجمعين

ثم جمع مواد البحث ببلدة حريملاء
التابعة لمدينة الرياض ـ بالمملكة السعودية
فى ١٩ المحرم ١٣٩٧هـ
٣٠ ديسمبر ١٩٧٦م
عبد الرحيم الرفاعى

أهم المصادر والمراجع

١- البداية والنهاية.	لابن كثير
٢- الكامل.	لابن الأثير
٣- تاريخ الطبرى.	للطبرى
٤- تفسير الجلالين.	
٥- صفوة التفاسير.	محمد على الصابونى
٦- فى ظلال القرآن.	سيد قطب
٧- الملل والنحل.	الشهرستانى
٨- الله يتجلى فى عصر العلم.	د. محمد جمال الدين الفندى
٩- قصة السموات والأرض.	محمد جمال الدين الفندى
١٠- تفسير جزء عم.	للإمام محمد عبده
١١- فى أعماق الفضاء.	عبد الحميد سماحة
١٢- مع الله فى السماء.	د. أحمد زكى
١٣- الجيولوجيا.	د. حسن صادق
١٤- طبيعيات الجو وظواهره.	د. محمد جمال الدين الفندى
١٥- معجم آيات القرآن الكريم.	محمد منير الدمشقى
١٦- معجم (المنجد).	
١٧- المعجم الوسيط.	
١٨- أطلس المحيط	الفيروز آبادى
١٩- قصة الفلسفية اليونانية.	أحمد أمين
٢٠- فقه السنة.	سيد سابق
٢١- التفكير الفلسفى فى الإسلام.	د. عبد الحليم محمود
٢٢- إحياء علوم الدين.	أبو حامد الغزالى.
٢٣- مقتطفات من المصحف والمجلات والنشرات العلمية.	

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣
الفصل الأول: ماذا قبل السموات والأرض	٧
أولا رأى الدين	٧
ثانيا: رأى العلم	١٦
ثالثا: رأى الفلاسفة	٢٦
خلاصة القول فى الفصل الأول	٣١
الفصل الثانى: كيف نشأ الكون بسمواته وأراضيه؟	٣٦
أولا: رأى الدين فى كيف نشأ الكون؟	٣٦
ثانيا: رأى العلم فى كيف نشأ الكون؟	٤٦
الفصل الثالث: السموات السبع والأرضون السبع	٥٣
أولا: رأى الدين	٥٣
ماذا تعنى كلمة الأرض	٦٢
الفصل الرابع: مجموعتنا الشمسية (الشمس ـ الأرض ـ القمر)	٦٦
أولا: قوانين الكون: (خواص المادة الكونية)	٦٦
ثانيا: المجموعة الشمسية فى رأى المفسرين (علماء الدين)	٦٧
ثالثا: ماذا قال العلم الحديث عن المجموعة الشمسية	١٠١
الفصل الخامس:	١٠٦
١ـ المجرة وحدة الكون	١٠٦
٢ـ أين نقع من هذا الكون المترامى؟	١٠٧
الفصل السادس: ما هو مصير هذا الكون؟	١٢٠
ـ ماذا بعد السموات والأرض؟	١٢٠
ـ الأرض التى نعيش عليها ما هو مصيرها؟	١٢٢
القمر ابن الأرض	١٢٧

الموضوع	الصفحة
الكسوف والخسوف	١٢٧
كيف ولدت القارات؟	١٣٠
ما هو تقدير عمر الأرض؟	١٣١
ما هو مصير هذا الكون؟	١٣٢
الفصل السابع: الحضارة الإنسانية : أين بدأت وإلى أين وصلت؟	**١٣٧**
أين بدأت الحضارة وما مصدرها وإلى أين انتهت؟	١٥٣
العلاقة بين الحضارة المصرية القديمة وحضارات العراق	١٦٣
حضارة فينيقيا	١٦٣
العلاقة بين الحضارة المصرية وحضارة فينيقيا	١٦٥
عبور الحضارة من الشاطئ العربى إلى شاطئ اليونان والأرمان	١٦٦
أثر الحضارة المصرية على الإغريق	١٦٦
دولة البطالمة	١٧٠
مكتبة الإسكندرية	١٧١
الرومان يأخذون التقويم المصرى بدلا من التقويم الرومانى	١٧٢
انتصار الرومان على الوثنية	١٧٢
فضل مصر على حضارة العالم	١٧٣
الأصولية والعلمانية	١٧٩
علمانية الإسلام.. كيف؟	١٨٧
عود على بدء	١٩٦
أهم المصادر والمراجع	٢٠٢
الفهرس	٢٠٣